المنتقى العلمي
من مقدمة سنن الدارمي وتعليقه المنهجي

صنفه

فضيلة الشيخ الدكتور

أبو عبد الرحمن عيد بن أبي السعود الكيال

كلية الشريعة - جامعة الأزهر

٠١٠٠٣٩١٥٢٧٠

٠١١٤٥٨٠٩٤٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

رقم الإيداع

٢٩١١٧ / ٢٠٢٣م

الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

«توطئة المنتقى»
العلماء سُرج الأزمنة ينسخون مكايد الشيطان

الحمد للَّه الذي علَّم الإنسان ما لم يعلم، وفقهه في الدين وعلّمه التأويل وفَهّم، وَمنَّ عليه بالعلم والتعليم وأكرم، وهداه إلىٰ الصراط المستقيم والمنهج القويم وأنعم، وفرَّق بين الهدىٰ والضلال، والحق والباطل، والرشاد والغيّ، والسُّنَّة والبدعة، والعلم والجهل وأكمل وتتم، فقال الكريم الأكرم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وعمّم، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبد اللَّه ورسوله، الذي قال ربُّه في حقه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣]، ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤] صلىٰ اللَّه عليه وآله وصحبه وسلم، **أمَّا بعد:**

فقد قال العليم الحكيم الخبير: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال ﷻ: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

وروىٰ ابن بطة الإمام الحافظ أبو عبد اللَّه ابن بطة العكبري (ت ٣٨٧هـ) في كتابه المحتوي علىٰ منهج أهل السُّنَّة والجماعة: «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرقة المذمومة» والمسمَّىٰ: بـ«الإبانة الكبرىٰ» (٤٢)- عن سلمة بن سعيد قال:

«كان يُقال، العلماءُ سُرُجُ الأزمنة، فكلّ عالم مصباح زمانه، فيه يستضيءُ أهل

عصره، العلماء تنسخ مكايد الشيطان».

- **ثُمَّ جعلناك على شريعة من الأمر فاتّبعها:**

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

قال أبو عبد اللَّه القرطبيّ في: «الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٠٩)»:

«الشريعة في اللغة: المذهب والملّة، وهي الشرعة، والشريعة: الطريقة الظاهرة التي يتوصّل بها إلىٰ النجاة، فالشريعة: ما شرع اللَّه لعباده من الدين، وقد شرع لهم يُشرّع شرعًا أي سنَّ لهم، والجمع الشرائع، والشرائع في الدين: المذاهب التي شرعها اللَّه لخلقه، فمعنىٰ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾؛ أي: علىٰ هدًىٰ من الأمر، قال قتادة: الشريعة: الأمر والنهي والحدود والفرائض، وقال مقاتل: الشريعة: البيّنة؛ لأنها طريق إلىٰ الحق، وقال الكلبيّ: الشريعة: السُّنَّة؛ لأنه ﷺ يستنَّ بطريقة من قبله من الأنبياء، وقال ابن زيد: الشريعة: الدّين؛ لأنَّه طريق النجاة، ولا خلاف أنَّ اللَّه تعالىٰ لم يغاير بين الشرائع في التوحيد ومكارم الأخلاق والمصالح، وإنَّما خالف بينهما في الفروع العملية حسبما علمه سبحانه» اهـ.

قلت: وقال القرطبيّ في: «جامعه» (٦/ ١٣٧) عند قوله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]:

«الشريعة ابتداء: الطريق، ومنه الشارع، لأنه طريق إلىٰ القصد المراد، والمنهاج: الطريق المستمر.

وعن ابن عباس والحسن البصري وغيرهما: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ سنة وسبيلًا، ومعنىٰ الآية: أنَّه جعل التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، والقرآن لأهله، وهذا في الشرائع والعبادات والأصل التوحيد لا اختلاف فيه ذلك عن قتادة، وقال مجاهد: الشرعة والمنهاج دين محمد ﷺ، وقد نُسخ به كل ما سواه» اهـ.

ثُمَّ أمَّا بعد:

فمن المعلوم عند أهل العلم من أهل الرواية والدراية، السبيل الجرَّار من تصانيف الأئمة الحفاظ الفقهاء، الذين دوَّنوا لهذه الأمة كتب السنن الفقهية التي

عليها مدار المسائل العملية، والتي سمَّاها المحققون الكتب التسعة وهي: الموطّأ للإمام مالك، وصحيح الإمام البخاريّ، وصحيح الإمام مسلم، وسنن الإمام أبي داود، والإمام النسائي، والإمام الترمذي، والإمام ابن ماجه، والإمام الدَّارميّ في سننه، أمَّا تاسعها فهو مسند الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السُّنَّة والجماعة.

فكل هذه الكتب الثمانية مبوّبة علىٰ الكتب والأبواب الفقهية، بداية من كتاب الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والبيوع، والنكاح، والجهاد، والطلاق، وكتاب الأطعمة والأشربة، واللباس، والمرضىٰ، والأدب، والقصاص، والديات، والدعوات، والرقاق، وغيرها من الكتب الحديثية الفقهية، كصحيح أبي حاتم بن حبَّان وغيره.

أمَّا مسند الإمام أحمد فشأنه معروف كبقية المسانيد والمعاجم ليس فيه تبويب فقهي، ويدخل في ذلك التبويب الإمام الطحاويّ في كتابه: شرح معاني الآثار، والمستدرك للإمام الحاكم أبي عبد اللَّه، ومسند الإمام الشافعيّ، وموسوعة الأم، وغير ذلك.

- غير أنَّ الإمام البخاري بدأ صحيحه بكتاب بدء الوحي، ثُمَّ كتاب الإيمان، ثُمَّ كتاب العلم، ثُمَّ كتاب الوضوء، وبدأ الإمام مسلم بكتاب الإيمان، ومن بعده كتاب الطهارة.

وجعل الإمام الدارميّ وهو متقدم عنهم جميعًا -إلَّا الإمام أحمد- فقدّم لسُننه بمقدمة جليلة جعلها في «أصول السُّنَّة»، ثُمَّ من بعده فعل الإمام ابن ماجه مثله، وقد قال بعض الأئمة: سنن الدارمي حقيقة بأن تكون الكتاب السادس في السنن، بدلًا من سنن ابن ماجه، وسبب ذلك كثرة ورود الأحاديث الضعيفة فيها وقلة ذلك عند الدَّارميّ؛ إضافة إلىٰ أنه شيخ هؤلاء الأئمة: مسلم، أبو داود، الترمذيّ، البخاري، النسائيّ، وأبو حاتم الرازي وأبو زرعة، والذهليّ، وعبد اللَّه بن أحمد بن حنبل، كما في: «تهذيب التهذيب» (٣/ ١٩١- ١٩٣) ترجمة (٣٨٧٥) لابن حجر العسقلاني.

فلمَّا كان ذلك كذلك، وقد عُلم أيضًا عدم اهتمام أهل العلم بخدمة هذا السِّفْر الجليل، لاسيِّما مقدمته لهذه السنن، وما فيه من أصول السُّنَّة، ومن ثُمَّ قلت عناية النَّاس بهذه السنن، مع أنَّ كل السنن السبعة شُرحت شروحات تترًا من أئمة كبار.

● وعليه، فقد عزمت توجيه النظر، ولفت البصر إلىٰ هذه المقدمة، والتي كتبت فيها هذا الكتاب المسمَّىٰ: «**المنتقىٰ العلمي من مقدّمة سنن الدارميّ، وتعليقه المنهجيّ**»، والذي بدأته بترجمة موجزة للإمام الدارميّ، وأوَّل ما أذكره فيها.

● **قول أئمة الدّين في هذا الحَبْرِ المتين؟! وترجمة الدارمي:**

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «تهذيب التهذيب» (٣/ ١٩٢):

«وقال أبو حاتم بن حبَّان: كان الدَّارميّ من الحُفَّاظ المتقنين، وأهل الورع في الدين، ممَّن حفظ وجمع، وتفقّه وصنَّف وحدَّث، وأظهر السُّنَّة ببلده، ودعا إليها، وذبّ عن حريمها، وقمع من خالفها» اهـ.

قلت: وكفىٰ بها منقبة ومزيّة وفخرًا وعلمًا وإمامة وهَدْيًا ومنهجًا وسبيلًا، فهو إمام في الحديث والفقه وإمام في أصول السُّنَّة وصلاح المعتقد، علىٰ مثل ما كان عليه النَّبِيّ ﷺ وصحابته الكرام -رضي اللَّه عنهم أجمعين-.

قال الإمام شمس الدين محمد بن عثمان الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ) في موسوعته: «سِيَرُ أَعلامِ النُّبَلاءِ» (١٠/ ١٦٩- ١٧٤) مُلَخَّصًا:

«**٢٠٤٣**- الدَّارميّ عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد اللَّه، الحافظ الإمام، أحد الأعلام، أبو محمد التّيميُّ، ثُمَّ الدارميّ السمرقندي [وُلد سنة ١٨١، وتُوُفِيّ ٢٥٥هـ]، ودارم هو ابن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم.

وروىٰ عن يزيد بن هارون والنضر بن شُميل وأبو عاصم وأبو نعيم.....، وحدث عنه مسلم وأبو داود والترمذي وعَبْد بن حُميد وهو أقدم منه، والحسن بن الصبَّاح البزَّار، ومحمد بن بشار بُنْدار، وقد روىٰ الترمذي أيضًا عن محمد بن إسماعيل البخاري عنه، وبقيّ بن مخلد، وأبو زرعة وأبو حاتم.....

قال عبد الصمد بن سليمان البَلْخِيّ: سألت أحمد بن حنبل عن يحيىٰ الحِمَّاني

فقال: تركناه لقول عبد اللَّه بن عبد الرحمن؛ لأنَّه إمام [يعني تركنا حديث الحِمَّاني لأنَّ الدارميّ تكلم فيه وضعّفه، والإمام أحمد أكبر منه، فهذه منقبة للدارميّ].

وقال إسحاق بن داود السمرقنديّ: قَدِمَ قريبٌ لي من الشّاش فقال: أتيت أحمد بن حنبل، فجعلت أصف له أبا المَنذر وجعلت أمدحه فقال: لا أعرف هذا، فقد طالت غيبة إخواننا عنَّا، لكن أين أنت من عبد اللَّه بن عبد الرحمن؟ عليك بذاك السِّيد، عليك بذاك السَّيد.

وروىٰ نعيم بن ناعم قال: سمعت محمد بن عبد اللَّه بن نُمير يقول: غلبنا عبد اللَّه بن عبد الرحمن بالورع.

وقال إسحاق بن إبراهيم الوراق: سمعت محمد بن عبد اللَّه المخرِّميّ يقول: يا أهل خُراسان، ما دام عبد اللَّه بن عبد الرحمن بين أظهركم فلا تشتغلوا بغيره، قال:

وسمعت أبا سعيد الأشج يقول: عبد اللَّه بن عبد الرحمن إمامنا.

وسمعت عثمان بن أبي شيبة يقول: أَمْرُ عبد اللَّه بن عبد الرحمن أظهر من ذاك فيما يقولون من البصر والحفظ وصيانة النفس عافاه اللَّه.

وقال محمد بن بشَّار. حفّاظ الدنيا أربعة: أبو زُرْعة بالرَّي، ومسلم بنيسابور، وعبد اللَّه بن عبد الرحمن بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببُخَارىٰ.

[قال الذهبي]: قلت: كان بُندار يفتخر بكونهم حَملوا عنه [يعني هؤلاء حُفَّاظ الدنيا].

وروىٰ إسحاق بن أحمد بن زَبْرَك، عن أبي حاتم الرَّازي قال: محمد بن إسماعيل البخاري أعلم من دخل العراق، ومحمد بن يحيىٰ أعلم من بخراسان اليوم، ومحمد بن أسلم أورعهم، وعبد اللَّه بن عبد الرحمن أثبتهم.

وروىٰ عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبيه: قال: عبد اللَّه بن عبد الرحمن إمام أهل زمانه.

وقال أبو حامد بن الشّرْقيّ: إنَّما اخْرَجَت خراسانُ من أئمة الحديث خمسة:

محمد بن يحيىٰ، ومحمد بن إسماعيل، وعبد اللَّه بن عبد الرحمن، ومسلم بن الحجَّاج، وإبراهيم بن طالب.

وقال محمد بن إبراهيم بن منصور الشّيرازيّ: كان عبد اللَّه علىٰ غاية من العقل والدّيانة من يُضرب به المثل في الحلم والدّراية والحفظ والعبادة والزّهادة، أظهر علم الحديث والآثار بسمرقند، وذبّ عنَّا الكذب، وكان مفسّرًا كاملًا، وفقيهًا عالمًا.

وقال أبو بكر الخطيب البغدادي: كان أحد الرَّحالين في الحديث، والموصوفين بحفظه وجمعه والإتقان له، مع الثّقة والصّدق والورع والزهد، واسْتُقْضَىٰ علىٰ سمرقند فأبَىٰ، فألحَّ عليه السلطان حتىٰ يُقلّده، وقضىٰ قضية واحدة ثُمَّ استعْفِيَ فأُعْفِيَ، وكان علىٰ غاية العقل، ونهاية الفضل، يُضرب به المثل في الدّيانة، والحلم، والرَّزانة، والاجتهاد، والعبادة، والزهادة، والتقلّل، وصنَّف «المسند»، و«التفسير»، و«الجامع».

● قال إسحاق بن أحمد بن خلف: كنَّا عند محمد بن إسماعيل البخاريّ فورد عليه كتاب فيه نَعْي عبد اللَّه بن عبد الرحمن فنكَّس رأسه ثُمَّ رفع واسْتَرْجَعَ وجعل تسيل دموعه علىٰ خدّيه ثُمَّ أنشأ يقول:

إنْ تَبْقَ تَفْجَعُ بالأحبَّةِ كُلِّهِمْ وَفناءُ نَفْسِكَ لا أبالَكَ أفْجَعُ

ثُمَّ قال إسحاق: ما سمعناه يُنْشِدُ إلَّا يجيء في الحديث

[قال الإمام الذهبي]: قلت: قد كان الدَّارميّ رُكْنًا من أركان الدِّين، قد وثَّقه أبو حاتم الرَّازي والنَّاس، وحدَّث عنه بُندر والكبار، وبلغنا عن أحمد بن حنبل وذكر الدَّارمي فقال: عُرِضَتْ عليه الدّينا فلم يَقْبَل.

قال رجاء بن مُرجَّىٰ: رأيت سليمان الشَّاذكُونِّي، وإسحاق بن راهوية وسمَّىٰ جماعة، فما رأيت أحفظ من عبد اللَّه الدَّارميّ ومن حديثه» اهـ.

● **قلت**: هذه أقوال أئمة الدّين الكبار في الإمام الدَّارمي رَحِمَهُ اللَّهُ وجزاه عن المسلمين خير الجزاء، وقد ترجم له أئمة الحديث واكتفيتُ بما نقلت خشية الإطالة، والمقام مقام الاختصار والانتقاء.

وعليه، فعلىٰ ضوء ما تقدَّم، فقد تبصر قارئُ هذا الكتاب بهذا الإمام العالم الجهبذ الفقيه الثبت، فاسحب ما تلقيّته وتأمل وتدبَّر ما تكون مقدمة الدارميّ بناءً علىٰ علمه فهمه؟!

- **صفة مقدّمة الدَّارمِيّ وما فيها من الأبواب.**

بدأ الإمام الدارميّ كتابه سُنن الدَّارمي بعد البسملة فقال: «المقدّمة»، وأسْردها في حوالي مائتي صفحة كلها روايات غالبها آثار عن السلف الكرام وتخللها أحاديث مرفوعة إلىٰ رسول اللَّه ﷺ من خلال (٥٧) بابًا، و(٦٤٩) حديث وأثر، منها المنفرد في المعنىٰ والسند لراوي واحد، ومنها المشترك في المعنىٰ بين رواة كثُر تتعاضد رواياتهم علىٰ تأكيد أمر واحد سواء بنفس اللفظ، أو قريب منه في الدّراية والفقه.

فكان أول باب في هذه المقدّمة: (باب ما كان عليه النَّاس قبل مَبْعَثِ النَّبِيّ ﷺ من الجهل والضلالة)، ومن الباب (٢) إلىٰ الباب (١٥) كلها أبواب في صفة النَّبِيّ ﷺ في الكتب قبل مَبْعثِهِ، وكيف كان أوَّل شأنه، وما أكرم به اللَّهُ نبيّه من إيمان الشجر به والبهائم، والجنّ، وتفجير الماء من بين أصابعه، وحنين المنبر له، وبركة طعامه، وما أعطيَ من الفضل، وأنه أُرسل إلىٰ النَّاس كآفّة، وأنه سيد الأولين والآخرين، وأنه حامل لواء الحمد يوم القيامة، وأوَّل شافع وأوّل مُشَفَّع، وأوَّلهم خروجًا عند النشور، وأول من يأخذ بحلقة باب الجنَّة، وما أكرم به من الحُسن والنّور، وكلامه للشاة المذبوحة، وفي سخائه، وتواضعه، ثُمَّ في وفاته، وما كان من الإكرام له بعد موته، وفي جملة هذه الأبواب بيان شمائله، وهي جمع شميلة، وتعني أخلاق وخصال حسنة وفاضلة، يقال: يقطر من شمائله ماء الكرم[1]، وغالب هذه الأبواب أحاديث مرفوعة إلىٰ النَّبِيّ ﷺ، وتعتبر ثلث هذه المقدّمة.

وكل ذلك مبثوث في كتب وتصانيف الحفّاظ المحدّثين، فلم ينفرد الدارميّ بذلك، ولذلك لم أثْبتها في كتابي هذا، ولم أذكر منها إلَّا أول باب لأهمّيته

(١) «معجم اللغة العربية المعاصر» مادة شمائل، جمع شميلة، وهي الصفات الفائقة الحسن.

والتعليق عليه.

• ثُمَّ من الباب (١٦) باب اتباع السُّنَّة إلىٰ آخر الأبواب الـ(٥٧) أوردتها كلها وعلقت عليها وانتقيت من رواياتها كلّها لاسيّما المكرر والمعاد منها، ما يفي بالمطلوب، كما سيأتي لاحقًا، وخلاصة هذه الأبواب: هي أصل هذه المقدّمة علىٰ مثل ما كان عليه النَّبِيّ ﷺ، من السمع الطاعة للَّه وللرسول ولأئمة المسلمين، وعدم الخروج عليهم، والتَّورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، وردّ الآراء والمعقولات، وكراهية الفتيا وعدم التسّرع فيها، وبيان الأدلة الشرعة الكلية من الكتاب والسُّنَّة والإجماع والقياس الصحيح والاجتهاد المعتبر بشروطه، وكراهة التنطع والابتداع، والتمسك بالسنن، وتغيّر الزمان وما يحدث فيه، والاقتداء بالعلماء الربّانيين، وأنَّ موتهم ذهاب للدّين ونقض لعراه، ووجوب التبليغ عن اللَّه ورسوله، وبيان ذهاب العلم، وأنَّ الإيمان قول وعمل ونية واتباع السُّنَّة، وأنَّ العلم خشية اللَّه وتقواه، والنهي عن الأهواء والمحدثات، وفضل العلم والعالِم، والتّرخص في رواية الحديث إذا أصاب المعنىٰ بدون لبْس، والتوبيخ لمن يطلب العلم لغير اللَّه وخطورة ذلك علىٰ الأمّة، واجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة، ووجوب توقير العلماء، ووجوب الحديث عن الثقات الأثبات، وأنه لا رأي لأحد مع سنّها رسول اللَّه ﷺ، وتعجيل عقوبة من لم يعظم حديثه بعد بلوغه ووجوب توقيره، وكراهة إملال النَّاس بكثرة التحديث، وبيان كراهة كتابة الحديث والترخَص فيه، مع بيان أهمّية التدوين للأمّة وأسباب ذلك.

ثُمَّ باب حديث من سنن سنّة حسنة أو سيّئة، وبيان معنىٰ ذلك، وكراهة الشهرة والمعرفة فهو إجماع السلف الكرام، ثُمَّ ضرورة البلاغ عن رسول اللَّه ﷺ، وتعليم السّنن، وباب الرّحلة في طلب العلم واحتمال العَنَاءِ فيه، وأنَّ السُّنَّة قاضية علىٰ الكتاب؛ لأنها تُبيّنُهُ، وبيان مذاكرة العلم، ثُمَّ باب اختلاف الفقهاء، ورجوع أهل العلم عن فتاويهم وتغيير رأيه عند وصول الحديث إليه، أو اختلاف اجتهاده لدليل، وفيه إعظام العلم، ثُمَّ رسالة عامَّة للأمة وهي الرسالة الأخيرة في آخر باب من المقدمة «باب رسالة عبَّاد بن عبَّاد الخوَّاص الشَّامي».

- **عملي في هذا المُنْتقى:**

وزيادة علىٰ ما سبق من توطئة المنتقىٰ من التعريف بالكتاب أقول:

١- تحقيق الأحاديث النبوية الصحيحة، وحذف الضعيف، والمتكرر في اللفظ والمعنىٰ، لنفس الإمام أو لغيره عند التوافق في لفظ الأثر ومعناه، إلَّا ما اقتضىٰ السياق إثباته، وذلك علىٰ ضوء منهج الكتاب في التلخيص والاختصار الذي لا يخل ببنية الكتاب الأصلي وهو مقدمة سنن الدارميّ، مع العلم بمراعاة أن يكون من الأحاديث الضعيفة المحذوفة ما يسدّ مكانها وما يوافق معناها من آثار السلف من الصحابة ومن بعدهم.

٢- التوسّع في ذكر الآثار غير المرفوعة إلىٰ النَّبِيّ ﷺ علىٰ شريطة صحة معناها، علىٰ ما هو منهج الكثير من المحدّثين، وأصل ذلك مقولة الترمذي الشهيرة: «حديث ضعيف وعليه العمل».

٣- كل باب عند الدارمي آخذ منه جزءًا وافرًا يفي بالمراد؛ رغبة في تكثيف الفكرة والمعلومة والهدف، والوصول إلىٰ البغية، لاسيّما مع قلة الهمة وضعف القوة والنصب عند جل طلبة العلم، إلَّا من رحم اللَّه وقليل ما هم، وحتىٰ لا يملوا من الاطلاع، وذلك من باب رياضة الصعب، كما سيأتي من كلام الإمام العالم الفقيه عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد، ثُمَّ الأبواب التي تتعلق بالفتيا كلها بآثارها يشرح بعضها بعضًا فالتعليق عليها مُوجز لذلك.

٤- أكتفىٰ بالآثار الموقوفة علىٰ السلف عند الدارمي مع علمي بمن رواها في المصنفات الأخرىٰ، وذلك لكثرة نقولاتي في عشرات الكتب من مصنفاتي، والتي هي مليئة بالآثار، وكلها pdf علىٰ موقعي، وخشية الإعادة والتكرار، وهذا من الصنعة التصنيفية عند أئمة السلف، فهم بإذن اللَّه أصل ما أنا فيه من التصانيف، ولا حول ولا قوة إلَّا باللَّه.

٥- تعضيد هذا الكتاب بنقولات السلف التي تبين وتوضح وتفسر وتشرح ما ينبغي شرحه من آثار وأحاديث وآيات هذه المقدمة لغةً وفقهًا ومعنىٰ، حتىٰ يكون القارئ علىٰ علم وفهم بما يقرأ من هذه المقدمة.

وهذا المقصود من هذا الكتاب، بل في كل كتاباتي، لأنَّ ذلك هو العلم النافع القائم علىٰ الرواية والدراية بين اللفظ والمعنىٰ، والعلة والسبب، وزوال موانع الغموض واللَّبْس، ويكون ذلك علىٰ حسب ما يحتاج إلىٰ بيان وكشف المراد، ولذلك فليس بلازم شرح كل الآثار، لأنَّ بعض ما شُرح يفصل ما لم يُشرح، ونفس هذه الآثار يفسر ويوضح بعضها بعضًا.

٦- تحصيل معلومة جديدة تكون المكتبة الإسلامية الشرعية في حاجة إليها؛ من خلال تناول المصنّفات التي لم يتم بيانها وشرحها وتسليط الضوء عليها، علىٰ ما وصل علمي بعدم تناولها، كما حدث مثلًا في كتابي: «**الفلذ شرح النبذ في أصول الفقه لابن حزم الظاهري**»، وأظن أنه لم يتناوله أحد، واللَّه تعالىٰ أعلم، وكذلك كتابي في مختصر الكافي لابن قدامة، وللَّه الحمد والمنة ولا حول ولا قوة إلَّا باللَّه وحده.

٧- إتمام ما لم يذكره الدارمي في مقدمته وما لابد منه لإكمال الفكرة والمعلومة، من خلال معتقد الدارمي في كتابه هذا، وبعض الآثار التي ذكرها غيره، أو ذكرها هو وتحتاج إلىٰ بيان أكثر، مثل كتاب: «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطة العكبري، و«الشريعة للآجُرّي»، و«شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» للالكائي، و«السُّنَّة» لأبي عبد اللَّه المروزي، وبعض أهل التفسير، وشروحات الكتب السّبعة وغيرها للوصول لتمام المنّة.

٨- أزدت بعض العناوين سواء في متن المقدمة بين معكوفتين، أو في الهامش وتحته جملة من الفوائد متصلة بأبواب المقدمة، إمعانًا في الظهور وبيان علل المسائل والأبواب، وعدَّلت من أرقام الأحاديث والآثار بأرقام أخرىٰ علىٰ حسب تصنيفي ذلك.

٩- حذفت بعض الأبواب كما مرَّ آنفًا، وتوسعت في باب اتباع السُّنَّة، لأهميّته وكونه لبَّ الكتاب، وفصلت فيه القول بما يغني عن التعليقات الكثيرة علىٰ ما سيكون في الأبواب التالية، فجعلت هذا الباب بيانًا كلّيًا، فاجْعل ذلك علىٰ ذكرٍ منك عن قراءة هذا الكتاب، وقد بدّلت أرقام الأبواب بالترقيم الجديد.

١٠- بعض الآثار تكون مهمة ودعامة أصيلة لمنهج المقدمة، فأفضّل فيها القول تأكيدًا وتفسيرًا كالإجماع الذي نقله الزهري: «كان من مضىٰ من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسُّنَّة نجاة، والعلم يُقبض قبضًا سريعًا، فنعش العلم ثبات الدين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله».

روىٰ مسلم في «صحيحه» (٨١٧) عن رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ اللَّه يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع آخرين**».

فما أجمل هذا الحديث العمدة في منزلة العلم الشرعي ومدىٰ منزلته ورفعته، وهو تفسير وبيان لقوله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

ومنها أقول: معنىٰ العلم والجهل: أمَّا العلم فهو: إدراك الشيء بحقيقته، والعلم: المعرفة، والعلم ضد الجهل، والعلم: مجموع مسائل وأصول كلّية حول موضوع واحد وتعالج بمنهج معين، والعلم أصل صحيح يدلُّ علىٰ أثر بالشيء يتميز به عن غيره، والتعليم: تنبيه النفس لتصور ذلك، يختص بتكرير وتكثير حتىٰ يحصل منه أثر في النفس لتصور المعاني، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] تنبيه منه تعالىٰ علىٰ تفاوت منازل العلوم، وتفاوت أربابها.

والعلم: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقيل: هو حصول صورة الشيء في العقل، وقيل: العلم: إدراك الشيْء علىٰ ما هو به، وقيل: العلم هو زوال الخفاء من المعلوم، وعلم الشيء يعلمه علمًا: عَرَفَه، وقيل: العلم وصول النَّفس إلىٰ معنىٰ الشيء.

وقال أهل العلم بإجماعهم: العلم معرفة الحق بدليله، وقالوا: الهدىٰ معرفة الحق والعمل به، وهذا هو المعتمد عن أهل الحَلّ والعقد.

ويُقال: علم وفقه؛ أي: تعلم وتفقّه، وعلم وفَقُه؛ أي: ساد العلماء والفقهاء، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم خشية اللَّه».

- **أمَّا الجهل فهو**: هو اعتقاد الشيء علىٰ خلاف ما هو عليه، والجهل

البسيط: هو عدم العلم عمَّا من شأنه أن يكون عالمًا، والجهل المركب: هو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع، والجهل ضد ونقيض العلم، والجهالة: أن تفعل فعلًا بغير العلم.

[«لسان العرب» (١٠/ ٢٦٣)، (٣/ ٢٢٨)، «التعريفات» (ص: ٧١، ١٣٦)، «مقاييس اللغة» (١/ ٤٨٩)، (٤/ ١٠٩)، «المفردات في غريب القرآن» (ص: ١٠٢)، (٣٤٣)، «إعلام الموقعين» (١/ ١٤)].

- **العلم معرفة الحق بدليله والجهل ضدّه وبيان ذلك:**

قلت: عموم العلم والجهل يشمل المعرفة سلبًا وإيجابًا في كل العلوم الدنيوية والدينية الشرعية، وأصل صلاح الدين والدنيا هو العلم الشرعيِّ، القائم علىٰ الكتاب والسُّنَّة والإجماع وما تفرع عنها من الأدلة الشرعية؛ لأنَّ العلم معرفة الحق بدليله، والجهل عدم معرفة الحق وعدم معرفة دليله، فالجهل نقيض العلم، والعلم ضد الجهل، وبالعلم يُعرف الحق من الباطل، والهدىٰ من الضلال، والرشاد من الغي، والسُّنَّة من البدعة، والنور من الظلمات، والعلم من الجهل، وما هو حلال وما هو حرام، وما يجوز وما لا يجوز، ومعرفة الفهم والوعي والإدراك والبصيرة، والإيمان والفسوق والنفاق، والعدل والإنصاف، والحكمة والرحمة، والظلم والغش والأمانة، والتلبيس والتدليس، وغير ذلك من مسائل الدين التي تقوم عليها أمور الدنيا والدين.

- **آية وحديث في المسألة:**

قال أبو عبد اللَّه القرطبي في: «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢١٨):

«قوله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ فيرفع المؤمن علىٰ من ليس بمؤمن، والعالم علىٰ من ليس بعالم، قال ابن مسعود: «مدح اللَّه العلماء في هذه الآية»، والمعنَىٰ: أن يرفع اللَّه الذين أوتوا العلم علىٰ الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم «درجات» في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به، وبين تعالىٰ في هذه الآية: أنَّ الرّفعة عند اللَّه تعالىٰ بالعلم والإيمان، فيرفع اللَّه به العالم والطالب للحق، والعموم أوقع في المسألة وأوْلىٰ بمعنىٰ الآية، فيرفع المؤمن بإيمانه أولًا،

ثُمَّ بعلمه ثانيًا» اهـ.

وقال أبو العباس القرطبيّ في: «المفهم لما أُشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٢/ ٣٥٧):

«قوله ﷺ: «**إنَّ اللَّه يرفع بهذا الكتاب**» يعني يُشرَّف ويُكرّم في الدنيا والآخرة، وذلك بسبب الاعتناء به، والعلم بهذا القرآن، والعمل بما فيه «**ويضع آخرين**» يعني: يحقّر ويصغر في الدنيا والآخرة؛ وذلك بسبب تركه والجهل به، وترك العمل به» اهـ.

هذا آخر ما كان من توطئة المنتقىٰ، فأبدأ بفضل اللَّه ومنه والذي لا تتم الصالحات إلَّا به، بأول مقدمة الدارميّ، ولا حول ولا قوة إلَّا باللَّه، فإليك هو:

قال الحافظ الإمام عبد اللَّه بن عبد الرحمن الدارمي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«المقدمة»

باب ما كان عليه النَّاس قبل مبعث النَّبِيّ ﷺ من الجهل والضلالة

١- حدثنا . . . . عن عبد اللَّه بن مسعود قال: جاء رجل إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، أيؤاخذ الرَّجل بما عمل في الجاهلية؟ قال ﷺ: «**من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما كان عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أُخِذَ بالأول والآخِرِ**» [١]. . . . .

● **شرح الحديث:**

[١] قلت: هذا الحديث رواه البخاري في «صحيحه» (٦٩٢١) ومسلم (١٢٠) كتاب الإيمان باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية؟

قال النووي في «شرح مسلم» (٢/ ٢٠٣):

«وأمَّا معنىٰ الحديث، فالصحيح فيه ما قاله جماعة من المحققّين، أنَّ المراد بالإحسان هنا: الدخول في الإسلام بالظاهر والباطن جميعًا، وأن يكون مسلمًا حقيقيًّا، فهذا يُغفر له ما سلف في الكفر بنص القرآن العزيز [قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، والحديث الصحيح قال ﷺ: «**الإسلام يهدم ما قبله**» [رواه مسلم في «صحيحه» (١٢١) بعد حديث الباب]، وبإجماع المسلمين.

والمراد بالإساءة: عدم الدخول في الإسلام بقلبه، بل يكون منقادًا في الظاهر مُظْهرًا للشهادتين غير منعقد للإسلام بقلبه؛ فهذا منافق باق علىٰ كفره بإجماع المسلمين، فيؤاخذ بما عمل في الجاهلية قبل إظهاره صورة الإسلام، وبما عمل بعد إظهارها؛ لأنه مستمر علىٰ كفره، وهذا معروف في استعمال الشرع؛ يقولون: حسن إسلام فلان إذا دخل فيه حقيقة =

٢- أخبرنا هارون بن معاوية، . . . . ، . . . . ، عن مجاهد قال: «حدثني مولاي أنَّ أهله بعثوا معه بقَدَح فيه زُبْدٌ ولبَنُ إلىٰ آلهتهم، قال: فمنعني أنْ آكلَ الزُّبد لمخافتها، قال: فجاء كلب فأكل الزّبد وشرب اللبن، ثُمَّ بال علىٰ الصنم وهو إِسَافُ ونائلة.

قال هارون: كان الرّجل في الجاهلية إذا سافر حمل معه أربعة أحجار، ثلاثة لِقدْرِهِ، والرَّابع يعبده، ويربّي كلبه ويقتل ولده» [٢]. . . . . .

= بإخلاص، وساء إسلامه أوْ لم يحسن إسلامه إذا لم يكن كذلك، واللَّه أعلم» اهـ.

قلت: وقال الحافظ ابن حجر في: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٢/ ٢٩٤-٢٩٥):

«إنَّ المراد بالإساءة الكفر، لأنَّه غاية الإساءة وأشدّ المعاصي، وإذا ارتد ومات علىٰ كفره كان كمن لم يسلم فيعاقب علىٰ ما قدمه، وإلىٰ ذلك أشار البخاريّ بإيراد هذا الحديث بعد حديث النَّبِيّ ﷺ: «**أكبر الكبائر الإشراك بالله**» [«صحيح البخاري» (٦٩١٩)].

وعن أبي عبد الملك البُونيّ: معنىٰ من أحسن في الإسلام؛ أي: أسلم إسلامًا صحيحًا لا نفاق فيه ولا شكّ، ومن أساء في الإسلام أي أسلم رياء وسمعة، وبهذا جزم القرطبيّ، ولغيره:

معنىٰ الإحسان: الإخلاص حين دخل فيه وداومه عليه إلىٰ موته، والإساءة ضد ذلك؛ فإنه إن لم يُخلص إسلامه كان منافقًا، فلا ينهدم عنه ما عمل في الجاهلية؛ فيضاف نفاقه المتأخّر إلىٰ كفره الماضي فيعاقب علىٰ جميع ذلك؛ . . . . وأنَّ الكافر يكون بإسلامه كيوم ولدته أمه، والأخبار دالة علىٰ ذلك» اهـ.

[٢] قلت: روىٰ مسلم في «صحيحه» (١٦٦١) قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**».

قال ابن منظور في «لسان العرب» (٣/ ٢٢٩):

«هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل باللَّه سبحانه ورسوله وشرائع عليها العرب، والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبُّر، وغيره ذلك، وأرض مجهل =

= لا يُهتدىٰ فيها، وأرض مجهولة: لا أعلام بها ولا جبال» اهـ.

وقال النووي في: «شرح مسلم» (١١/ ٢٩٠):

«قوله ﷺ: «**فيك جاهلية**»؛ أي: هذا التعبير من إخلاق الجاهلية، ففيك خلق من أخلاقهم؛ وينبغي للمسلم أن لا يكون فيه شيء من أخلاقهم، ففيه النَّهي عن التعيير وتنقيص الآباء والأمهات وأنه من أخلاق الجاهلية» اهـ.

وقال الراغب الأصفهاني في: «المفردات في غريب القرآن» (ص: ١٠٢):

«الجهل علىٰ ثلاثة أضرب: الأول: وهو خلوّ النفس من العلم، هذا هو الأصل، وقد جعل ذلك بعضهم معنىٰ مَتقَضِيًا للأفعال الجارية به علىٰ غير نظام، والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقّه أن يُفعل سواء اعتقد فيه اعتقادًا صحيحًا أو فاسدًا كمن ترك الصلاة متعمّدًا، وعلىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] فجعل فِعْل الهَزْو جهلًا» اهـ.

والجهل نقيض العلم، **قال الجورجاني في: «التعريفات» (ص: ٧١):**

«الجهل البسيط: هو عدم العلم عمَّا من شأنه أن يكون عالمًا، والجهل المركّب: هو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع» اهـ.

- **معنى الضلالة:**

وقال الراغب في: «المفردات» (ص: ٢٩٧):

«الضلال العدول عن الطريق المستقيم ويضادّه الهداية، قال تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٥]، ويُقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمدًا كان أو سهوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا، فإن الطريق الذي هو المرتضي صعب جدًّا» اهـ.

قلت: لقد ذكرت هذه المعاني لورود لفظتي الجهل والضلالة في الباب المذكور، والذي روىٰ تحته الحديث والأثر، وأصل لفظة الجاهلية تُناسب الجهل المركّب، وهو أشدّ من الجهل البسيط، لأنه يؤدّي إلىٰ الضلال والتضليل، وبه يُزيّن الباطل، كما قال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾ [التوبة: ٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤]، ولا تقتصر أمور الجاهلية علىٰ المشركين، بل تكون =

= للموحّدين المسلمين، علىٰ ما عندهم من قلة العلم وغلبة الهوىٰ، وانتشار الجهل وذيوعه، وظهور الضلال ووجود أسبابه وشروطه، وذلك مع العادات والتقاليد التي تأصَّلت عند الموحدين ونشأت بينهم وتجذّرت وتمت وقبلها النَّاس، مع قلّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

* * *

٢- باب اتِّباع السُّنَّة

٣- أخبرنا، . . . . ، عن عرباض بن سارية قال: صلىٰ لنا رسول اللَّه ﷺ صلاة الفجر، ثُمَّ وعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول اللَّه كأنها موعظة مودّع فأوصنا فقال ﷺ: «**أوصيكم بتقوىٰ اللَّه والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًّا، فإنّه من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والمحدثات، فإنَّ كل محدثة بدعة**»، وفي رواية: «**وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل بدعة ضلالة**»[1] [٣].

- **شرح الحديث ومعنى الاتباع والسُّنَّة:**

[٣] **قوله: (اتباع السُّنَّة)** قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

قال القرطبيّ في: «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ١١٨):

«قوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ يعني الكتاب والسُّنَّة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]، وقالت فرقة: هذا أمر يعم النَّبِيّ ﷺ وأمّته، والظاهر أنه أمر لجميع النَّاس دونه؛ أي: اتبعوا ملّة الإسلام والقرآن، وأحلّوا حلاله، وحرَّموا حرامه، وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، ودلَّت الآية علىٰ ترك اتّباع الآراء مع وجود النَّص قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ﴾؛ أي: من غيره، والهاء تعود علىٰ الرّب سبحانه، والمعنىٰ: لا تعبدوا معه غيرهُ، ولا تتخذوا مَنْ عَدَلَ عن دين اللَّه وليًّا، وكل من رَضِيَ مذهبًا فأهل ذلك المذهب أولياؤه» اهـ.

وقال السنديّ في: «شرح سنن ابن ماجه» (١/ ٧):

«اتباع سنة رسول اللَّه ﷺ يحتمل أنَّه أراد بالسُّنَّة ما هو أحد الأدلة الأربعة المذكورة =

---

(١) الحديث رواه أحمد في المسند (١٧٠٧٩) والترمذي في «سننه» (٢٧٧٦) والحاكم في «المستدرك» (٣٢٩، ٣٣٢) وصححه ووافقه الذهبي، وابن ماجه في «سننه» (٤٢، ٤٣).

= في كتب أصول الفقه: وهي الكتاب، والسُّنَّة، والإجماع، والقياس الصحيح، والسُّنَّة بهذا المعنىٰ: تشمل قوله ﷺ وفعله وتقريره، فكل ذلك من الأدلة التي تثبت بها الأحكام الشرعية ويجب علىٰ النَّاس اتباعها، واتباع السُّنَّة بهذا المعنىٰ: الأخذ بمقتضاها في تمام الأحكام الدينية، من الإباحة والوجوب والحرمة والندب والكراهة، ويحتمل أنه أراد بالسُّنَّة: الطريقة المسلوكة له ﷺ، فيشمل تمام الدين، سواء أثبت بالكتاب أو بالسُّنَّة، واتباع السُّنَّة بهذا المعنىٰ: هو الأخذ بها، والسُّنَّة بالمعنىٰ الأول من أقسام الدليل(١)، وبالمعنىٰ الثاني هو المدلول(٢)، وأحاديث الباب تناسب المعنيين في الجملة، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وليس لأحد أن يستبدَّ بالكتاب عن السُّنَّة، قال الفاضل الطّيبيّ: هذا توبيخ وتقريع نشأ من تعظيمٍ عظيمٍ علىٰ ترك السُّنَّة والعمل بالحديث؛ استغناء بالسُّنَّة عن الكتاب، هذا مع الكتاب، فكيف بمن رجَّح الرأي علىٰ الحديث؟!، وإذا سمع حديثًا من الأحاديث الصحيحة قال: لا عليَّ بأن أعمل بها فإنَّ لي مذهبًا اتّبعه» اهـ.

- **الوصية بالتقوى وإجماع فيها:**

قلت: وقوله ﷺ: «**أوصيكم بتقوىٰ اللَّه والسمع والطاعة**».

قال ابن منظور في «لسان العرب» (٥/ ٢٢٧):

«أوصَىٰ الرجل ووصَّاه عهد عليه، وتواصي القوم؛ أي: أوصىٰ بعضهم بعضًا، وفي الحديث: «**استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوان عندكم**» اهـ والحديث رواه مسلم في «صحيحه» (١٢١٨) في حجّة الوداع، وعوان؛ أي: أسيرات، وهو عهد بحسن معاملتهن =

(١) **الدليل**: هو البيّنة والبرهان والحجّة، **والدليل في اللغة**: هو المرشد وما به الإرشاد، **وفي الاصطلاح**: هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، «التعريفات» (ص: ٩٣).
وقال أبو عمر بن عبد البر: «أجمع النَّاس أنَّ العلم معرفة الحق بدليله» «إعلام الموقعين» (١/ ١٤) لابن القيم، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

(٢) **المدلول**: هو مدلول الكلمة ومعناها والصورة الذهنية لما تدل عليه، يعني: تصور مراد اللفظ وفهمه يؤدي إلىٰ تصور المعنىٰ فاللفظ دال والمعنىٰ المتصور المدلول «التعريفات» (ص: ١٨٣).

= بأن يتقوا اللَّه فيهن.

وقال ابن فارس في «مقاييس اللغة» (٦/ ١١٦):

«وصَّىٰ: الواو والصاد والحرف المعتل: أصل يدلُّ علىٰ وَصْل شيء بشيءٍ، ووصَّيت الشيء وصَلْتُه، والوصية من هذا القياس؛ كأنه كلام يوصي أي يوصل» اهـ.

قلت: قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١].

قال القرطبيّ في: «جامعه» (١٣/ ٢٢٢):

«أي: اتبعنا بعضه بعضًا، وبعثنا رسولًا بعد رسول، فمعنىٰ «وصلّنا» أتممنا كصلتك بالشيء، وقال السدّي: بيَّنا، وقال ابن عباس، وقال مجاهد: فصَّلنا، وقال ابن زيد: وصّلنا لهم خير الدنيا بخير الآخرة حتىٰ كأنها في الآخرة في الدنيا، وقال أهل المعاني: والينا وتابعنا وأنزلنا القرآن تبع بعضه بعضًا، وعدًا ووعيدًا وقصصًا وعبرًا ونصائح ومواعظ إرادة أن يتذاكروا فيفلحوا، وأصلها من وَصل الجبال بعضها ببعض» اهـ.

قلت: وهذه المعاني الجليلة منسوجة وموصولة بالوصية التي هي تقوىٰ اللَّه والتي معناها:

- **مفهوم كليّ جامع في معنى التقوى:**

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥٥٤٠) عن التابعيّ العالم عون بن عبد اللَّه بن عتبة الهُذلي أنه قال:

«أمَّا بعد، فإني أوصيك بتقوىٰ اللَّه، التي حفظها سعادة لمن حفظها، وإضاعتها شقاوة لمن ضَيَّعها، ورأس التقوىٰ الصبر، وتحقيقها العمل، وكمالها الورع، وأنَّ تقوىٰ اللَّه شرطه الذين اشترط، وحقّه الذي افترض، والوفاء بعد اللَّه: أن تُجعل له ولا تُجعل لمن دونه، فإنَّما يُطاع من دونه بطاعته، وإنَّما تقدَّم الأمور وتؤخّر بطاعته، وأن يُنقص كل عهد للوفاء بعهده، ولا يُنقص عهده للوفاء بعهود غيره، هذا إجماع من القول له تفسير لا يبصره إلَّا البصير، ولا يعرفه إلَّا اليسير». قلت: هذا مفهوم كليٌّ جامع في التقوىٰ

- **بيان السمع والطاعة وذكر الآيات والأحاديث فيها:**

- قوله ﷺ: «**والسمع والطاعة**» هما للَّه وللرسول ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ =

= ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [التغابن: ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]، وغير ذلك من الآيات.

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن كثير في: «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٢٢٣):

«عن ابن عباس: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ يعني: أهل الفقه والدين، وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن البصري وأبو العالية، وقال آخرون: يعني العلماء، والظاهر -واللَّه أعلم- أنَّ الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء، وقد قال تعالىٰ: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ﴾ [المائدة: ٦٣]، وقال سبحانه: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَۙ﴾ [النحل: ٤٣]، وفي الحديث الصحيح المتفق عليه عن أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**من أطاعني فقد أطاع اللَّه، ومن عصاني فقد عصىٰ اللَّه، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصا أميري فقد عصاني**»(١).

فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: اتبعوا كتابه، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾؛ أي: خذوا بسنّته، وقال تعالىٰ: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾؛ أي: فيما أمروكم به من طاعة اللَّه، لا في معصية اللَّه؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية اللَّه، كما تقدم في الحديث الصحيح قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّما الطاعة في المعروف**»(٢) وقال أحمد: حدثنا . . . . عن عمران بن حصين عن النَّبِيّ ﷺ قال: «**لا طاعة في معصية اللَّه**»(٣).

[**وقال ابن كثير قُبيل ذلك:**] عن ابن عباس: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ قال: نزلت في عبد اللَّه بن حذافة بن قيس بن عدي، إذ بعثه النَّبِيّ ﷺ في سريّة. =

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٧١٣٧) ومسلم (١٨٣٥).
(٢) رواه البخاري (٤٥٨٤) ومسلم (١٨٣٤).
(٣) رواه أحمد في مسنده (٧٢٤) وصححه أحمد شاكر في أحاديث (٦٢٢، ١٠١٨) وأصله مر عند البخاري.

= وعن عليّ قال: بعث رسول اللَّه ﷺ سرية، واستعمل عليهم رجلًا من الأنصار، فلمَّا خرجوا وجد عليهم في شيء قال: فقال لهم: أليس قد أمركم رسول اللَّه ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلىٰ، قال: فاجمعوا لي حطبًا، ثُمَّ دعا بنار فأضرمها فيها، ثُمَّ قال: عزمت عليكم لتدخلنّها، قال: فقال شاب منهم: إنَّما فررتم إلىٰ رسول اللَّه ﷺ من النَّار، فلا تعجلوا حتىٰ تلقوا رسول اللَّه ﷺ، فإنْ أمركم أن تدخلوها فادخلوها، قال: فرجعوا إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فأخبروه فقال لهم: «**لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدًا، إنَّما الطاعة في المعروف**»(١).

وعن عبد اللَّه بن عمر عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**السمع والطاعة علىٰ المرء المسلم فيما أحب وكره، وما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»(٢).

وعن عبادة بن الصامت قال: «بايعنا رسول اللَّه ﷺ علىٰ السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعُسْرِنا ويسْرنا وأثرة علينا، وأن لا نُنازع الأمر أهله قال ﷺ: «**إلَّا أن تروا كُفرًا بواحًا عندكم فيه من اللَّه برهان**»(٣).

وعن أنس أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**اسمعوا وأطيعوا وإن أُمَّر عليكم عبدٌ حبشيٌّ كأنَّ رأسه زبيبة**»(٤).

- **بيان المحدثة والبدعة:**

قوله ﷺ: «**وإيَّاكم ومحدثات الأمور فإنَّ كل بدعة ضلالة**».

قال الجُرجاني في «التعريفات» (ص: ٧٤):

«الحدوث: عبارة عن وجود الشيء بعد عدمه» اهـ.

وقال أيضًا في: «التعريفات» (ص: ٤٠):

«البدعة: هي الفعلة المخالفة للسُّنَّة؛ سُمّيت بدعة لأنَّ قائلها ابتدعها من غير مقام إمام.

والبدعة: هي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون، ولم يكن ممَّا اقتضاه الدليل الشرعي» اهـ. =

(١) البخاري (٤٥٨٤) ومسلم (٨٣٤). (٢) البخاري (٧١٤٥) ومسلم (١٨٤٠).
(٣) البخاري (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).
(٤) البخاري (٦٩٣).

= **وقال الشاطبيّ في «الاعتصام» (١/ ٢٤- ٢٥):**

«وأصل مادة «بدع» للاختراع علىٰ غير مثال، ومنه قول اللَّه تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]؛ أي: مخترعهما من غير مثال سابق متقدم، وقوله تعالىٰ: ﴿مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]؛ أي: ما كنت أوَّل من جاء بالرسالة من اللَّه إلىٰ العباد بل تقدمني كثير من الرّسل، ويُقال ابتدع فلان بدعة: يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق، ومن هذا المعنىٰ سُمّيت البدعة بدعة، فاستخراجها للسلوك عليه هو الابتداع، وهيئتها هي البدعة، وقد سُمِّي العمل المعمول علىٰ ذلك الوجه بدعة، فمن هذا المعنىٰ سُمِّي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة، . . . . ، فالبدعة إذًا عبارة عن: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، تقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد للَّه سبحانه» اهـ.

وقال شيخ الإسلام في: «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٣٤٦):

«البدعة: ما خالفت الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة، من الاعتقادات والعبادات» اهـ.

- **حديث جامع في المسألة وشرحه:**

وروىٰ البخاري في «صحيحه» (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو ردّ**»، وفي رواية: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**».

قال الحافظ في: «فتح الباري» (٥/ ٣٥٧):

«وهذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده، فإن معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه، وقال النووي: هذا الحديث ممَّا ينبغي أن يُعتنىٰ بحفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به كذلك، . . . . ، وقوله ﷺ: «**فهو ردّ**» معناه مردود، وكأنه قال: فهو باطل غير معتد به، واللفظ الثاني للحديث: «**من عمل عملًا**» أعمَّ من اللفظ الأول، وهو قوله ﷺ: «**من أحدث**» فيحتجَّ به في إبطال جميع العقود المنهية وعدم وجود ثمراتها المترتبة عليها، وفي الحديث ردّ المحدثات، وأنَّ النهي يقتضي الفساد؛ لأنَّ المنهيات ليست من أمْر الدين فيجب ردّها» اهـ. =

= **قلت: وقال ابن رجب الحنبليّ في: «جامع العلوم والحِكم» (ص: ٨٣):**

«وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، كما في حديث «**إنَّما الأعمال بالنِّيَّات**» [رواه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧)] هو ميزان للأعمال في باطنها وميزان الأعمال في ظاهرها، فكما أنَّ كل عمل لا يراد به وجه اللَّه تعالىٰ فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك عمل لا يكون عليه أمر اللَّه ورسوله فهو مردود علىٰ عامله، وكلّ من أحدث في الدّين ما لم يأذن به اللَّه ورسوله، فليس من الدين في شيء، فهذا الحديث بمنطوقه يدلُّ علىٰ أنَّ كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود، ويدلُّ بمفهومه علىٰ أنَّ كل عمل عليه أمره فهو غير مردود، والمراد بأمره هنا: دينه وشرعه» اهـ.

وقال المباركفوري في: «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» (٧/ ٨٨، ٨٩) ملخصًا:

«قوله: «**وإيَّاكم ومحدثات الأمور**» قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»: فيه تحذير للأمة من اتباع الأمور المُحْدثة المبتدعة، وأكد ذلك بقوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**»، والمراد بالبدعة: ما أحدث ممَّا لا أصل له في الشريعة يدلُّ عليه وأمَّا ما كان له أصل من الشرع يدلُّ عليه فليس ببدعة شرعًا، وإن كان بدعة لغةً، فقوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**» من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وأمَّا ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع؛ فإنَّما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية، فمن ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التراويح: «نعمت البدعة هذه»، وروي عنه أنَّه قال: «إن كانت هذه بدعة فنعمت البدعة»، ومن ذلك أذان الجمعة الأول زاده عثمان لحاجة النَّاس إليه وأقرَّه عليَّ بن أبي طالب بعد ذلك واستمر عليه عمل المسلمين» اهـ.

قلت: وهذا إجماع من الصحابة علىٰ إقرارهم علىٰ ذلك ولا يقروا بباطل.

أمَّا قول عمر، فإنَّ النَّبِيّ ﷺ فعله وصلىٰ التراويح بالصحابة ثلاث ليال، ثُمَّ توقف خشية أن يفرض عليهم وينزل وحي بالوجوب، والحديث رواه البخاري (٢٠١٢) ومسلم (٧٦١) فأين البدعة إذن، فهذا فعل رسول اللَّه؟!

بل روىٰ البخاري في «صحيحه» (٢٠٠٩) ومسلم (٧٥٩) قال رسول اللَّه ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**». =

= قال ابن شهاب الزهري في هذا الحديث: «فتوفّي رسول اللَّه ﷺ والنَّاس علىٰ ذلك، ثُمَّ كان الأمر علىٰ ذلك في خلافة أبي بكر وصدرًا من خلافة عمر رضي الله عنهما».

قلت: فالذي فعله عمر إقامة لما فعله النَّبِيّ ﷺ، فلمَّا مات النَّبِيّ ﷺ ارتفع الوحي ورُفعت العلّة من الفرضية، فالتراويح سنة رسول اللَّه وصحابته الكرام، وأئمة هذا الدين، ولكن الأمر ليس إلَّا تتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

وفي رواية البخاري (٢٠١٢) قال: لمَّا اجتمع النَّاس عليه ﷺ في الليلة الرابعة من صلاة التراويح وقد امتلأ المسجد بالنَّاس حتىٰ خرج لصلاة الصبح ولم يصل معهم، فلمَّا قضىٰ الفجر أقبل علىٰ النَّاس فتشهد ثُمَّ قال:

«**أمَّا بعد فإنه لم يخف عليَّ مكانكم، ولكنِّي خشيت أن تفرض عليكم فتعجزُوا عنها**»، فتوفىٰ رسول اللَّه ﷺ والأمر علىٰ ذلك».

- **معنى الخلفاء الراشدين**

قوله ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**».

قال ابن الأثير في: «النهاية» (١/ ٢٠٥):

«الرَّاشد اسم فاعل من رشد يرشد رشدًا، والرُّشد خلاف الغيّ، ويريد بالراشدين: أبا بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم، وإن كان عامًّا في كل من سار سيرتهم من الأئمة» اهـ.

وقال السندي في: «شرح سنن ابن ماجه» (١/ ٢٣١):

«هم الأربعة رضي الله عنهم، وقيل: بل هم ومن سار بسيرتهم من أئمة الإسلام المجتهدين في الأحكام، فإنهم خلفاء الرسول ﷺ في إعلاء الحق، وإحياء الدين، وإرشاد الخلق إلىٰ الصراط المستقيم» اهـ.

قلت: ثُمَّ قال المباركفوري في: «تحفة الأحوذي»:

«قوله ﷺ: «**ومن أدرك ذلك منكم**»؛ أي: أدرك زمن الاختلاف الكثير، «**فعليكم بسُنّتي**»؛ أي: فليلزم سُنّتي، «**وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**»؛ فإنهم لم يعملوا إلَّا بسنّتي، فالإضافة إليهم؛ إمَّا لعلمهم بها، أو لاستنباطهم واختيارهم إيَّاها، قاله القاري.

وقال الشوكاني في «الفتح الربَّانيّ»: والذي ينبغي التعويل عليه والمصير إليه هو: =

= العمل بما يدلُّ عليه هذا التركيب بحسب ما تقتضيه لغة العرب، فالسُّنَّة هي الطريقة، فكأنَّه قال: الزموا طريقتي وطريقة الخلفاء الراشدين، وقد كانت طريقتهم هي نفس طريقته، فإنَّهم أشدَّ النَّاس حرصًا عليها، وعملًا بها في كلّ شيء، وعلىٰ كل حال كانوا يتوقّوْن مخالفته في أصغر الأمور، فضلًا عن أكبرها، وكانوا إذا أعوزهم الدليل من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ عملوا بما يظهر لهم من الرَّأي بعد الفحص والبحث والتشاور والتدبّر، وهذا الرأي عند عدم الدليل من السُّنَّة، [يعني الاجتهاد الصحيح المعتبر] فإن قلت: إذا كان ما عملوا فيه بالرَّأي هو من سنّته، لم يبق لقوله ﷺ: «**وسنة الخلفاء الراشدين**» ثمرة؟!، قلت: ثمرته أنَّ من النَّاس من لم يدرك زمنه ﷺ، وأدرك زمن الخلفاء الراشدين، أوْ أدرك زمنه وزمن الخلفاء، ولكنه حدث أمر لم يحدث في زمنه ففعله الخلفاء، فأشار بهذا الإرشاد إلىٰ سُنَّة الخلفاء إلىٰ دفع ما عساه يتردد في بعض النفوس من الشك، ويختلج فيها من الظنون، فأقل فوائد الحديث: أنَّ ما يصدر عنهم من الرَّأي وإن كان من سنته كما تقدم، ولكنه أوْلىٰ من رأىٰ غيرهم عند عدم الدليل» اهـ.

قلت: ونصَّ ابن رجب الحنبليّ علىٰ تقعيد مهم كما في «جامع العلوم والحكم» (ص: ٣٧٩) حديث (٢٨) فقال:

«والسُّنَّة هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التّمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السُّنَّة الكاملة . . . . . وإنَّما وصف رسول اللَّه ﷺ الخلفاء الراشدين؛ لأنهم عرفوا الحق وقضوا به.

- **[قاعدة في معنى الراشد]:**

والرَّاشد ضدّ الغاوي، والغاوي من عرف الحق وعمل بخلافه، وفي رواية للحديث: «**المهديين**» يعني: أنَّ اللَّه تعالىٰ يهديهم للحق ولا يضلهم عنه، فالأقسام ثلاثة: راشد وغاوٍ وضال، فالراشد عرف الحق واتبعه، والغاوي عرفه ولم يتبعه، والضال لم يعرفه بالكليّة، فكلَّ راشد فهو مهتد، وكلّ مُهتد هداية تامة فهو راشد؛ لأنَّ الهداية إنَّما تتم بمعرفة الحق والعمل به أيضًا» اهـ.

- **وأصحابي أمنة لأمتي:**

قلت: وما أجمل ما رواه مسلم في «صحيحه» (٢٥٣١) من حديث أبي موسىٰ الأشعري =

= أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتىٰ السماء ما توعد، وأنا أمنه لأصحابي، فإذا ذَهَبْتُ أتىٰ أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمّتي، فإذا ذهب أصحابي أتىٰ أمّتي ما يُوعدون**».

فما أجمله من حديث هو بمثابة تقعيد كليّ لمكانة الصحابة ﷺ وأنهم نجاة الأمة وأمانها وفلاحها وصلاحها، فهم وقاية هذه الأمة باتباع سبيلهم، وطريقهم، ومنهجهم، وعقيدتهم، وأخلاقهم، فقد ذهب الصحب بموتهم، ولكن النجاة في سنّتهم -رضي اللَّه عنهم أجمعين- والاقتداء بأقوالهم وأفعالهم، وهذه هي الخيرية، فقد روىٰ البخاري في «صحيحه» (٢٦٥١) ومسلم (٢٥٣٥) قال رسول اللَّه ﷺ: «**خير النَّاس قرني، ثُمَّ الذين يلونهم، ثُمَّ الذين يلونهم**».

قال النووي في: «شرح مسلم» (١٦/ ٦٥):

«اتفق العلماء علىٰ أنَّ خير القرون قرنه ﷺ، والمراد أصحابه» اهـ.

- **من كان مستنًّا فليستن بمن قد مات:**

وروىٰ الآجُرّيّ في: «الشريعة» (٢٠٣٨) عن عبد اللَّه بن مسعود أنه قال:

«من كان مُسْتنًّا فليْستنّ بمن قد مات، فإنَّ الحي لا يؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمّة، أبرَّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلّها تكلّفًا، قوم اختارهم اللَّه لصُحبة نبيّه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم؛ فإنهم كانوا علىٰ الهدىٰ المستقيم».

قلت: هذا الأثر من أجود الآثار لفظًا ومعنىٰ، رواية ودراية، فهمًا، وعلمًا، وبصيرة، ووعيًا، وإدراكًا، وتدبّرًا، ومنهجًا، حيث بيّن للأمة المنصب الذي به يهتدي الهداة إلىٰ السبيل القويم، والمنهج القويم، والأمان المستقيم ثُمَّ هناك أثر مثله، يزيدك لذلك بيانًا وهو.

- **أثر عمدة في فضل الصحابة:**

ما رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (١٣٤) والآجرّيّ في الشريعة واللفظ له (١٤٦) عن العالم الخليفة الراشد الفقيه عمر بن عبد العزيز وهو يسطر =

= **للأمة خلاصها فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:**

«سنَّ رسول اللَّه ﷺ وولاة الأمر من بعده سُنَنًا، الأخذ بها اتباع لكتاب اللَّه، واستكمال لطاعة اللَّه، وقوة علىٰ دين اللَّه، ليس لأحد من الخلق تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدىٰ بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولَّاه اللَّه ما تولَّىٰ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا».

قال الإمام ابن القيم علىٰ هذا الأثر في: «إعلام الموقّعين» (٤/ ١٥١):

«كان مالك بن أنس وغيره من الأئمة يستحسنونه، ويحدثون به دائمًا» اهـ.

* * *

[الاعتصام بالسُّنَّة نجاة، ونعش العلم ثبات الدين والدّنيا، هذه قاعدة الدين]:

٤- عن الزهري، قال: «كان من مضىٰ من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسُّنَّة نجاة، والعلم يقبض قبضًا سريعًا، فنعش العلم ثبات الدين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله» [٤].

- **بيان قاعدة الدين:**

[٤] أثر الزهري هذا هو إجماع أهل العلم قاطبة بلا نزاع، وهو شعار أهل السُّنَّة والجماعة، وهو مجمل ما ذكرته مستفيضًا في النقولات السابقة والتي ذكرتها تحت باب (٢) وخلاصة لها في بيان منهج أهل السُّنَّة والجماعة، أمَّا قوله: «الاعتصام» فقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال الإمام أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصري في كتابه الموسوعة اللغوية: «لسان العرب» (١٠/ ١٧٥ وما بعدها):

«عصم: العصمة في كلام العرب: المنع، وعصمةُ اللَّهِ عَبْدَه: أن يعصمه ممَّا يوبِقُهُ، عصمه عصمًا: منعه ووقاه، وفي التنزيل: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣]؛ أي: لا معصوم إلَّا المرحوم . . . . ، والعصمة الحفظ، واعتصمت باللَّه إذا امتنعت بلطفه من المعصية، والاعتصام الاستمساك بالشيء، والعاصم: المانع الحامي، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تمسكوا بعهد اللَّه، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من يتمسّك بحبله وعهده» اهـ.

وقال القرطبي في «جامعه» (٤/ ١٢٠- ١٢١):

«قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾؛ أي: يمتنع ويتمسك بدينه وطاعته ﴿فَقَدْ هُدِىَ﴾، وفّق وأُرشد، والمعنىٰ: ومن يعتصم باللَّه يتمسك بحبل اللَّه وهو القرآن، . . . . . ، وعن ابن مسعود في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ قال: «الجماعة»، والمعنىٰ كله متقارب متداخل، فإنَّ اللَّه يأمر بالألفة، وينهىٰ عن الفُرقة، فإنَّ الفرقة هلكة، والجماعة نحاة، ورحم اللَّه ابن المبارك حيث قال:

إنَّ الجماعة حَبْلُ اللَّه فاعتصموا منه بعُرْوته الوُثقىٰ لمن دانا» اهـ. =

= **قلت: وروىٰ مسلم في «صحيحه»** (٢٤٠٨) عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ألا إنِّي تارك فيكم ثقلين، أحدهما كتاب اللَّه ﷻ، هو حبل اللَّه، من اتّبعه كان علىٰ الهدىٰ، ومن تركه كان علىٰ ضلالة**»، **وفي رواية للخطيب البغدادي في: «الفقيه والمتفقه»** (١/ ١٥٣) في حجّة الوداع حين خطب النَّاس فقال ﷺ: «**وقد تركت فيكم أيها النَّاس ما إن اعتصمتم به، فلن تضولا أبدًا، أمرًا بيّنًا، كتاب اللَّه وسنّه نبيّه**» فقرن رسول اللَّه ﷺ بين الكتاب والسُّنَّة، قاله الخطيب البغداديّ، ومن هنا يُعلم أنَّ «**الاعتصام بالسُّنَّة نجاه**»؛ لأنها هي المبيّنة للقرآن كتاب اللَّه، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وروىٰ ابن بطة العكبري أثر الزهري هذا: «الاعتصام بالسُّنَّة نجاه» (١٦٢، ١٦٣) **تحت باب: «ما أمر به من التّمسك بالسُّنَّة والجماعة والأخذ بها، وفضل من لزمها»**، وكذلك رواه اللالكائيّ في: «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (١٣٦، ١٣٧) تحت باب: «ما روىٰ عن النَّبِيّ ﷺ في الحث علىٰ التّمسك بالكتاب والسُّنَّة وعن الصحابة والتّابعين ومن بعدهم، والخالفين لهم من علماء الأمة للَّه أجمعين».

- **أمَّا قوله: «والعلم يقبض قبضًا سريعًا»**؛ فقد روىٰ البخاري في «صحيحه» (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣) قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ اللَّه لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتىٰ إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رءُوسًا جهَّالًا، فسُئِلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلّوا**».

- **أمَّا قوله: «فنعش العلم ثبات الدين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله»**، وفي رواية ابن بطة: «**وذهاب ذلك كله ذهاب العلماء**» **قال ابن منظور في: «لسان العرب»** (١٤/ ٢٩٨): «نعش: نعشه اللَّهُ ينعشه نعشًا وأنعشه: رفعه، وانتعش: ارتفع، والانتعاش: رفع الرأس، والنَّعش: سرير الميّت منه؛ سُمِّي بذلك لارتفاعه» اهـ.

قلت: فيكون المعنىٰ: أنَّ بثبات العلم الشرعي قولًا وعملًا ونية واتباعًا للسُّنَّة ينصلح الدّين والدّنيا، بالعلماء الربّانيين يعلو الدين وتحدث الرَّفعة للإسلام والمسلمين والمنزلة المرجُوَّة، وأصل كل ذلك هو الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

* * *

٥- عن عبد اللَّه بن الديلمي قال: «بلغني: أنَّ أول ذهاب الدين ترك السُّنَّة، يذهب الدين سنة سنة، كما يذهب الحبل قوة قوة» [٥].

٦- ثنا الأوزاعي، عن حسان قال: «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلَّا نزع اللَّه من سنتهم مثلها، ثُمَّ لا يعيدها إليهم إلىٰ يوم القيامة» [٦].

٧- عن أبي قلابة قال: «ما ابتدع رجل بدعة إلَّا استحل السيف» [٧].

٨- عن أبي قلابة قال: «إنَّ أهل الأهواء أهل الضلالة، ولا أرىٰ مصيرهم إلَّا النار، فجربهم فليس أحد منهم ينتحل قولًا أو قال حديثًا فيتناهىٰ به الأمر دون السيف، وإن النفاق كان ضروبًا، ثُمَّ تلا: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨]، ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾ [التوبة: ٦١]، فاختلف قولهم واجتمعوا في الشك والتكذيب، وإنَّ هؤلاء اختلف قولهم واجتمعوا في السيف، ولا أرىٰ مصيرهم إلَّا النَّار. قال حماد: ثُمَّ قال أيوب عند ذا الحديث أو عند الأول: وكان واللَّه من الفقهاء ذوي الألباب، يعني أبا قلابة»[٨].

● **أوّل ذهاب الدين:**

[٥]، [٦] ● **قوله**: «**أنَّ أوَّل ذهاب الدين ترك السُّنَّة**» فسّره بالأثر الذي بعده: «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلَّا نزع اللَّه من سنتهم مثلها» فرجع الأثران إلىٰ ما فصّلته في الباب (٢) باب اتباع السُّنَّة.

وروىٰ الإمام المروزي في كتابي «السُّنَّة» (٩٢) قال عمر بن عبد العزيز: «لو كان بكل بدعة يُميتها اللَّه علىٰ يديّ، وكل سنة يُنعشها اللَّه علىٰ يدي بضعة من لحمي، حتىٰ يأتي ذلك علىٰ نفسي، لكان في اللَّه يسيرًا»، ولا يقول ذلك إلَّا عالم ربَّاني تبصَّر بمراد اللَّه ورسوله.

والحديث السابق: «**كلّ بدعة ضلالة**».

[٧]، [٨] ● أمَّا قوله: «**ما ابتدع رجل بدعة إلَّا استحل السيف**» ففُسّر بالأثر الذي بعده وكلاهما لأبي قلابة عبد اللَّه بن عمرو الجرميّ التابعيّ الإمام من أئمة الهدىٰ شيخ الإسلام، كما قال الذهبيّ «سير أعلام انبلاء» (٤/ ٤٦٨)، فقوله: «إنَّ أهل الأهواء أهل =

= الضلالة» إلىٰ أن قال: «وإنَّ هؤلاء اختلف قولهم واجتمعوا في السيف»، روىٰ الأثرين الآجرّيّ في «الشريعة» (٢١٠٦، ٢١٠٧) تحت باب: «ذكر هجرة أهل البدع والأهواء» يعني: وجوب هجرهم لأنهم هم المفسدون في الأرض، وبهم ذهب الدين سنَّة سنة، وعروة عروة، وشعيرة شعيرة، فلمَّا تشابهت قلوبهم اتفقت عقائدهم علىٰ الابتداع والضلال والأهواء، فليس ورائهم إلَّا هلاك الأمة.

ثُمَّ روىٰ الآجُرّي في: «الشريعة» (٢١١١) عن سلام بن أبي مُطيع قال:

«كان أيوب السختياني يسمّىٰ أصحاب البدع خوارج ويقول: «الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا علىٰ السيف».

وروىٰ اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (٣٥) عن أيوب السختيانيّ قال:

«إنَّ الذين يريدون موت أهل السُّنَّة، يريدون أن يطفئوا نور اللَّه بأفواههم، واللَّه متمَّ نوره ولو كره الكافرون».

وروىٰ اللالكائي (٢٩) عن أيوب أيضًا قال:

«إنِّي أخبر بموت الرّجل من أهل السُّنَّة، فكاني أفقد بعض أعضائي».

وما كان ذلك إلَّا لأنَّ أهل السُّنَّة هم العلماء الربّانيون الذين يعلمون الحق من الباطل، والهدىٰ من الضلال، والسُّنَّة من البدعة، وأهل السُّنَّة والحق، من أهل البدعة والباطل.

وقد روىٰ اللالكائي هذين الأثرين تحت باب: «ما روي عن النَّبِيّ ﷺ في ثواب مَنْ حَفِظَ السُّنَّة وأحياها ودعا إليها».

وروىٰ ابن بطة العكبري في: «الإبانة الكبرىٰ» (٥٧٨) -عن مولىٰ أبي مسعود الأنصاري قال:

دخل أبو مسعود علىٰ حذيفة وهو مريض فأسنده إليه، فقال أبو مسعود: أوصنا، قال حذيفة: «إنَّ الضلالة حقَّ الضلالة أن نعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلوّن في الدين، فإن دين اللَّه واحد».

* * *

٣- باب التورّع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة [٩]

٩- عن النزال بن سبرة قال: ما خطب عبد اللَّه خطبة بالكوفة إلَّا شهدتها، فسمعته يومًا وسُئل عن رجل يطلق امرأته ثمانية وأشباه ذلك، قال: «هو كما قال، ثُمَّ قال: إنَّ اللَّه أنزل كتابه وبيّن بيانه، فمن أتىٰ الأمر من قبل وجهه فقد بيّن له، ومن خالف فواللَّه ما نطبق خلافكم، من لبس علىٰ نفسه وكلنا به نفسه، واللَّه لا تلبسون علىٰ أنفسكم ونتحمله نحن».

١٠- عن ابن سيرين: «أنه كان لا يقول برأيه إلَّا شيئًا سمعه».

١١- عن الأعمش، قال: «ما سمعت إبراهيم يقول برأيه في شيء قط».

١٢- عن قتادة قال: «ما قلت برأيي منذ ثلاثون سنة. قال أبو هلال: منذ أربعون سنة».

١٣- عن الشعبي قال: «إياكم والمقايسة، والذي نفسي بيده لئن أخذتم بالمقايسة لتحلنَّ الحرام ولتحرمنَّ الحلال، ولكن ما بلغكم عمن حفظ من أصحاب محمد ﷺ فاعملوا به».

١٤- عن المسيب بن رافع قال: «كانوا إذا نزلت بهم قضية ليس فيها من رسول اللَّه ﷺ أثر، اجتمعوا لها وأجمعوا فالحق فيما رؤوا، فالحق فيما رؤوا».

● **بيان الباب وشرحه:**

[٩] ● **قلت**: هذا باب التورُّع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنَّة، فأورد فيه جملة من الآثار وفيه حديثان ضعيفان حذفتهما، وحاصل معنىٰ الآثار: اتباع الكتاب والسُّنَّة والإجماع بفهم سلف الأمة ونبذ الآراء والمعقولات والأقيسة الباطلة التي تخالف النصوص، وعند عدم النص هناك إجماع الامة، فإنَّ الذي أجمعوا عليه هو الحق، لأنهم حينئذ قد رؤوا بعلم وفهم واستنباط علىٰ ضوء النصوص الشرعية، وأنَّ التنقير والبحث عن المسائل ليس من هدي السلف من الصحابة والتابعين وأئمة هذا الدين، وإذا تكلم المتكلمون في القرآن والسُّنَّة فلابد أن يردّ عليهم بالسنن كما قال عمر رضي الله عنه في الأثر رقم (١٦)؛ فإنَّ المنهج القويم والسبيل المستقيم اتّباع الآثار. =

١٥- عن ابن عون قال: قال القاسم: «إنكم تسألون عن أشياء ما كنا نسأل عنها، وتنقرون عن أشياء ما كنا ننقر عنها، وتسألون عن أشياء ما أدري ما هي، ولو علمناها ما حل لنا أن نكتمكوها».

١٦- عن عمرو بن الأشجع، أنَّ عمر بن الخطاب قال: «إنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإنَّ أصحاب السنن أعلم بكتاب اللَّه».

١٧- عن عروة بن الزبير، قال: «ما زال أمر بني إسرائيل معتدلًا ليس فيه شيء حتىٰ نشأ فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم، أبناء النساء التي سبت بنو إسرائيل من غيرهم، فقالوا فيهم بالرأي فأضلوهم».

= **روىٰ الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٤٩- ١٥٠) عن سفيان بن عيينة قال:**

«ملاك الأمر الاتباع».

وروىٰ أبو عمر بن عبد البر في: «جامع بيان العلم وفضله» المختصر (١٠٠٠) عن سفيان الثوري قال:

«إنَّما الدين الآثار».

وروىٰ عن القاضي شُريح (٩٩٧) أنه قال:

«إنَّما أقتفىٰ الأثر، فما وجدت في الأثر حدَّثتكم به».

وروىٰ (٩٩٩) عن ابن المبارك قال:

«ليكن الأمر الذي تعتمدون عليه هذا الأثر، وخذوا من الرَّأي ما يفسر لكم الحديث».

* * *

٤- باب كراهية الفتيا

١٨- ثنا حماد بن زيد المنقري، حدثني أبي، قال: جاء رجل يومًا إلىٰ ابن عمر فسأله عن شيء لا أدري ما هو، فقال له ابن عمر: «لا تسأل عمَّا لم يكن، فإني سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سأل عمَّا لم يكن».

١٩- عن الزهري، قال: بلغنا أنَّ زيد بن ثابت الأنصاري كان يقول إذا سُئل عن الأمر: «أكان هذا؟» فإن قالوا: نعم قد كان، حدَّث فيه بالذي يعلم والذي يرىٰ، وإن قالوا: لم يكن، قال: «فذروه حتىٰ يكون».

٢٠- عن عامر، قال: سُئل عمار بن ياسر عن مسألة فقال: «هل كان هذا بعد؟ قالوا: لا، قال: دعونا حتىٰ تكون، فإذا كانت تجشمناها لكم».

٢١- عن طاووس، قال: قال عمر علىٰ المنبر: «أحرج باللَّه علىٰ رجل سأل عمَّا لم يكن، فإنَّ اللَّه قد بيَّن ما هو كائن».

٢٢- عن ابن عباس قال: «ما رأيت قومًا كانوا خيرًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ، ما سألوه إلَّا عن ثلاث عشرة مسألة حتىٰ قبض، كلهن في القرآن منهن: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، قال: ما كانوا يسألون إلَّا عمَّا ينفعهم».

٢٣- عن عمر بن إسحاق، قال: «لَمَنْ أدركت من أصحاب رسول اللَّه ﷺ أكثر ممَّا سبقني منهم، فما رأيت قومًا أيسر سيرة ولا أقل تشديدًا منهم».

٢٤- أخبرني رجاء ابن أبي سلمة، قال: سمعت عبادة بن نسبي الكندي وسُئل: عن المرأة ماتت مع قوم ليس لها وليّ؟ فقال: «أدركت أقوامًا ما كانوا يشدّدون تشديدكم، ولا يسألون مِسائلكم».

٢٥- عن هشام بن مسلم القرشي، قال: كنت مع ابن محيريز بمرج الديباج فرأيت منه خلوه فسألته عن مسألة، فقال لي: «ما تصنع بالمسائل؟ قلت: لولا المسائل لذهب العلم، قال: لا تقل ذهب العلم، إنه لا يذهب العلم ما قرئ القرآن، ولكن لو قلت: يذهب الفقه».

٢٦- عن الشعبي: أنَّ عمر، قال: «يا أيها النَّاس إنا لا ندري لعلنا نأمركم بأشياء لا تحل لكم، ولعلنا نحرّم عليكم أشياء هي لكم حلال، إنَّ آخر ما نزل من القرآن آية الربا، وإنَّ رسول اللَّه ﷺ لم يبينها لنا حتىٰ مات، فدعوا ما يريبكم إلىٰ ما لا يريبكم» [١٠].

● **تعليق على الباب:**

[١٠] قلت: قال الخطيب البغدادي في: «الفقيه والمتفقّه» (٢/ ١٦٥، ١٦٦):

«باب الزَّجر عن التسرّع إلىٰ الفتوىٰ مخافة الزلل» قال اللَّه تعالىٰ: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]؛ وكانت الصحابة رضوان اللَّه عليهم لا تكاد تُفْتي إلَّا فيما نزل؛ ثقةً منهم بأنَّ اللَّه تعالىٰ يُوفّق عند نزول الحادثة للجواب عنها، وكان كل واحد منهم يَوَدُّ أنَّ صاحبه كفاه الفتوىٰ.

[فروىٰ بسنده]: عن البراء بن عازب قال:

«لقد رأيت ثلاثمائة من أهل بدر، ما منهم من أحد إلَّا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتوىٰ».

[ثُمَّ روىٰ بسنده]: عن الشافعي يقول:

«ما رأيت أحدًا أجمع اللَّهُ فيه من آلة الفتيا ما جمع في ابن عيينة، أسكت عن الفتيا منه».

[فروىٰ بسنده] عن ابن عيينة قال:

«أعلم النَّاس بالفتوىٰ أسكتهم فيه، وأجهل النَّاس بالفتوىٰ أنطقهم فيه». [قال الخطيب] قلت: وقلَّ من حرص علىٰ الفتوىٰ وسابق إليها، وثابر عليها إلَّا قلَّ توفيقه، واضطرب في أمره، وإذا كان كارهًا لذلك غير مختار له، ما وجد مندوحة عنه، وقدر أن يُحيل بالأمر فيه علىٰ غيره، كانت المعونة له من اللَّه أكثر، والصلاح في فتواه وجوابه أغلب».

[وروىٰ بسنده] عن أبي حنيفة قال:

«من تكلم في شيء من العلم وتقلَّده وهو يظن أنَّ اللَّه لا يسأله عنه كيف أفتيت في دين =

= اللَّه؟ فقد سهلت عليه نفسه ودينه، لولا الفرق من اللَّه أن يضيع العلم ما أفتيت أحدًا، يكون له المهنأُ وعليّ الوِزرُ؟» اهـ.

وروىٰ أبو عمر بن عبد البرّ في «جامع بيان العلم وفضله» المختصر (١٥٨٨) عن ابن عيينة كان يقول:

«أخسر النَّاس علىٰ الفتيا أقلهم علمًا».

(١٥٩٠) وعن سحنون بن سعيد كان يقول: «أجرأ النَّاس علىٰ الفتيا أقلهم علمًا، يكون عند الرجل الواحد من العلم يظنُّ أنَّ الحق كله فيه».

(١٥٩٣) وعن ابن شهاب الزهري لما سُئل عن شيء قال: «ما سمعت فيه بشيء، وما نزل بنا، وما أنا بقائل فيه شيئًا» اهـ.

«صفة الفتوىٰ»

قلت: هذا كتابي الجزء الثالث عشر من: «**سلسلة الأبحاث الفقهية الأصولية السلفية**»، والمُسمَّىٰ بـ«**منهجية الفتوىٰ وضرورة ربطها بالتقعيد الأصولي الفقهيّ ودفع الفوضوية**»، وهو pdf علىٰ موقعي، مع شرحه كله في دروس صوتية علىٰ موقعي أيضًا فارجع إليه إن شئت.

- **ثُمَّ ما أذكره هنا كلام خارج كتابي هذا وهو ملخّص ما ذكره الإمام ابن منظور في: «لسان العرب» (١١/ ١٢٨) قال:**

«أفتاه في الأمر: أبانه له، وأفتىٰ الرجلُ في المسألة واستفتيته فيها فأفتاني إفتاء وفُتًىٰ وفتوىٰ: اسمان يوضعان موضع الإفتاء، يُقال أفتيت فُلانًا رؤيا رآها: إذا عبَّرتها له، وأفتيته في مسألته: إذا أجبته عنها، وفي الحديث: «**إنَّ قومًا تفاتوا إليه**» معناه تحاكموا إليه وارتفعوا إليه في الفتيا، ويُقال أفتاه في المسألة إذا أجابه، والاسم الفتوىٰ، قال الطرماح:

«أنِخْ بِفِنَاء أشْدَقَ من عَدِي ومن جَرُمٍ وهم أهل التّفاتي»

أي: التحاكم وأهل الإفتاء.

قال: والفَتَيا تبيين المشكل من الأحكام، أصله من الفَتَىٰ وهو الشاب الحَدَث التي شبَّ وقوِيَ، فكأنه يقوّي ما أُشكِلَ بيانه، فيشِبُّ ويصير فتيًّا قويًا، وأفتىٰ المفتي إذا أحدث حكمًا، =

= وفي الحديث قال ﷺ: «**الإثم ما حاك في صدرك وإن أفتاك النَّاس عنه وأفتوك**»(٥)؛ أي: وإن جعلوا لك فيه رخصة وجوازًا، وقال أبو إسحاق في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ [الصافات: ١١]؛ أي: فاسألهم سؤال تقرير: أهم أشدّ خلقًا، أم مّن خلقنا من الأمم السابقة؟

وقوله تعالىٰ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي: يسألونك سؤال تعلّم، قال الهروي: والتَّفاني: التخاصم، وأنشد بيت الطرماح السابق، وهم أهل التّفاتي.

والفُتيا والفُتْوىٰ والفَتْوَىٰ: ما أفْتَىٰ به الفقيه» اهـ.

قلت: وقال بدر الدين الزركشي في: «البحر المحيط في أصول الفقه» (٦/ ٣٠٥):

«المفتي هو الفقيه؛ لأنَّ من قامت به صفة جاز أن يشتق لها منها اسم فاعل، قال الصِرفيّ: وموضوع هذا الاسم لمن قام للنَّاس بأمر دينهم وعَلِمَ جُمَل عموم القرآن وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، وكذلك السنن والاستنباط، ولم يوضع لمن علم مسألة وأدرك حقيقتها، فمن بلغ هذه المرتبة سمّوه هذا الاسم، ومن استّحقّه أفتىٰ فيما اسْتُفتي» اهـ.

وقال الخطيب البغدادي في: «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٥٦- ١٥٨): باب شروط الفتوىٰ:

«أوّل أوصاف المفتي الذي يلزم قبول فتواه: أن يكون بالغًا؛ لأنَّ الصبيّ لا حكم لقوله، ثُمَّ يكون عاقلًا؛ لأنَّ القلم مرفوع عن المجنون لعدم عقله، ثُمَّ يكون عدلًا ثقة؛ لأنَّ علماء المسلمين لم يختلفوا في أنَّ الفاسق غير مقبول الفتوىٰ في أحكام الدين، وإن كان بصيرًا بها، ثُمَّ يكون عالمًا بالأحكام الشرعية، وعلمه بها يشمل علىٰ معرفته بأصولها وارتياض بفروعها . . . . .» اهـ.

قلت: وغالب الأبواب المتعلقة بالفتوىٰ يشبه بعضها بعضًا ويشرح بعضها بعضًا بآثارها نحتها.

* * *

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٥٥٣) وأحمد في المسند (١٧٥٦٣) والترمذي في «سننه» (٢٣٨٩) قال: حسن صحيح، والحاكم في «المستدرك» (٢١٧٢) وصححه ووافقه الذهبي.

٥- باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدّع

٢٧- عن زبيد قال: «ما سألت إبراهيم عن شيء إلَّا عرفت الكراهية في وجهه».

٢٨- عن عمر بن أبي زائدة، قال: «ما رأيت أحدًا أكثر أن يقول إذا سُئل عن شيء: لا علم لي به، من الشعبي».

٢٩- عن ابن عون قال: سمعته يذكر قال: «كان الشعبي إذا جاءه شيء اتقّىٰ، وكان إبراهيم يقول ويقول ويقول» قال أبو عاصم: «كان الشعبي في هذا أحسن حالًا عند ابن عون من إبراهيم».

٣٠- عن جعفر بن إياس، قال: قلت لسعيد بن جبير: ما لَكَ لا تقول في الطلاق شيئًا؟ قال: «ما منه شيء إلَّا قد سألت عنه، ولكني أكره أن أحلّ حرامًا أو أحرَّم حلالًا».

٣١- عن ابن المنكدر، قال: «إنَّ العالِمَ يدخل فيما بين اللَّه وبين عباده، فليطلب لنفسه المخرج».

٣٢- عن مسعر قال: أخرج إليَّ معن بن عبد الرحمن كتابًا فحلف لي باللَّه أنه خطُّ أبيه، فإذا فيه: قال عبد اللَّه: «والذي لا إله إلَّا هو ما رأيت أحدًا كان أشدَّ علىٰ المتنطعين من رسول اللَّه ﷺ، وما رأيت أحدًا كان أشدَّ عليهم من أبي بكر، وأني لأرىٰ عمر كان أشدَّ خوفًا عليهم أو لهم».

٣٣- عن عثمان بن حاضر الأزدي، قال: دخلت علىٰ ابن عباس فقلت: أوصني، فقال: «نعم، عليك بتقوىٰ اللَّه والاستقامة، اتبع ولا تبتدع».

٣٤- عن ابن سيرين قال: «كانوا يرون أنه علىٰ الطريق ما كان علىٰ الأثر».

٣٥- عن أيوب، عن أبي قلابة قال: قال ابن مسعود: «عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يذهب بإصحابه، عليكم بالعلم فإنَّ أحدكم لا يدري متىٰ يفتقر إليه أو يفتقر إلىٰ ما عنده، إنكم ستجدون أقوامًا يزعمون أنهم يدعونكم إلىٰ كتاب اللَّه وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدع، وإياكم والتنطّع،

وإياكم والتعمّق، وعليكم بالعتيق».

٣٦- عن عائشة قالت: تلا رسول اللَّه ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا رأيتم الذين يتّبعون ما تشابه منه فاحذروهم**»(١).

٣٧- عن شقيق قال: سُئل عبد اللَّه عن شيء فقال: «إني لأكره أن أحلّ لك شيئًا حرّمه اللَّه عليك، وأحرّم ما أحلّه اللَّه لك».

٣٨- عن نافع مولىٰ عبد اللَّه: أنَّ صبيغًا العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين، حتىٰ قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلىٰ عمر بن الخطاب، فلمَّا أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: «أين الرجل؟ فقال: في الرحل، قال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني به العقوبة الموجعة؛ فأتاه به، فقال عمر: تسأل محدثة، فأرسل عمر إلىٰ رطائب من جريد فضربه بها حتىٰ ترك ظهره وبرة، ثُمَّ تركه حتىٰ برأ، ثُمَّ عاد له، ثُمَّ تركه حتىٰ برأ، فدعا به ليعود له.

قال: فقال صبيغ: إن كنت تريد، قتلي فاقتلني قتلًا جميلًا، وإن كنت تريد أن تداويني فقد واللَّه برئت. فأذن له إلىٰ أرضه وكتب إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين، فاشتد ذلك علىٰ الرجل، فكتب أبو موسىٰ إلىٰ عمر أن قد حسنت توبته، فكتب عمر أن يأذن للنَّاس بمجالسته».

٣٩- عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: سمعت عامرًا يقول: استفتىٰ رجل أبيَّ بن كعب فقال: يا أبا المنذر ما تقول في كذا وكذا؟ قال: «يا بني أكان الذي سألتني عنه؟ قال: لا، قال: أمَّا لا فأجّلني حتىٰ يكون فنعالج أنفسنا حتىٰ نخبرك».

٤٠- حدثنا الصلت ابن راشد، قال: سألت طاوسًا عن مسألة، فقال له: «كان هذا؟ قلت: نعم، قال: آللَّه؟ قلت: آلله، ثُمَّ قال: إن أصحابنا أخبرونا عن معاذ بن جبل أنه قال: «يا أيها النَّاس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله فيذهب بكم هنا

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥).

وهنا، فإنكم إن لم تعجلوا بالبلاء قبل نزوله لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سُئل سُدِّد، وإذا قال وُفِّق».

٦- باب الفتيا وما فيه من الشدة

٤١- عن عبيد اللَّه بن أبي جعفر، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أجرؤكم علىٰ الفُتْيَا أجرؤكم علىٰ النَّار»[1].

٤٢- عن ابن عباس، قال: «من أحدث رأيًا ليس في كتاب اللَّه ولم تمض به

---

(١) أورده السيوطيّ في: «الجامع الصغير» (١٨٣) وقال: «مرسلًا»، وقال المُناوي في: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (١/ ٢٠٥): «رواه الدارميّ في سنده المشهود له بالترجيح المستحقّ لأن يسمَّىٰ بالصحيح» قال المُناويّ شرحًا للحديث: «أي أقدمكم علىٰ إجابة السائل عن حكم شرعي من غير تثبت وتدبّر، والإفتاء: بيان حكم المسألة، قال في الكشَّاف: الفتوىٰ جواب في الحادثة، اشتقَّت علىٰ طريق الاستعارة من الفتَىٰ في السّن، «**أجرؤكم علىٰ النَّار**» أقدمكم علىٰ دخولها؛ لأنَّ المفتي مبيّن عن اللَّه حكمه، فإذا أفتىٰ علىٰ جهل أو بغير ما علمه، أوْ تهاون في تحريره أو استنباطه، فقد تسبب في إدْخال نفسه النَّار لجرأته علىٰ المجازفة في أحكام الجبار: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]، قال الزمخشري: كفىٰ بهذه الآية زاجرة زجرًا بليغًا عن التجوّز فيما يسأل من الأحكام، وباعثه علىٰ وجوب الاحتياط فيها، وأن لا يقول أحد في شيْء جائز أو غير جائز إلَّا بعد إتقان وإيقان، ومن لم يوقن فليتق اللَّه وليصمت، وإلَّا فهو مفتر علىٰ اللَّه تعالىٰ. انتهىٰ.

كان ابن عمر إذا سُئل قال: «اذهب إلىٰ هذا الأمير الذي تقلَّد أمر النَّاس فضعها في عنقه، يريدون أن يجعلونا جِسْرًا يمرون علينا علىٰ جهنَّم، فمن سُئل عن فتوىٰ فينبغي أن يصمت عنها ويدفعها إلىٰ من هو أعلم منه بها، أوْ من كُلّف الفتوىٰ بها»، وذلك طريق السلف» اهـ.

قلت: وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

قال ابن كثير في: «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٣٨٥):

«نهىٰ تعالىٰ عن سلوك المشركين، الذين حلّلوا وحرّموا بمجرد ما وضعوه واصطلحوا عليه من الأسماء بآرائهم ممَّا كان شرعًا لهم ابتدعوه في جاهليتهم فقال: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ **ويدخل في هذا كلَّ من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعيّ، أوْ حلل شيئًا ممَّا حرَّم اللَّه، أو حرَّم شيئًا ممَّا أباح اللَّه بمجرّد رأيه وتشهيه**» اهـ.

سنّة من رسول اللَّه ﷺ لم يَدْرِ علىٰ ما هو منه إذا لقي اللَّه ﷻ».

٤٣- عن أبي هريرة، عن النَّبِيّ ﷺ: «**من أفتىٰ بفُتيا من غير ثَبْت، فإنّما إثمه علىٰ من أفتاه**»(١).

٤٤- عن ابن عباس، قال: «من أفتىٰ بفتيا يعمىٰ عليها فإثمها عليه».

٤٥- حدثنا ميمون بن مهران، قال: «كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب اللَّه، فإن وَجَدَ فيه ما يقضي بينهم قضىٰ به، وإن لم يكن في الكتاب، وعَلِمَ من رسول اللَّه ﷺ في ذلك الأمر سنة قضىٰ به، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين، وقال: أتاني كذا وكذا فهل علمتم أنَّ رسول اللَّه ﷺ قضىٰ في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر من رسول اللَّه ﷺ فيه قضاءً، فيقول أبو بكر: الحمد للَّه الذي جعل فينا من يحفظ علىٰ نبينا، فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول اللَّه ﷺ جمع رؤوس النَّاس وخيارهم فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم علىٰ أمر قضىٰ به».

٤٦- عن أبي نضرة، قال: لما قدم أبو سلمة البصرة أتيته أنا والحسن، فقال للحسن: «أنت الحسن، ما كان احد بالبصرة أحبّ إليّ لقاءه منك، وذلك أنه بلغني أنك تفتي برأيك، فلا تُفْتِ برأيك، إلَّا أن تكون سنة عن رسول اللَّه ﷺ أو كتاب منزّل».

٤٧- عن جابر بن زيد، أنَّ ابن عمر لقيه في الطواف، فقال له: «يا أبا الشعثاء، إنك من فقهاء البصرة، فلا تُفْتِ إلَّا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية، فإنك إنْ فَعَلْتَ غير ذلك هلكتَ وأهلكت».

٤٨- عن عبد اللَّه بن مسعود، قال: «أتىٰ علينا زمان لسنا نقضي، ولسنا هنالك، وإنَّ اللَّه قد قدَّر من الأمر أن قد بلغنا ما ترون، فمن عرض له قضاء بعد اليوم فليقض بما قضىٰ به رسولُ اللَّه ﷺ، فإن جاءه ما ليس في كتاب اللَّه ولم يَقْضِ

---

(١) رواه ابن ماجه (٥٣) في المقدّمة باب (٨) اجتناب الرأي والقياس والحاكم في «المستدرك» (٥٠) قال الحاكم: «هذا حديث احتج به الشيخان برواته غير هذا، وقد وثقه بكر بن عمرو المعافريّ وهو أحد أئمة أهل مصر، والحاجة بنا إلىٰ لفظة التثبت في الفتيا شديدة»، ووثقه الذهبي في التلخيص، وصححه السيوطيّ في: «الجامع الصغير» (٨٤٩٠) بلفظ: «**من أُفتي بغير علم**».

به رسولُ اللَّه ﷺ فَلْيَقْضِ بما قضىٰ به الصالحون، ولا يقل: إني أخاف وإني أرىٰ، فإنَّ الحرام بيّن والحلال بيّن وبين ذلك أمور مشتبهة، فدع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك».

٤٩- عن عبد اللَّه بن أبي يزيد، قال: «كان ابن عباس إذا سُئل عن الأمر فكان في القرآن أخبر به، وإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول اللَّه ﷺ أخبر به، فإن لم يكن فعن أبي بكر وعمر، فإن لم يكن قال فيه برأيه».

٥٠- عن الشعبي، عن شريح: أنَّ عمر بن الخطاب كتب إليه: «إن جاءك شيء في كتاب اللَّه فاقض به، ولا يلتفتك عنه الرجال، فإن جاءك ما ليس في كتاب اللَّه فانظر سنة رسول اللَّه ﷺ، فاقض بها، فإن جاءك ما ليس في كتاب اللَّه ولم يكن فيه سنة من رسول اللَّه ﷺ فانظر ما اجتمع عليه النَّاس فخذ به، فإن جاءك ما ليس في كتاب اللَّه ولم يكن في سنة رسول اللَّه ﷺ ولم يتكلم فيه أحدٌ قبلك، فاختر أيّ الأمرين شئت: إن شئت أن تجتهد برأيك ثُمَّ تقدَّم فتقدم، وإن شئت أن تتأخَّر فتأخَّر، ولا أرىٰ التأخّر إلَّا خيرًا لك».

٥١- حدثنا الأعمش، قال: قال عبد اللَّه: «أيها النَّاس إنكم ستحدثون، ويحدث لكم، فإذا رأيتم مُحْدَثَةً فعليكم بالأمر الأول».

٥٢- عن محمد، قال: قال عمر لابن مسعود: «ألم أنبّأ -أو أنبئت- أنك تفتي ولست بأمير، ولِّ حارها من تَوَلّىٰ قارها».

* * *

٧- باب في الذي يفتي النَّاس في كل ما يستفتي

٥٣- عن ابن مسعود، قال: «إنَّ الذي يفتي النَّاس في كل ما يستفتي لمجنون».

٥٤- عن أبي عبيدة بن حذيفة، قال: قال حذيفة: «إنَّما يفتي النَّاس أحدٌ ثلاثة رجل علم ناسخ القرآن من منسوخة قالوا: ومن ذاك؟ قال: عمر ابن الخطاب. قال: وأمير لا يخاف، أو أحمق متكلف. ثُمَّ قال محمد: فلست بواحد من هذين، وأرجو أن لا أكون الثالث».

٥٥- عن مسروق، عن عبد اللَّه، قال: «من علم منكم علمًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل لما لا يعلم: اللَّه أعلم، قال: العالم إذا سُئل عمَّا لا يعلم، قال: اللَّه أعلم، وقد قال اللَّه لرسوله قل: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]».

٥٦- عن أبي المهلب: أنَّ أبا موسىٰ قال في خطبته: «من علم علمًا فليعلم النَّاس، وإياه أن يقول ما لا علم له به فيمرق من الدين ويكون من المتكلفين».

٥٧- عن أبي البختري وزاذان، قالا: «قال علي: وَأَبْرَدَها علىٰ الكبد إذا سُئلت عمَّا لا أعلم أن أقول: اللَّه أعلم».

٥٨- عن الشعبي قال: «لا أدري نصف العلم». [١١]

* * *

- **تعليق على الأبواب الثلاثة:**

[١١]**قلت**: من الباب (٥) إلىٰ الباب (٧) كلها في شأن الفتيا، وقد فصلت في الباب (٤) الكلام عنها وبيان صفة الفتوىٰ وشروطها، فأغنىٰ ذلك عن التعليق علىٰ هذه الأبواب الثلاثة.

٨- باب تغيّر الزمان وما يحدث فيه

٥٩- عن شقيق، قال: قال عبد اللَّه: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، ويتخذها النَّاس سنة، فإذا غُيِّرت قالوا: غيِّرت السُّنَّة. قالوا: ومتىٰ ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا كثرت قراؤكم، وقلَّتْ فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلَّت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الأخرة وتُفقّه لغير الدين».

٦٠٠- أخبرنا أبو المغيرة، ثنا الأوزاعي، قال: أنبئت أنه كان يُقال: «ويل للمتفقهين بغير العبادة، والمستحلّين للحرمات بالشبهات».

٦١- عن عبد اللَّه، قال: «لا يأتي عليكم عام إلَّا وهو شرّ من الذي كان قبله، أمَّا أني لست أعني عامًا أخصب من عام، ولا أميرًا خيرًا من أمير، ولكن علماءكم وخياركم وفقهاءكم يذهبون ثُمَّ لا تجدون منهم خلفًا وتجيء قوم يقيسون الأمور برأيهم».

٦٢- عن ابن سيرين، قال: «أول من قاس إبليس، وما عبدت الشمس والقمر إلَّا بالمقاييس».

٦٣- عن الحسن، أنه تلا هذه الآية: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، قال: قاس إبليس، وهو أول من قاس».

٦٤- عن مسروق، أنه قال: «إني أخاف وأخشىٰ أن أقيس، فتزلّ قدمي».

٦٥- عن الشعبي، قال: «واللَّه لئن أخذتم بالمقاييس لتحرمنَّ الحلال ولتحلنَّ الحرام».

٦٦- عن عامر أنه كان يقول: «ما أبغض إليّ أرأيت أرأيت، يسأل الرجل صاحبه فيقول: أرأيت، وكان لا يقايس».

٦٧- عن الزبرَقان، قال: «نهاني أبو وائل أن أجالس أصحاب: أرأيت».

٦٨- عن الشعبي، قال: «لو أنَّ هؤلاء كانوا علىٰ عهد النَّبِيّ ﷺ لنزلت عامة القرآن: يسألونك يسألونك».

٦٩- عن ميمون أبي حمزة، قال: قال لي إبراهيم: «يا أبا حمزة، واللَّه لقد تكلَّمت ولو وجدت بدًّا ما تكلمت، وإن زمانًا أكونُ فيه فقيه أهل الكوفة زمان سوء».

٧٠- عن مجاهد قال: قال عمر: «إيَّاك والمكايلة» يعني الكلام.

٧١- عن ربيعة بن يزيد قال: قال معاذ بن جبل: «بفتح القرآن علىٰ النَّاس حتىٰ يقرأه المرأة والصبي والرجل، فيقول الرجل: قد قرأت القرآن فلم أتبع واللَّه لأقومن به فيهم لعلي اتبع فيقوم به فيهم فلا يتبع، فيقول: قد قرأت القرآن فلم أتبع، وقد قمت به فيهم فلم أتبع لأحتظرن في بيتي مسجدًا لعلي اتبع فيحتظر في بيته مسجدًا فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن فلم أتبع وقمت به فيهم فلم أتبع وقد احتظرت في بيتي مسجدًا فلم أتبع واللَّه لأتينهم بحديث لا يجدونه في كتاب اللَّه ولم يسمعوه عن رسول اللَّه لعلي أتبع. قال معاذ: فإياكم وما جاء به فإنَّ ما جاء به ضلالة» [١٢].

---

[١٢] **قلت**: هذا الباب: «باب تغير الزمَّان وما يحدث فيه» فروىٰ فيه جملة من الآثار أترجمها وأبيّنها في هذه الأحاديث:

- **لا تقوم الساعة إلَّا على شرار الناس:**

روىٰ البخاريّ في «صحيحه» (٧٠٦١) باب ظهور الفتن، ومسلم (١١/ ٢٦٧٢) كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان عن أبي هريرة عن النَّبِيّ ﷺ قال: «**يتقارب الزمان، وينقص العمل** -وفي رواية مسلم- **وينقص العلم، ويُلقىٰ الشّح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج**»، قالوا: يا رسول اللَّه وما الهرج؟ قال: «**القتل القتلُ**».

وروىٰ البخاري (٧٠٦٢) ومسلم (١٠/ ٢٦٧٢) من حديث عبد اللَّه وأبي موسىٰ قالا: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ بين يدي الساعة لأيامًا، ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج، والهرج القتل**»، وفي حديث لمسلم (٨/ ٢٦٧١) قال ﷺ: «**إنَّ من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويثبت الجهل**».

قال النووي في «شرح مسلم» (١٦/ ١٦٧): =

= «يثبت من الثبوت، وفي رواية: «يُبثّ» بالياء، أي ينشر ويشيع» اهـ.

وفي رواية للبخاري (٧٠٦٦): قال ﷺ: «**بين يدي الساعة أيامُ الهرجِ، يزول فيها العلم، ويظهر فيها الجهل**».

وروىٰ البخاري في كتاب الفتن (٧٠٦٨) باب لا يأتي زمان إلَّا الذي بعده شرّ منه، عن الزبير بن عديّ قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقىٰ من الحجَّاج فقال: «**اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلَّا الذي بعده شرّ منه حتىٰ تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ**».

فأتبع البخاري بحديث بعده (٧٠٦٩) أنَّ أم سلمة زوج النَّبِيّ ﷺ قالت: استيقظ رسول اللَّه ﷺ ليلة فزعًا يقول: «**سبحان اللَّه! ماذا أنزل اللَّه من الخزائن، وماذا أنزل اللَّه من الفتن؟ مَنْ يُوقِظُ صواحب الحُجرات -يريد أزواجه- لكي يُصلِّين؛ ربّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ في الآخرة**».

- **عود على بدء والاعتصام بالسُّنَّة نجاة:**

وروىٰ مسلم في «صحيحه» (٢٩٤٨) قال رسول اللَّه ﷺ: «**العبادة في الهرج كهجرة إليّ**».

قال القرطبيّ في: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٧/ ٢٥٦- ٢٥٧):

«الهرج: الاختلاط والارتباك، ويُراد به هنا: الفتن والقتل، واختلاط النَّاس بعضهم ببعض، فالمتمسك بالعبادة في ذلك الوقت، والمنقطع إليها، المعتزل عن الناس، أجره كأجر المهاجر إلىٰ النَّبِيّ ﷺ؛ لأنَّه يناسبه من حيث أنَّ المهاجر قدْ فرَّ بدينه عمَّن يصدّه عنه؛ إلىٰ الاعتصام بالنَّبِيّ ﷺ، وكذلك هو المنقطع للعبادة فرَّ من النَّاس بدينه إلىٰ الاعتصام بعبادة ربَّه، فهو علة التحقيق قد هاجر إلىٰ ربه وفرَّ من جميع خلقه» اهـ.

وروىٰ مسلم في «صحيحه» (٢٩٤٩) قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقوم الساعة إلَّا علىٰ شرار النَّاس**»، وفي رواية لمسلم (١٤٨): «**لا يقوم الساعة حتىٰ لا يُقال في الأرض اللَّهُ اللَّهُ**»، وفي رواية: «**لا تقوم الساعة علىٰ أحد يقول: اللَّهُ اللَّهُ**» من كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان آخر الزمان.

- **النُزَّاع من القبائل والطائفة المنصورة:**

وروىٰ مسلم أيضًا في «صحيحه» (١٤٥) باب بيان أنَّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، =

= من حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبىٰ للغرباء**».

قال النووي في «شرح مسلم» (٢/ ٣٣٥):

«قال القاضي عياض: وظاهر الحديث العموم، وأنَّ الإسلام بدأ في آحاد من النَّاس، وقلَّة، ثُمَّ انتشر وظهر، ثُمَّ سيلحقه النقص والإخلال؛ حتىٰ لا يبقىٰ إلَّا في آحاد من النَّاس وقلة أيضًا كما بدأ.

وجاء في تفسير الغرباء، قال رسول اللَّه ﷺ: «**النزّاع من القبائل**»، قال الهَرَويّ: أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم إلىٰ اللَّه تعالىٰ» اهـ.

وحديث: «**النزَّاع منن القبائل**» رواه ابن ماجه في «سننه» في الفتن (**٣٩٨٨**)، ورواه الترمذي في «سننه» (**٢٦٣٠**) وقال حديث حسن صحيح، بلفظ: «**فطوبىٰ للغرباء الذين يُصلحون ما أفسد النَّاس من بعدي من سُنّتي**».

قال السنديِّ في: «سنن ابن ماجه» (٤/ ٣٥٠):

«النُزّاع: قيل هو جمع نزيع ونازع، وهو الغريب الذي أُنزِع عن أهله وعشيرته؛ أي: الذين يخرجون عن الأوطان لإقامة سُنن الإسلام، وقد جاء عن بعض السلف أنهم أهل الحديث واللَّه أعلم» اهـ.

قال شيخ الإسلام في: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٩٥):

«فهم أعلم الأمة بحديث الرسول ﷺ وسيرته ومقاصده وأحواله، ونحن لا نعني بأهل الحديث: المقتصرين علىٰ سماعه، أو كتابته، أو روايته، بل نعني بهم: كلّ من كان أحق بحفظه، ومعرفته، وفهمه ظاهرًا وباطنًا، واتّباعه ظاهرًا وباطنًا، وكذلك أهل القرآن، وأدْنىٰ خصلة في هؤلاء: محبّة القرآن والحديث، والبحث عنهما وعن معانيهما والعمل بما عملوه من موجبها، ففقهاء الحديث أخبر بالرسول من فقهاء غيره» اهـ.

ومن الجدير بالذّكر إيراد هذا الحديث الآتي تحت الباب المذكور: تغيّر الزمان وما يحدث فيه فقد روىٰ البخاري في «صحيحه» (**٧٣١١**) ومسلم (**١٩٢٠**) قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتىٰ يأتي أمر اللَّه وهم علىٰ ذلك**»، وفي رواية البخاري (**٧٤٦٠**): «**لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر اللَّه**».

٩- باب في كراهية أخذ الرأي

٧٢- هو ابن مغول -قال: قال لي الشعبي: «ما حدثوك هؤلاء عن رسول اللَّه ﷺ فخذ به، وما قالوه برأيهم فالقه في الحش».

٧٣- أخبرني رجاء بن أبي سلمة، قال: سمعت عبدة بن أبي لبابة، يقول: «قد رضيت من أهل زماني هؤلاء أن لا يسألوني ولا أسألهم، إنَّما يقول أحدهما: أرأيت، أرأيت».

٧٤- عن عبد اللَّه بن مسعود، قال: خَطَّ لنا رسول اللَّه ﷺ يومًا خطًّا ثُمَّ قال: هذا سبيل اللَّه، ثُمَّ خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثُمَّ قال: «**هذه سُبُل، علىٰ كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثُمَّ تلا**: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[(١)].

٧٥- عن مجاهد: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ قال: «البدع والشبهات والضلالات».

[● أثر ابن مسعود العمدة في الباب]:

٧٦- أخبرنا الحكم بن المبارك، أنا عمر بن يحيىٰ، قال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه، قال: «كنا نجلس علىٰ باب عبد اللَّه بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلىٰ المسجد فجاءنا أبو موسىٰ الأشعري فقال: «أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟» قلنا: لا، فجلس معنا حتىٰ خرج، فلمَّا خرج قمنا إليه جميعًا فقال له أبو موسىٰ: «يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته ولم أرَ والحمد للَّه إلَّا خيرًا. قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصا فيقول: كبّروا مائة، فيكبّرون مائة، فيقول: هلّلوا مائة، فيهللون مائة،

---

(١) رواه ابن ماجه في مقدّمة سننه باب اتباع سنة الرسول ﷺ (١١) والحاكم في «المستدرك» (٣٢٤١) وصححه ووافقه الذهبيّ، وأحمد في مسنده (٤١٤٢، ٤٤٣٧، ١٥٢١٣) وصححه الشيخ أحمد شاكر في المسند، وسيأتي بيانه في آخر الكتاب وخاتمة المنتقىٰ.

ويقول: سبّحوا مائة، فيسبحون مائة.

قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك أو انتظار أمرك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدّوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم؟ ثُمَّ مضىٰ ومضينا معه حتىٰ أتىٰ حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصا نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح.

قال: فعدُّوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تُبْلَ، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلىٰ ملة هي أهدىٰ من ملة محمد؟ أو مفتتحوا باب ضلالة؟ قالوا: واللَّه يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلَّا الخير؟ قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، أنَّ رسول اللَّه حدثنا: إنَّ قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم اللَّه ما أدري لعلَّ أكثرهم منكم، ثُمَّ تولَّىٰ عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج».

٧٧- عن أبي عبد الرحمن، قال: قال عبد اللَّه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم».

٧٨- عن جابر بن عبد اللَّه الأنصاري، قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ فحمد اللَّه وأثنىٰ عليه، ثُمَّ قال: «**إنَّ أفضلَ الهَدْيَ هَدْي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»[1].

٧٩- عن بلاز بن عصمة، قال: سمعت عبد اللَّه بن مسعود يقول -وكان إذا كان عشية ليلة الجمعة قام-، فقال: «إنَّ أصدق القول قول اللَّه، وإنَّ أحسن الهدي هدي محمد، والشقي من شقىٰ في بطن أمه، وإن شر الروايا روايا الكذب، وشر الأمور محدثاتها، وكل ما هو آت قريب»[2].

٨٠- عن ابن سيرين، قال: ما أخذ رجل ببدعة فراجع سنة.

---

(١) رواه مسلم (٨٦٧) وابن ماجه في المقدمة باب اجتناب البدع والجدل (٤٥).

(٢) رواه البخاريّ في «صحيحه» (٧٢٧٧) في كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول اللَّه ﷺ.

٨١- عن ثوبان، عن النَّبِيّ ﷺ، أنه قال: «**إنَّما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين**».

وفي رواية: «**إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الأئمة المضلين**»(١).

٨٢- عن قيس ابن أبي حازم، قال: دخل أبو بكر علىٰ امرأة من أحمس يُقال لها: زينب. قال: فرآها لا تتكلم، فقال: «ما لها لا تتكلم؟ قالوا: نوت حجة مصمتة. فقال لها: تكلمي فإنَّ هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية.

قال فتكلمت، فقالت: مَنْ أنت؟ قال: أنا امرؤ من المهاجرين. قالت: من أي المهاجرين؟ قال: من قريش. قالت: فمن أي قريش أنت؟ قال: إنك لسؤول، أنا أبو بكر. قالت: ما بقاؤنا علىٰ هذا الأمر الصالح الذي جاء اللَّه به بعد الجاهلية، فقال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم. قالت: وأيما الأئمة؟ قال: أمَّا كان لقومك رؤساء وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت: بلىٰ. قال: فهم مثل أولئك علىٰ النَّاس».

٨٣- عن واصل، عن امرأة يُقال لها: عائذة، قالت: رأيت ابن مسعود يوصي الرجال والنساء ويقول: «من أدرك منكنَّ من امرأة أو رجل فالسمت الأول السمت الأول، فإنكم علىٰ الفطرة».

قال عبد اللَّه: «السمت: الطريق».

٨٤- عن زياد بن حدير، قال: قال لي عمر: «هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال: قلت: لا. قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين».

٨٥- عن الحسن، قال: «سننكم واللَّه الذي لا إله إلَّا هو بينهما بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم اللَّه، فإنَّ أهل السُّنَّة كانوا أقل النَّاس فيما مضىٰ، وهم أقل النَّاس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف في أترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا علىٰ سنتهم حتىٰ لقوا ربَّهم، فكذلك إن شاء

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٤٢٥٢) والترمذي في «سننه» (٢٢٢٩) وقال حديث حسن صحيح.

اللَّه فكونوا».

٨٦- عن عبد اللَّه، قال: «القصد في السُّنَّة خير من الاجتهاد في البدعة» [١٣].

• **وليأتينَّ عليكم زمان يكون فيه الهوى قائدًا للعمل:**

[١٣] بوبَّ الإمام ابن بطة العكبري في: «الإبانة الكبرىٰ» (١/ ٣٠): «باب إعلام النبي ﷺ أمته أمر الفتن الجارية، وأمره لهم بلزوم البيوت، وفضل القعود، ولزوم العقلاء بيوتهم، وتخوفهم علىٰ قلوبهم من اتباع الهوىٰ، وصيانتهم لألسنتهم وأديانهم»، ٧٦١، ٧٦٢- حدثنا جعفر بن برقان قال: حدثني بعض أصحابنا أنَّ رجلًا من حمير كان يتعلم القرآن عند عبد اللَّه بن مسعود، فقال له نفر من قريش: لو أنك لم تعلم القرآن حتىٰ تعرف، فذكر ذلك الحميريّ لابن مسعود فقال: «بل فتعلّمه، فإنك اليوم في قوم كثير فقهاؤهم، قليل خطباؤهم، كثير معطوهم، قليل سؤالهم، يحفظون العهود، ولا يضيعون الحدود، والعمل فيه قائد للهوىٰ، ويوشك أن يأتي عليكم زمان قليل فقهاؤه، كثير خطباؤه، كثير سؤاله قليل معطوه يحفظون الحروف، ويضيعون الحدود، والهوىٰ فيه قائد للعمل.

قال الحميريّ: وليأتينَّ علينا زمان يكون فيه الهوىٰ قائدًا للعمل؟

قال ابن مسعود: نعم، قال الحميريّ: فمتىٰ ذلك الزمان؟

قال: إذا أُميتت الصلاة، وشُيّد البنيان، وظهرت الأَيْمان، واستخف بالأمانة، وقُبلت الرُّشا، فالنجاة النجاة.

قال: فأفعل ماذا؟ قال: تكفّ لسانك، وتكون حلسًا من أحلاس[(١)] بيتك.

قال: فإن لم أترك؟ قال: تُسأل دينك ومالك فاحرز دينك وابذل مالك.

قال: فإن لم أترك؟ قال: تُسأل دينك ودمك فاحرز دنياك وابذل دمك.

قال: قتلتني يا ابن مسعود، قال هو القتل أو النَّار -وفي رواية: فماذا ينجّيني يا ابن مسعود؟ قال: تأخذ حلسًا من أحلاس بيتك فتلبسه وتكف لسانك ويدك، قال: فإن لم أترك؟ قال: وما أراك تترك، فإن طلبوا دمك ودينك فابذل دمك واحرز دنيك، قال =

---

(١) **الحلس**: كل ما ولي ظهر الدابة تحت الرحل والسرج، وما يفرش علىٰ الأرض في البيت مثل السجّادة والموكيت «المعجم الوجيز» (ص: ١٦٧).

= اليماني: قُتلت وربّ الكعبة، قال ابن مسعود: هي هي أو النَّار، هي هي أو النَّار»، وفي رواية: فمن خير الناس في ذلك الزمان؟ قال: غنىٰ مستخف، قال: فمن شر النَّاس في ذلك الزمان قال: الراكب الموضع المسقع»[(١)].

- **رسالة الحسن البصريّ إلى الغافل الأبيّ:**

وروىٰ ابن بطة العكبري في: «الإبانة الكبرىٰ» (٨٧٤)- عن عبد الملك بن جدَّان، أنَّ عبد الواح بن زيد، والحسن البصري دخلا المسجد يوم الجمعة فجلسا، فدمعت عينُ الحسن، فقال عبد الواحد: يا أبا سعيد ما يبكيك؟ فقال: «أرىٰ قولًا ولا أرىٰ فعلًا، معرفة بلا يقين، أرىٰ رجالًا ولا أرىٰ عقولًا، أسمع أصواتًا ولا أرىٰ أنيسًا، دخلوا ثُمَّ خرجوا، حرَّموا ثُمَّ استحلوا، عرفوا ثُمَّ أنكروا وإنَّما دين أحدِهِم لعقة علىٰ لسانه، ولو سألته هل يؤمن بيوم الحساب لقال: نعم، كذب ومالك يوم الدين، ما هذه من أخلاق المؤمنين، إنَّ من أخلاق المؤمنين: قوة في الدين، وحزْمًا في لين، وإيمانًا في يقين، وحرْصًا في علم، وقصدًا في غنًىٰ، وتجمّلًا في فاقة، ورحمة للمجهود، وعطاء في حقّ، ونهيًا عن شهوة، وكسبًا في حلال، وتحَرُّجًا عن طمع، ونشاطًا في هُدًىٰ، وبرًّا في استقامة، لا يحيف علىٰ من يُبغض، ولا يأثم في الحبّ، ولا يدّعي ما ليس له، ولا ينابز بالألقاب، ولا يشمت بالمصائب، ولا يضرّ بالجار، ولا يهمز، في الصلاة متخشع، وإلىٰ الزّكاة متسرّع، إن صمت لم يغمّه الصمت، وإنْ ضحك لم يعل صوته، في الزّلازل وقور، وفي الرّخاء شكور، قانع بالذي له، لا يجمح به الغيظ، ولا يغلبه الشح، يخالط النَّاس ليعلم، ويصمت ليسلم، وينطق ليفهم، إن كان من الذاكرين لم يُكتب مع الغافلين، وإنْ كان مع الغافلين كُتب من الذّكرين، وإن بُغي عليه صبر، حتىٰ يكون اللَّه هو الذي ينتقم له يوم القيامة».

* * *

(١) **المسقع والمصقع**: البليغ الذي يتفنن في مذاهب القوم القوي اللسان وحسن المنطق اللسن، وكذلك الراكب السريع «المعجم الوجيز» (ص: ٣٦٧).

١٠- باب الاقتداء بالعلماء

٨٧- عن إبراهيم، قال: «لقد أدركت أقوامًا لو لم يجاوز أحدهم ظفرًا لما جاوزته، كفىٰ إزراءً علىٰ قوم أن تخالف أفعالهم».

٨٨- عن عطاء: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، قال: «أولوا العلم والفقه، وطاعة الرسول: اتباع الكتاب والسُّنَّة».

٨٩- حدثنا إبراهيم بن أدهم، قال: سألت ابن شبرمة عن شيء، وكانت عندي مسألة شديدة فقلت: رحمك اللَّه انظر فيها. قال: «إذا وضح لي الطريق ووجدت الأثر لم أحبس».

٩٠- عن أبي هريرة، قال: قيل: يا رسول اللَّه، أي النَّاس أكرم؟ قال: «**أتقاهم**» قالوا: ليس عن هذا نسألك؟ قال: «**فيوسف بن يعقوب نبي اللَّه ابن نبي اللَّه ابن خليل اللَّه**» قالوا: ليس عن هذا نسألك؟ قال: «**فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام**»[(١)].

٩١- عن معاوية قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ قال: «**من يرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين**»[(٢)].

٩٢- عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، أنه شهد خطبة رسول اللَّه ﷺ في يوم عرفة في حجة الوداع قال: «**أيها النَّاس، إني واللَّه لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد يومي هذا، بمكاني هذا، فرحم اللَّه من سمع مقالتي اليوم فوعاها، فربّ حامل فقه ولا فقه له، وربّ حامل فقه إلىٰ مَنْ هو أفقه منه، واعلموا أنَّ أموالَكُمْ ودماءكم حرام عليكم، كحرمة هذا اليوم في هذا الشهر في هذا البلد، واعلموا أنَّ القلوب لا تغلَّ علىٰ ثلاث: إخلاص العمل للَّه، ومناصحة أولي الأمر، وعلىٰ لزوم جماعة المسلمين، فإنَّ دعوتهم تحيط من ورائهم**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥٣) ومسلم (٢٣٧٨). (٢) رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧).

(٣) رواه الترمذي (٢٦٥٦) في «سننه» وقال حديث حسن صحيح، والحاكم في «المستدرك» (٢٩٤، ٢٩٥) وصححه ووافقه الذهبي، وابن ماجه في المقدمة (٢٣١) وأبو داود في «سننه» (٣٦٦٠)، **قلت**: وهذه الأحاديث الثلاثة المروية: أمَّا الأول فمعناه في أول حديث في المقدمة، وقد مرَّ =

٩٣- عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: قام رسول اللّه ﷺ بالخَيْف من مِني فقال: «**نَضَّر اللّه عبدًا سمع مقالتي فوعاها، ثُمَّ أدَّاها إلىٰ مَنْ لم يسمعها، فربّ حامل فقه لا فقه له، وربّ حامل فقه إلىٰ مَنْ هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب المؤمن: إخلاص العمل للّه، وطاعة ذوي الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**»(١) [١٤].

• **تعليق على الباب:**

[١٤] **رویٰ ابن بطة في: «الإبانة الكبرىٰ» (٣٩) قال سفيان بن عيينة:**

«أفضل النَّاس منزلة يوم القيامة، من كان بين اللّه وبين خلقه» -يعني: العلماء-».

٤٢- عن سلمة بن سعيد قال: «كان يُقال: العلماء سرج الأزمنة، فكل عالم مصباح زمانه، فبه يستضيءُ أهل عصرة» قال: «وكان يُقال: العلماء تنسخ مكايد الشيطان».

٤٣- عن سلمان أنه قال: «لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتىٰ يعلم الآجر، فإذا هلك الأوَّل، قبل أن يعلم الآخر هلك النَّاس».

وروىٰ ابن بطة في: «الإبانة الكبرىٰ»:

٤٤- عن ابن شوذب قال: «إنَّ من نعمة اللّه علىٰ الشاب إذا تنسَّك أن يواخي صاحب سنة يحمله عليه»، وعنه من طريق: «من نعمة اللّه علىٰ الشاب والأعجمي إذا نسكًا أن يوفّقا لصاحب سنة يحملهما عليها؛ لأنَّ الأعجمي يأخذ فيه ما سبق إليه».

٤٥- عن عمرو بن قيس الملائي يقول: «إذا رأيت الشاب أوَّل ما ينشأ مع أهل السُّنَّة والجماعة فارجه، وإذا رأيته مع أهل البدع فايئس منه، فإنَّ الشاب علىٰ أوَّل نشوئه».

٥٧- عن أبي أسامة قال: «جَزَىٰ اللّه عنَّا خيرًا من أعان الإسلام بشطر كلمة»، وروىٰ ابن بطة في: «الإبانة الكبرىٰ». =

= شرحه، وأمَّا الثالث والرابع فهي تبع لحرمة الخروج علىٰ الحكام، ووجوب طاعتهم، وقد مرَّ الثالث شرحه مفصلًا هامش باب (٢) اتباع السنة. .

(١) انظر: التخريج السابق.

= **٤١- عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن -ربيعة الرأي- قال**: «النَّاس في حجور علمائهم كالصبيان في حجورًا آبائهم»، وروىٰ أبو نعيم في: «حلية الأولياء»:

(٤٠٠٧)- **عن سفيان قال**: كان ربيعة بن أبي عبد الرحمن يومًا جالسًا، فغطىٰ رأسه ثُمَّ اضطجع فبكىٰ، فقيل له: ما يبكيك؟ قال ربيعة «رياء ظاهر وشهوة خفية، والنَّاس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم، ما أمروهم به ائتمروا وما نهاهم عنه انتهوا».

- **معنى حديث الصحيحين: «من يُرد اللَّه به خيرًا يُفقهه في الدين»:**

قال النووي في: «شرح مسلم» (٧/ ١٠٣):

«في هذا الحديث فضيلة العلم والتفقّه في الدين والحث عليه؛ وسببه أنه قائد إلىٰ تقوىٰ اللَّه تعالىٰ» اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٠/ ٢١٢):

«ولازم ذلك الحديث أنَّ من لم يُفقّهه في الدين لم يُرد اللَّه به خبرًا، فيكون التفقّه في الدين فرضًا، والتفقّه في الدين، معرفة الأحكام الشرعيّة بأدلتها السمعية، فمن لم يعرف ذلك لم يكن مُتفقّهًا في الدين، لكن من النَّاس من قد يعجز عن معرفة الأدلة التفصيلية في جميع أموره، فيسقط عنه ما يعجز عن معرفته، لا كل ما يعجز عنه من التفقه ويلزمه ما يقدر عليه، وأمَّا القادر علىٰ الاستدلال فقيل: يحرم عليه مطلقًا، وقيل يجوز مطلقًا، وقيل يجوز عند الحاجة كما إذا ضاق الوقت عند الاستدال، وهذا القول أعدل الأقوال» اهـ.

قال الإمام اللغويّ الفقيه ابن منظور في: «لسان العرب» (١١/ ٢١٠) مادة (فقه):

«الفقه: العلم بالشيْء، والفهم له، غلب علىٰ علم الدين؛ لسيادته وشرفه وفضله علىٰ سائر العلوم، قال ابن الأثير: واشتقاقه من الشقّ والفتح، وقد جعله العرف خاصًّا بعلم الشريعة، وقال غيره: الفقه في الأصل الفهم، يُقال: أوتي فلان فقهًا في الدين أي فهمًا فيه، قال ﷻ: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]؛ أي: ليكونوا علماء به، وفقهه اللَّه، ودعا النَّبِيّ ﷺ لابن عبَّاس فقال: «**اللهم فقِّهه في الدين وعلّمه التأويل**»[(١)] أي: فهمه =

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٢٨٧) وصححه ووافقه الذهبي واللفظ له، والحديث في صحيح البخاريّ (٧٥) ومسلم (٢٤٧٧).

= تأويله ومعناه، فاستجاب اللَّه دعاءه، وكان من أعلم النَّاس في زمانه بكتاب اللَّه تعالىٰ وفَقِه فقهًا بمعنىٰ: عَلِمَ علمًا، وعن سلمان الفارسيّ: أنه نزل علىٰ نبْطيّة بالعراق فقال لها: هل هناك مكان نظيف أصلي فيه؟ فقالت: طهر قلبك وصلّ حيث شئت، فقال سلمان: فَقِهَتْ»؛ أي: فهمت وفطنت للحق والمعنىٰ الذي أرادت، وأفقته إذا باحثته في العلم، والفقه: الفطنة» اهـ.

قلت: وقال أبو المظفر بن السمعاني في: «قواطع الأدلة في الأصول» (١/ ٢٠- ٢١):

«الفقه هو: استنباط المشكل من الواضح، يُقال: فلان يتفقّه إذا استنبط علم الأحكام وتتبّعها من طريق الاستدلال، قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، والدليل علىٰ أنَّ التفقه أصل الاستنباط والاستدلال علىٰ الشيء بغيره، حديث زياد بن لبيد قال: ذكر رسول اللَّه ﷺ شيئًا وقال: «**هذا أوان ذهاب العلم**» قلت: كيف يذهب العلم وكتاب اللَّه عندنا نقرأه وتُقْرِأه أبناءنا، فقال: «**ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأراك من فقهاء المدينة، أومن أفقه رجل في المدينة، أو ليس اليهود والنصارىٰ يقرءون التوراة والإنجيل ولا يعملون بشيْء ممَّا فيهما**»؟[(١)].

فدلَّ قوله: «**إن كنت لأراك من فقهاء المدينة**» علىٰ أنَّه لما لم يستنبط علم ما أُشْكِل عليه من ذهاب العلم مع بقاء الكتاب بما شاهده من زوال العلم عن اليهود والنصارىٰ، مع بقاء التوراة والإنجيل عندهم خرج عن الفقه، فهذا يدلُّ علىٰ ما ذكرناه، من أنَّ الفقه هو استنباط حكم المشكل من الواضح، وعلىٰ هذا قوله ﷺ: «**نضر اللَّه امرأ سمع منَّا حديثًا فحفظه حتىٰ يبلّغه غيره، فرُبّ حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه، وربّ حامل فقه ليس بفقيه**»[(٢)] أي: غير مستنبط، ومعناه أنَّه يحمل الرّواية من غير أن يكون له استدلال ولا استنباط فيها» اهـ.

قال الحافظ الفقيه أبو عبد بن عبد البر في: «جامع بيان العلم وفضله» «المختصر» (ص: ١٠- ١٢) تحت الباب الثاني: «طلب العلم فريضة»: =

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٢٦٥٣) وقال: حديث حسن، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٨، ٣٣٩) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٥٧) وقال حديث حسن صحيح، والحاكم (٢٩٤، ٢٩٥)، وصححه ووافقه الذهبيّ.

=

- **جملة إجماعات ابن عبد البر:**

«١٠- عن عليّ بن الحسن بن شقيق قال: قلت لابن المبارك: ما الذي لا يسع المؤمنَ من تعليم إلَّا أن يطلبه؟ وما الذي يجب عليه أن يتعلّمه؟ قال: «لا يسعه أن يقدم علىٰ شيء إلَّا بعلم، ولا يسعه حتىٰ يسأل».

قال أبو عمر: قد أجمع العلماء علىٰ أنَّ من العلم ما هو فرض متعين علىٰ كل امرئٍ في خاصّة نفسه، ومنه ما هو فرض كفاية إذا قام به قائم سقط فرضه عن أهل ذلك الموضع، واختلفوا في تلخيص ذلك، والذي يلزم الجميع فرض من ذلك: ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه نحو الشهادة باللسان، والإقرار بالقلب أنَّ اللَّه وحده لا شريك له، ولا شبْه له، ولا مثل له، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، خالق كل شيء، وإليه يُرجع كل شيء، المحيي المميت الحيّ الذي لا يموت، عالم الغيب والشهادة هما عنده سواء، لا يعزب عنه مقال ذرة في الأرض ولا في السماء، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، والذي عليه جماعة السُّنَّة والجماعة: أنَّه لم يزل بصفاته وأسمائه، ليس لأوليّته ابتداء، ولا لآخريّته انقضاء، وهو علىٰ العرش استوىٰ.

والشهادة بأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وخاتم أنبيائه حق، وأنَّ البعث بعد الموت للمجازاة بالأعمال، والخلود في الآخرة لأهل السعادة بالإيمان الطاعة في الجنة، ولأهل الشقاوة بالكفر والجحود في السعير حق، وأنَّ القرآن كلام اللَّه، وما فيه حق من عند اللَّه يلزم الإيمان بجميعه، واستعمال محكمه، وأنَّ الصلوات الخمس فريضة، ويلزمه علم ما يُفسد صومه، وما لا يتم إلَّا به، وإن كان ذا مال وقدرة علىٰ الحج لزمه فرضًا أن يعرف ما تجب في الزكاة ومتىٰ تجب، وفي كم تجب، ولزمه أن يعلم بأنَّ الحج عليه فرض مرة واحدة في دهره إن استطاع السبيل إليه، إلىٰ أشياء يلزمه معرفة جُملها ولا يعذر بجهلها، نحو تحريم الزنا، وتحريم الخمر، وأكل الخنزير، وأكل الميتة، والأجناس كلها، والسرقة، والربا، والغصب، والرشوة في الحكم، والشهادة بالزور، وأكل أموال النَّاس بالباطل، وبغير طيب من أنفسهم، إلَّا إذا كان شيئًا لا يستآح فيه ولا يرغب في مثله، وتحريم الظلم كله، وهو كل ما منع اللَّه ﷻ منه ورسوله ﷺ، وتحريم نكاح الأمهات والبنات والأخوات ومن ذُكر معهُنَّ، وتحريم قتل النفس المؤمنة بغير حق، وما كان مثل هذا كله ممَّا قد نطق به الكتاب، وأجمعت الأمة عليه، ثُمَّ سائر العلم وطلبه والتفقه فيه، =

= وتعليم النَّاس إيّاه وفتواهم به في مصالح دينهم ودنياهم، والحكم به بينهم فرض كفاية يلزم الجميع فرضه، فإذا قام به قائم سقط فرضه عن الباقين بموته، لا خلاف بين العلماء في ذلك، . . . . » اهـ.

قلت: وعلىٰ هذا يجب الاقتداء بالعلماء في ذلك وكل ما كان مثله من الدين.

❊ ❊ ❊

١١- باب اتّقاء الحديث عن النَّبِيّ ﷺ [١٥]

٩٤- عن عتاب، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: لولا أني أخشي أن أخطئ لحدّثتكم بأشياء سمعتها من رسول اللَّه ﷺ -أو قالها رسول اللَّه- وذاك أني سمعته ﷺ يقول: «**من كذب عليَّ متعمّدًا فليتبوأ مقعده من النَّار**»(١).

٩٥- عن أبي قتادة، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول علىٰ المنبر: «**يا أيها النَّاس إياكم وكثرة الحديث عني، فمن قال عليَّ فلا يقل إلَّا حقًّا -أو إلَّا صدقًا- ومن قال عليَّ ما لم أقل متعمدًا فليتبوأ مقعده من النَّار**»(٢).

● **المراد بهذا الباب:**

[١٥] ● **قلت**: المراد بهذا الباب الزجر والمنع من التكلم في دين اللَّه، في أي مسألة من مسائل الشريعة، إلا بعلم وفهم وفقه بدايةً من التحقيق والتقصي، من معرفة الصحيح من الضعيف، والحق من الباطل، روايةً ودرايةً، لفظًا ومعنًى، ولا يكون البلاغ إلا بعد التثبت والإتقان، والفكر والإمعان؛ لأنه يتكلم عن اللَّه ورسوله ﷺ.

* * *

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (١٠٧) ومسلم في «صحيحه» في المقدمة (٣)، (٤).

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة (٣٥) والحاكم في «المستدرك» (٣٧٩) وصححه ووافقه الذهبيّ.

١٢- باب في ذهاب العلم

٩٦- عن عبد اللَّه بن عمرو، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ اللَّه لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من النَّاس، ولكن قبض العلم بقبض العلماء، فإذا لم يُبْقِ عالمًا اتّخذ النَّاس رءُوسًا جهّالًا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا**»(١).

٩٧- عن أبي أمامة، عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**خُذُوا العلم قبل أن يذهب**» قالوا: وكيف يذهب العلم يا نبي اللَّه وفينا كتاب اللَّه؟! قال: فغضب لا يغضبه اللَّه ثُمَّ قال: «**ثكلتكم أمهاتكم أوّلم تكن التوراة والإنجيل في بني إسرائيل فلم يُغْنِيَا عنهم شيئًا، إنَّ ذهاب العلم أن يذهب حملته، إنَّ ذهاب العلم أن يذهب حملته**»(٢).

٩٨- حدثنا هلال -هو ابن خباب-، قال: سألت سعيد بن جبير، قلت: يا أبا عبد اللَّه، ما علامة هلاك النَّاس؟ قال: «إذا هلك علماؤهم».

٩٩- عن سلمان، قال: «لا يزال النَّاس بخير ما بقي الأول حتىٰ يتعلّم أو يعلّم الآخر، فإن هلك الأول قبل أن يعلّم أو يتعلّم الآخر هلك النَّاس».

١٠٠- عن ابن عباس، قال: «هل تدرون ما ذهاب العلم؟ قلنا: لا. قال: ذهاب العلماء».

---

(١) رواه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

- **قال أبو العباس القرطبيّ في: «المُفْهِم» (٦/ ٥٧٤- ٥٧٥):**

«قوله ﷺ: «**إنَّ اللَّه لا يقبض العلم انتزاعًا**»، وهو نص في أن رفْع العلم لا يكون بمحوه من الصدور، بل بموت العلماء، وبقاء الجهال الذين يتعاطون مناصب العلماء في الفتيا والتعليم، يفتون بالجهل ويُعلِّمونه؛ فيُنْشر الجهل ويظهر، ووُجد علىٰ نحو ما أخبر ﷺ، فكان ذلك دليلًا، وخصوصًا في هذه الأزمان؛ إذْ قد ولي المدارس، والفتيا كثير من الجهال والقبْيان وحُرِمَهَا أهل ذلك الشأن» اهـ. **قلت**: فإنا للَّه وإنّا إليه راجعون.

(٢) روىٰ الدارمي هذا الحديث رقم (٢٨٨) بلفظ مقارب، ورواه الترمذي في «سننه» (٢٦٥٣) وقال حديث حسن، وابن ماجه (٤٠٤٨) في كتاب الفتن، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٩) (٣٣٨) وصححه ووافقه الذهبيّ.

١٠١- عن أبي وائل، قال: قال حذيفة: «أتدري كيف ينقص العلم؟ قال: قلت: كما ينقص الثوب، وكما ينقص الدرهم، قال: لا، وإنَّ ذلك لمنه، قبض العلم قبض العلماء».

١٠٢- عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي الدرداء قال: «ما لي أرىٰ علماءكم يذهبون، وجهّالكم لا يتعلمون، فتعلّموا قبل أن يُرْفع العلم، فإن رفع العلم ذهاب العلماء».

١٠٣- عن عبد اللَّه بن مسعود قال: «اغْد عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا ولا تكن الرابع فتهلك».

١٠٤- عن الأحنف، قال عمر: «تفقّهوا قبل أن تُسَوّدوا»[1].

[• صلاح الدنيا والدين بصلاح التفقه في الدين شرط في الراعي والرعية:]

١٠٥- عن تميم الداري، قال: «تطاول النَّاس في البناء في زمن عمر، فقال عمر: **يا معشر العريب، الأرض الأرض، إنه لا إسلام إلَّا بجماعة، ولا جماعة إلَّا بإمارة، ولا إمارة إلَّا بطاعة، فمن سوَّده قومه علىٰ الفقه كان حياة له ولهم، ومن سوده قومه علىٰ غير فقه كان هلاكًا له ولهم**» [١٦].

[• زيادة بيان وشرح في رفع العلم ما هو؟]

[١٦] وقال الحافظ العسقلانيّ في «فتح الباري» (١/ ٢٤٧):

«باب كيف يقبض العلم؟: قوله ﷺ: «**لا يقبض العلم انتزاعًا**»؛ أي: محوًا من الصدور، وكأنَّ تحديث النَّبِيّ ﷺ بذلك في حجّة الوداع، كما رواه أحمد والطبراني من حديث أبي أمامة قال لما كان في حجّة الوداع، قال النَّبِيّ ﷺ: «**خذوا العلم قبل أن يُقبض أو يُرْفع**» فقال أعرابيّ، كيف يُرفع؟ فقال ﷺ: «**ألا أنَّ ذهاب العلم حملته، ذهاب العلم حملته، ذهاب العلم حملته**». **قال ابن المُنيرّ**: محو العلم من الصدور جائز في القدرة، =

---

(١) رواه البخاريّ معلقًا في كتاب العلم، باب (١٥) الاغتباط في العلم والحكمة قبيل حديث (٧٣) ووصله ابن أبي شيبة وإسناده صحيح كما قال ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ٢١٢).

= إلَّا أنَّ هذا الحديث دلَّ علىٰ عدم وقوعه. [قال ابن حجر:]، **وفي هذا الحديث الحثّ علىٰ حفظ العلم والتحذير من ترئيس الجهلة، وفيه: أنَّ الفتوىٰ هي الرياسة الحقيقية، وذم من يُقدم عليها بغير علم**» اهـ.

قلت: وقال القرطبي في: «المفهم لما أُشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٦/ ٥٧٥-٥٧٦):

«غير أنَّه قد جاء في كتاب الترمذي عن جُبير بن نُفيْر عن أبي الدرداء ما يدلّ علىٰ أنَّ الذي يُرفع هو العمل، قال أبو الدرداء: كُنَّا مع النَّبِيّ ﷺ فشخص ببصره إلىٰ السماء ثُمَّ قال: «**هذا أوانٌ يختلس فيه العلم من النَّاس، حتىٰ لا يقدروا منه علىٰ شيء**» فقال زياد بن لبيد الأنصاري: وكيف يُختلسُ منَّا وقد قرأنا القرآن؟ فواللَّه لنقرأنَّه ولنقرئنَّه نساءنا وأبناءنا، فقال: «**ثكلتك أمّك يا زياد، إن كنتُ لأعُدّك من فقهاء أهل المدينة؛ هذه التوراة والإنجيل عند اليهود النَّصارىٰ، فماذا تُغْني عنهم؟!**» قال جُبير بن نُفيّر: فلقيت عُباده بن الصامت فقلت: ألا تسمع إلىٰ ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء، قال: صدق أبو الدرْداء، إن شئت لأحدثنّك بأول علم يُرفع: الخشوع، يوشك أن يدخل مسجد الجامع فلا ترىٰ فيه رجلًا خاشعًا.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقد خرَّجه النسائي من حديث جبير بن نُفيل أيضًا عن عوف بن مالك الأشجعيّ من طرق صحيحة[(١)].

وظاهر هذا الحديث: أنَّ الذي يُرفع إنَّما هو العملُ بالعلم لا نفس العلم، وهذا خلاف ما ظهر من حديث عبد اللَّه بن عمروٍ، فإنّه صريح في رفع العلم.

قلت: ولا تباعد فيهما؛ فإنَّه إذا ذهب العلم بموت العلماء، خلفهم الجهّال، فأفتوا بالجهل، فَعُمِلَ به، فذهب العلم والعمل، وإنْ كانت المصاحف والكتب، والكتب بأيدي النَّاس كما اتفق لأهل الكتابيْن، ولذلك قال رسول اللَّه ﷺ لزياد علىٰ ما نصَّ عليه النسائي: «**ثكلتك أمُك يا زياد! هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنَّصارىٰ فماذا يغني عنهم**»، وذلك أنَّ علماءهم لما انقرضوا خلفهم جهَّالهم، فحرَّفوا الكتاب، وجهلوا المعاني، فعملوا بالجهل وأفتَوْا به، فارتفع العلم والعمل، وبقيت أشخاص الكتب لا تُغني شيئًا» اهـ. =

(١) والحديث رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٣٨، ٣٣٩) وصححه ووافقه الذهبي.

= • **الحديث مضلة إلَّا للفقهاء:**

• **قلت: قال الإمام ابن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ) في كتابه: «الجامع في السنن والمغازي والتاريخ» (ص: ١١٨، ١١٩):**

«قال سفيان بن عيينة: «**الحديث مضلّة إلَّا للفقهاء**» قال: يعني أن غير الفقهاء قد يحمل شيئًا علىٰ ظاهره؛ وله تأويل من حديث غيره، أوْ دليل خفيّ، أو متروك، أوْ أوجب تركه، غير شيْء مما لا يقوم به إلّا من استبحر وتفقّه.

قال ابن وهب: «كل صاحب حديث ليس له إمام في الفقه فهو ضال، ولولا أنّ اللَّه تعالى أنقذنا بمالك والليث لضللنا». اهـ

قلت: وقول سفيان بن عيينة: إن مدار الأمر علىٰ الفقيه الأصولي: الجامع بين الراجح والمرجوح، والناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والمحكم والمتشابه، والصحيح والضعيف، **وليس ذلك إلّا للأصولي، الفقيه البارع.**

* * *

١٣- باب العمل والعلم وحسن النيّة فيه

١٠٦- عن الحسن، قال: «من طلب شيئًا من هذا العلم فأراد به ما عند اللَّه يدرك إن شاء اللَّه، ومن أراد به الدنيا فذاك واللَّه حظّه منه».

١٠٧- قال ابن مسعود: «لا تعلّموا العلم لثلاث: لتماروا به السفهاء، وتجادلوا به العلماء، ولتصرفوا به وجوه النَّاس إليكم، وابتغوا بقَوْلكم ما عند اللَّه، فإنه يدوم ويبقىٰ وينفذ ما سواه».

١٠٨- وبهذا الإسناد قال: «كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدىٰ، أحلاس البيوت، سرج الليل، جدد القلوب، خلقان الثياب، تُعْرَفون في أهل السماء وتخفون علىٰ أهل الأرض».

١٠٩- حدثني عبد اللَّه بن عبد الرحمن، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يطلب هذا العلم أحد لا يريد به إلَّا الدنيا إلَّا حَرَّم اللَّه عليه عَرْفَ الجنَّة يوم القيامة**»(١).

١١٠- عن أوفىٰ بن دلهم، أنه بلغه عن علي قال: «تعلّموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنه سيأتي بعد هذا زمان لا يعرف فيه تسعة عشرائهم المعروف، ولا ينجو منه إلَّا كل نومة، فأولئك أئمة الهدىٰ ومصابيح العلم ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البذر». **قال أبو محمد: نومة: غافل عن الشر. المذاييع: البذر، كثير الكلام.**

١١١- عن يزيد بن جابر، قال: قال معاذ بن جبل: «اعملوا ما شئتم بعد أن تعلموا، فلن يأجركم اللَّه بالعلم حتىٰ تعملوا»(٢).

١١٢- ثنا الوليد بن مزيد، قال: سمعت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، يحدّث عن سعد، أنه أتىٰ ابنَ منبه فسأله عن الحسن وقال له: كيف عقله؟ فأخبره،

---

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٣٦٦٤) وابن ماجه (٢٥٢) وأحمد في المسند (٨٤٣٨) بسند موصول، وهو منقطع مرسل عند الدارميّ هنا، وصححه الحاكم في «المستدرك» (٢٨٨، ٢٨٩) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه المنذري في: «الترغيب والترهيب» (١٧٦)، وصححه ابن حبَّان في «صحيحه» (٧٨)، وعَرْف الجنة: ريحها الطيبة «النهاية» (٣/ ١٠٧).

(٢) قلت: اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. =

ثُمَّ قال: «**إنا لنتحدّث أو نجد في الكتب: أنه ما آتىٰ اللَّه عبدًا علمًا فعمل به علىٰ سبيل الهدىٰ فيسلبه عقله حتىٰ يقبضه اللَّه إليه**».

١١٣- عن أبي الدرداء يقول: «إنَّ من أشر النَّاس عند اللَّه منزلة يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه».

١١٤- عن مالك بن دينار، قال: قال أبو الدرداء: «**من يزدد علمًا يزدد وجعًا**»[1]. وقال أبو الدرداء: «ما أخاف علىٰ نفسي أن يُقال لي: ما علمت؟ ولكن أخاف أن يُقال لي: ماذا عملت؟».

١١٥- عن ابن عباس، قال: «تدارس العلم ساعة من الليل خير من إحيائها»، وقال أبو هريرة: «إني لأجزّئ الليل ثلاثة أجزاء: فثلث أنام، وثلث أقوم، وثلث أتذكر أحاديث رسول اللَّه ﷺ» [١٧].

- **باب من العلم والفقه عليه صلاح العالم والمتعلم، والمتمسك فيه بالسُّنَّة من أتباع الأنبياء:**

[١٧] قلت: روىٰ أبو نعيم في: «حلية الأولياء» (٢٤٧٩) -عن معاوية بن قرّة قال:

«كُنَّا عند الحسن البصري فتذاكرنا: أيّ عمل أفضل؟ فكلّهم اتفقوا علىٰ قيام الليل، فقلت أنا: ترك المحارم، قال: فانتبه الحسن البصري فقال: ثُمَّ الأمر، ثُمَّ الأمر».

كذلك روىٰ أبو نعيم في: «حلية الأولياء» (٢٦٦٦) - عن قتادة قال: «باب من العلم يحفظه الرجل، يطلب به صلاح نفسه وصلاح النَّاس، أفضل من عبادة حول كامل».

وروىٰ ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٠٩٨)، وابن بطة العكبري في: «الإبانة الكبرىٰ» (٥٧٥) عن عمر بن عبد العزيز قال: «من عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر ممَّا =

= **قال القرطبي في: «الجامع لأحكام القرآن» (٣/ ٣٠٧):**

«وعد من اللَّه أنَّ من اتقاه علّمه، أي يجعل في قلبه نورًا يفهم به ما يلقي إليه، وقد يجعل اللَّه في قلبه ابتداء فرقانًا، أي فيصلًا يفصل به بين الحق والباطل، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩]» اهـ.

(١) صدق ورب الكعبة.

= يصلح، ومن لم يعدّ كلامه من عمله كثرت خطاياه، ومن كثرت خصوماته لم يزل ينتقل من دين إلىٰ دين».

وروىٰ ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٣٨) عن وهب بن منبّه قال: «الفقيه العفيف الزَّاهد المتمسك بالسُّنَّة، أولئك أتباع الأنبياء في كل زمان».

وروىٰ في: «الإبانة الكبرىٰ»- (٨٨) عن سعيد بن جُبير في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] قال: «لزم السُّنَّة والجماعة».

* * *

١٤- باب من هاب الفتيا مخافة السقط[١]

١١٦- حدثنا عاصم، قال: سألت الشعبي عن حديث فحدثنيه، فقلت: إنه يرفع إلىٰ النَّبِيّ ﷺ؟ فقال: «لا، علىٰ من دون النَّبِيّ ﷺ أحب إلينا، فإن كان فيه زيادة أو نقصان كان علىٰ من دون النَّبِيّ ﷺ».

١١٧- عن إسماعيل بن عبيد اللَّه، قال: «كان أبو الدرداء إذا حدَّث بحديث عن رسول اللَّه ﷺ قال: هذا ونحوه أو شبهه أو شكله».

١١٨- عن عمرو بن ميمون، قال: «كنت لا تفوتني عشية خميس إلَّا آتي فيها عَبْدَ اللَّه بن مسعود فما سمعته يقول لشيء قط: قال رسول اللَّه، حتىٰ كانت ذات عشية فقال: قال رسول اللَّه ﷺ، قال: فاغرورقتا عيناه، وانتفخت أوداجه، فأنا رأيته محلولة إزراره، وقال: أو مثله، أو نحوه، أو شبيه به».

١١٩- ثنا توبة العنبري، قال: قال لي الشعبي: «أرأيت فلانًا الذي يقول: قال رسول اللَّه، قال رسول اللَّه؟ قعدت مع ابن عمر سنتين أو سنة ونصفًا، فما سمعته يحدّث عن رسول اللَّه ﷺ شيئًا إلَّا هذا الحديث».

١٢٠- عن ثابت بن قطبة الأنصاري، قال: «كان عبد اللَّه يحدثنا في الشهر بالحديثين أو الثلاثة».

١٢١- عن عبد الملك بن عبيد، قال: مَرَّ بنا أنسٌ بن مالك فقلنا: حدثنا ببعض ما سمعت من رسول اللَّه ﷺ. فقال: «وأتحلل».

١٢٢- عن محمد، قال: «كان أنس قليل الحديث عن رسول اللَّه ﷺ، وكان إذا حدَّث عن رسول اللَّه ﷺ قال: أو كما قال رسول اللَّه ﷺ».

١٢٣- حدثني السائب بن يزيد قال: «خرجت مع سعد بن أبي وقاص إلىٰ مكة فما سمعته يحدّث حديثًا عن رسول اللَّه ﷺ حتىٰ رجعنا إلىٰ المدينة».

١٢٤- عن قرظة بن كعب، قال: بعث عمر بن الخطاب رهطًا من الأنصار إلىٰ الكوفة، فبعثني معهم، فجعل يمشي معنا حتىٰ أتىٰ صرار -وصرار: ماء في طريق

---

(١) هذا الباب كله قائم علىٰ حديث رسول اللَّه ﷺ: «من كذب عليَّ مُتعمّدًا فليتبوَّا مقعده من النَّار» رواه مسلم (٣، ٤) والبخاري (١٠٧، ١٠٨) وقد مرَّ.

المدينة- فجعل ينفض الغبار عن رجليه ثُمَّ قال: «إنكم تأتون الكوفة فتأتون قومًا لهم أزيز بالقرآن، فيأتونكم فيقولون: قدم أصحاب محمد، قدم أصحاب محمد، فيأتونكم فيسألونكم عن الحديث، فاعلموا أن أسبغ الوضوء ثلاث، وثنتان تجزيان، ثُمَّ قال: إنكم تأتون الكوفة فتأتون قومًا لهم أزيز بالقرآن فيقولون: قدم أصحاب محمد، قدم أصحاب محمد، فيأتونكم فيسألونكم عن الحديث، فأقلّوا الرواية عن رسول اللَّه ﷺ، وأنا شريككم فيه» قال قرظة: وإن كنت لأجلس في القوم فيذكرون الحديث عن رسول اللَّه ﷺ، وإني لمن أحفظهم له، فإذا ذكرتُ وصية عمر سكت» قال أبو محمد، معناه عندي «الحديث عن أيام رسول اللَّه ﷺ، ليس السنن والفرائض».

١٢٥- عن علقمة، قال: قال عبد اللَّه: «قال رسول اللَّه ﷺ، ثُمَّ ارتعد، ثُمَّ قال: نحو ذلك أو فوق ذاك».

١٢٦- حدثنا صالح الدهان، قال: [ما] سمعت جابر بن زيد يقول قط «قال رسول اللَّه ﷺ إعظامًا واتقاءً أن يكذب عليه» [١٨].

١٢٧- عن عبد اللَّه بن شقيق، قال: جاء أبو هريرة رضي الله عنه إلىٰ كعب يسأل عنه، وكعب في القوم، فقال كعب: «ما تريد منه؟ فقال: «أمَا أني لا أعرف لأحد من أصحاب رسول اللَّه ﷺ أن يكون أحفظ لحديثه مني» فقال كعب: أمَا أنك لن تجد طالب شيء إلَّا سيشبع منه يومًا من الدهر، إلَّا طالب علم أو طالب دنيا. فقال: أنت كعب؟ قال: نعم. قال: لمثل هذا جئت».

١٢٨- عن عون بن عبد اللَّه، قال: قال عبد اللَّه: «نعم المجلس مجلس ينشر فيه الحكمة، وترجىٰ فيه الرحمة»[(١)].

---

[١٨] **قلت**: هذا يؤكد ما تصدّرت به الكلام علىٰ هذا الباب (١٤) باب من هاب الفتيا، وذكرت الحديث في ذلك، وهو: «**من كذب عليَّ متعمّدًا فليتبوّأ مقعده من النَّار**».

- **لماذا ختم الدارمي الباب بهذا الأثر؟**

(١) ختم الدارميّ بهذا الأثر ليحث النَّاس علىٰ أحاديث رسول اللَّه ﷺ، مخافة أن يهابوا التعلم والتعليم ومجالس العلم، وهذا ضياع للدين، مع الحرص علىٰ التثبت من الرواية عن رسول اللَّه ﷺ.

١٥- باب من قال: العلم: الخشية وتقوىٰ الله

١٢٩- عن أبي الدرداء قال: كنا مع رسول اللَّه ﷺ فشخص ببصره إلىٰ السماء ثُمَّ قال: «**هذا أوان يختلس العلم من النَّاس حتىٰ لا يقدروا منه علىٰ شيء**».

فقال زياد بن لبيد الأنصاري: يا رسول اللَّه، وكيف يختلس منا، وقد قرأنا القرآن فواللَّه لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا. فقال: «**ثكلتك أمّك يا زياد، إن كنت لأعدَّك من فقهاء اهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارىٰ فماذا يغني عنهم؟**» قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت، قال: قلت: ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذي قال. قال: «صدق أبو الدرداء إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من النَّاس: الخشوع. يوشك أن تدخل مسجد الجماعة، فلا ترىٰ فيه رجلًا خاشعًا»[1].

١٣٠- ثنا مكحول، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَىٰ أَدْنَاكُمْ**» ثُمَّ تلا هذه الآية؛ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّىٰ النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّىٰ الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ**؛[2].

١٣١- عن ابن عمر، قال: «لا يكون الرجل عالمًا حتىٰ لا يحسد من فوقه، ولا يحقّر من دونه، ولا يبتغي بعلمه ثمنًا».

١٣٢- عن مسعر، قال: قال سمعت عبد الأعلىٰ التيمي يقول: «من أوتي من العلم ما لا يبكيه لَخَلِيقٌ أن لا يكون أوتي علمًا ينفعه، لأنَّ اللَّه تعالىٰ نعت العلماء... ثُمَّ قرأ القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿يَبْكُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٩]».

١٣٣- عن أبي الدرداء، قال: «لا تكون عالمًا حتىٰ تكون متعلمًا، ولا تكون

---

(١) قد مرَّ الحديث قريبًا بتمامه من كلام السمعاني في «القواطع»، وتخريجه ص (٥٩) هامش.

(٢) روىٰ الدارمي هنا الحديث مرسلًا عن مكحول، ورواه الترمذي في «سننه» (٢٦٨٥) موصولًا وقال: حديث حسن صحيح.

بالعلم عالمًا حتىٰ تكون به عاملًا، وكفىٰ بك إثمًا أن لا تزال مخاصمًا، وكفىٰ بك إثمًا أن لا تزال ماريًا، وكفىٰ بك كاذبًا أن لا تزال محدّثًا في غير ذات اللَّه».

١٣٤- عن عمران المنقري، قال: قلت للحسن يومًا في شيء قاله: **يا أبا سعيد ليس هكذا يقول الفقهاء؟ فقال: ويحك ورأيت أنت فقيهًا قطّ، إنَّما الفقيه: الزاهد في الدنيا، الراغب في الأخرة، البصير بأمر دينه، المداوم علىٰ عبادة ربه».**

١٣٥- عن سعد بن إبراهيم، قال: قيل له: «من أفقه أهل المدينة؟ قال: «أتقاهم لربه».

١٣٦- عن مجاهد، قال: «إنَّما الفقيه: من يخاف اللَّه».

١٣٧- عن علي بن أبي طالب، قال: «**إنَّ الفقيه حقَّ الفقيه: من لم يقنط النَّاس من رحمة اللَّه، ولم يرخّص لهم في معاصي اللَّه، ولم يؤمّنهم من عذاب اللَّه، ولم يَدَعْ القرآن رغبة عنه إلىٰ غيره، إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فهم فيه، ولا قراءة لا تدبّر فيها**».

١٣٨- عن كعب، قال: «إني لأجد نعت قوم يتعلّمون بغير العمل، ويتفقهون لغير العبادة، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، ويلبسون جلود الضأن، وقلوبهم أمرٌ من الصبر، فبي يغترّون أو إياي يخادعون، فحلفت بي لأتيحن لهم فتنة تترك الحليم فيها حيرانًا».

١٣٩- عن هرم بن حيان، أنه قال: «إياكم والعالم الفاسق» فبلغ عمر بن الخطاب فكتب إليه وأشفق منها: «ما العالم الفاسق؟» قال: فكتب إليه هرم: يا أمير المؤمنين، واللَّه ما أردت به إلَّا الخير يكون إمام يتكلم بالعلم ويعمل بالفسق فيشبّه علىٰ النَّاس فيضّلون».

١٤٠- عن عبد اللَّه ابن مسعود، قال: «من أراد أن يكرم دينه فلا يدخل علىٰ السلطان، ولا يخلونّ بالنسوان، ولا يخاصمنَّ أصحاب الأهواء».

١٤١- عن يونس قال: كتب ليّ ميمون بن مهران: «إياك والخصومة والجدال في الدين، ولا تجادلنَّ عالمًا ولا جاهلًا، أمَّا العالم فإنه يحزن عنك علمه،

ولا يبالي ما صنعت، وأمَّا الجاهل فإنه يخشن بصدرك، ولا يطيعك».

١٤٢- قال سليمان بن داود عليه السلام لابنه: «دع المراء، فإنَّ نفعه قليل وهو يهيّج العداوة بين الإخوان».

١٤٣- عن إسماعيل بن أبي حكيم، قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: «من جعل دينه غَرَضًا للخصومات أكثر التنقل».

١٤٤- أخبرنا مروان بن محمد، ثنا سعيد بن عبد العزيز، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أهل المدينة: «أنه من تعبَّد بغير علم كان ما يفسد أكثر ممَّا يصلح، ومن عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه إلَّا فيما يعنيه، ومن جعل دينه غَرَضًا للخصومة كثر تنقله».

١٤٥- عن عمر بن عبد العزيز، قال: سأله رجل عن شيء من الأهواء؟ فقال: «عليك بدين الأعرابي، والغلام في الكتاب، والْهَ عمَّا سوىٰ ذلك. قال أبو محمد: كثر تنقله: أي: ينتقل من رأي إلىٰ رأي» [١٩].

● **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]:

[١٩] قلت: قال ابن كثير في: «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٢٩٣- ٢٩٤):

«ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]؛ أي: إنَّما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنىٰ، كلما كانت المعرفة به أتمَّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ قال: الذين يعلمون أنَّ اللَّه علىٰ كل شيء قدير، وقال ابن لهيعة عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس قال: العالم بالرحمن من لم يشرك به شيئًا، وأحل حلاله، وحرَّم حرامه، وحفظ دينه، وأيقن أنَّه مُلاقيه ومحاسب بعمله.

وقال سعيد بن جبير: الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية اللَّه عزوجل.

وقال الحسن البصري: العالم من خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب اللَّه فيه، وزهد فيما سخط اللَّه فيه، ثُمَّ تلا الحسن: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن =

= كثرة الخشية.

وقال أحمد بن صالح البصري عن ابن وهب عن مالك قال: «إنَّ العلم ليس بكثرة الرّواية، وإنَّما العلم نور يجعله اللَّه في القلب» قال أحمد بن صالح: «معناه أنَّ الخشية لا تُدرك بكثرة الرواية، وإمَّا العلم الذي فرض اللَّه ﷻ: أن يتّبع، فإنَّما هو الكتاب والسُّنَّة وما جاء عن الصحابة ومن بعدهم من أئمة المسلمين، فهذا لا يُدْرك إلَّا بالرّواية، ويكون تأويل: «نور»، يريد به فهم العلم ومعرفة معانيه»، وقال سفيان الثوري عن أبي الحيَّان التميمي عن رجل قال:

[العلماء ثلاثة:]

«**العلماء ثلاثة: عالم باللَّه عالم بأمر اللَّه، وعالم باللَّه ليس بعالم بأمر اللَّه، وعالم بأمر اللَّه ليس يعالم باللَّه، فالعالم بأمر اللَّه: الذي يخشىٰ اللَّه ويعلم الحدود، والفرائض، والعالم باللَّه ليس بعالم بأمر اللَّه: الذي يخشىٰ اللَّه ولا يعلم الحدود ولا الفرائض، والعالم بأمر اللَّه ليس بعالم بالله: الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشىٰ اللَّه ﷻ**» اهـ.

* * *

١٦- باب في اجتناب الأهواء

١٤٦- عن الأوزاعي، قال: قال عمر بن عبد العزيز: «**إذا رأيت قومًا ينتجون بأمر دون عامتهم فهم علىٰ تأسيس الضلالة**».

١٤٧- عن الأوزاعي، قال: «قال إبليس لأوليائه: من أي شيء تأتون بني آدم؟ فقالوا: من كل شيء. قال: فهل تأتونهم من قبل الاستغفار؟ فقالوا: هيهات، ذاك شيء قرن بالتوحد، قال: لأبثنّ فيهم شيئًا لا يستغفرون اللَّه منه. قال: فبثَّ فيهم الأهواء».

١٤٨- عن مجاهد، قال: «ما يدري أي النعمتين عليَّ أعظم: أنْ هداني للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء».

١٤٩- عن حبة بن جوين، قال: سمعت عليًا -أو قال: قال علي- «لو أنَّ رجلًا صام الدهر كله وقام الدهر كله، ثُمَّ قتل بين الركن والمقام، لحشره اللَّه يوم القيامة مع مَنْ يرىٰ أنه كان علىٰ هدىٰ».

١٥٠- قال علي: «كونوا في النَّاس كالنحلة في الطير، ليس من الطير شيء إلَّا وهو يستضعفها، ولو يعلم الطير ما في أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها، خالطوا النَّاس بألسنتكم وأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم، فإنَّ للمرء ما اكتسب وهو يوم القيامة مع من أحب».

١٥١- مسلم عن مسروق، قال: «كفىٰ بالمرء علمًا أنْ يخشىٰ اللَّه، وكفىٰ بالمرء جَهْلًا أنْ يعجب بعلمه» قال: وقال مسروق: «المرء حقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها فيذكر ذنوبه فيستغفر اللَّه» [٢٠].

---

[٢٠] قلت: روىٰ ابن بطة العكبري في: «**الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**»، والمسمَّىٰ: «الإبانة الكبرىٰ» باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان، فروىٰ بسنده:

٣٥٨- عن ابن عون قال: كان محمد بن سيرين يرىٰ أنَّ أسرع النَّاس ردة أهل الأهواء، وكان يرىٰ أنَّ هذه الآية أُنزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]. =

= **٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢**- عن أبي هريرة عن النَّبِيّ ﷺ: «**المرء علىٰ دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»، والحديث رواه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) وقال هذا حديث حسن غريب، قال المباركفوري في «التحفة» (٦/ ٢٤٦): «وقال النووي: إسناده صحيح»، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٧٣١٩) وصححه، (٧٣٢٠) وصححه ووافقه الذهبيّ. وصححه ابن حجر العسقلاني، قاله المباركفوري.

٣٦٨، ٣٦٩- عن أبي قلابة: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم، فإنِّي لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبّسوا عليكم بعض ما تعرفون».

٣٧٣- عن أبي قلابة، قال أبو الدرداء: «مِنْ فقه المرء ممشاهُ ومدخله ومخرجه ومجلسه»، ثم قال أبو قلابة:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي»

٣٨١- عن عبد اللَّه بن مسعود قال: «اعتبروا النَّاس بأخدانهم، فإنَّ المرء لا يخادن إلَّا من يُعجبه».

٣٨٧- عن مجاهد قال: «لا تجالسوا أهل الأهواء؛ فإنَّ لهم عُرَّة كعرّة الجرب».

٣٨٨- عن أبي جعفر محمد بن علي قال: «لا تجالسوا أصحاب الخصومات؛ فإنَّهم الذين يخوضون في آيات اللَّه».

٣٩٦- عن إسماعيل بن عُبيد اللَّه يقول: «لا تجالس ذا بدعة فيمرض قلبك، ولا تجالس مفتونًا؛ فإنه مُلقّن حُجّته».

٣٩٩- عن مفضّل بن مهلهل قال: «**لو كان صاحب البدعة إذا جلست إليه يحدّثك ببدعته حذرته وفررت منه، ولكنّه يُحدّثك بأحاديث السُّنَّة في بدوِّ مجلسه، ثُمَّ يُدخل عليك بدعته، فلعلها تلزم قلبك، فمتىٰ تخرج من قلبك؟!**».

٤٢٥- عن الأوزاعي كان يقول: «**من ستر عنا بدعتَهُ لم تخف علينا أُلْقتُهُ**».

٤٢٦- عن يحيىٰ بن سعيد القطان قال: **لما قَدم سفيان الثوري البصرة، جعل ينظر إلىٰ أمر الربيع ابن صبيح وقدْره عند النَّاس، سأل سفيان فقال: أيّ شيء مذهبه؟**

قالوا: ما مذهبه إلَّا السُّنَّة، قال: من بطانته؟ قالوا أهل القدر، قال: هو قدريٌّ». =

= **قال الشيخ ابن بطة العكبريّ**: رحمة اللَّه علىٰ سفيان الثوري، لقد نطق بالحكمة فصدق وقال بعلم، فوافق الكتاب والسُّنَّة، وما توجيه الحكمة، ويدركه العيان، ويعرفه أهل البصيرة والبيان، قال اللَّه ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨].

٤٣١- عن عبد اللَّه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»، ورواه مسلم في «صحيحه» (**٢٦٣٨**).

٤٤٥- قال الفضيل: «من أحب صاحب بدعة أحبط اللَّه عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه».

٤٥٣- عن محمد بن النّضر الحارثي قال: «**إنَّ أصحاب الأهواء أخذوا في تأسيس الضلالة وطمس الهدىٰ فاحذروهم**».

* * *

١٧- باب من رخَّص في الحديث إذا أصاب المعنىٰ

١٥٢- عن واثلة بن الأسقع، قال: «إذا حدَّثناكم بالحديث علىٰ معناه فحسبكم».

١٥٣- عن ابن سيرين: «إنه كان إذا حدَّث لم يقدّم ولم يؤخّر، وكان الحسن إذا حدَّث قدَّم وأخّر».

١٥٤- أخبرنا جرير بن حازم، قال: «كان الحسن يحدّث بالحديث: الأصل واحد، والكلام مختلف».

١٥٥- حدَّث عبيدُ بن عمير عَبْدَ اللَّه بن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مثل المنافق مثل الشاة بين الربضين أو بين الغنمين**» [٢١].

---

[٢١] رواه مسلم في «صحيحه» (٢٧٨٤)، ورواه الخطيب البغدادي في «الكفاية في معرفة أصول علم الرواية» (٥٢٧، ٥٢٨) وزاد فيه: «فقال عبد اللَّه بن عُبيد بن عُمير: هي واحدة إذا لم يجعل الحرام حلالًا والحلال حرامًا، فلا يضرّك إذا قدَّمت شيئًا أو أخّرته فهو واحد».

وروىٰ أيضًا (٥٣٠) في نفس السياق حديث «**من كذب عليَّ متعمّدًا فليتبوا مقعده من جهنم**»، رواه البخاري في «صحيحه» (١٠٨) ومسلم في المقدمة (١، ٢، ٣، ٤).

وكذلك روىٰ الخطيب في «الكفاية» باب ذكر عمن لم يجز زيادة حرف واحد ولا حذفه، وإن كان لا يغيّر المعنىٰ (٥٤٠) فروىٰ بسنده ما رواه البخاري (٤٣٣) ومسلم (٢٩٨٠) عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تدخلوا علىٰ القوم المعذّبين -يعني: حجر ثمود- إلَّا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم فيصيبكم -أو قال- يصيبكم -مثل ما أصابهم**» قلت: فهذا الحديث وأمثاله تترا فيه ذكر اللفظين وجواز ذلك عند عامة الحفّاظ، وذلك لأنها روايتان وكلامها بمعنًىٰ واحد، وروىٰ (٥٤٢) عن الأعمش قال: «كان هذا العلم عند أقوام كان أحدهم لأنْ يخرّ من السماء أحب إليه من أنْ يزيد فيه واوًا أوْ ألفًا أو دالًا، وإن أحدهم اليوم يحلف علىٰ السمكة إنها لسميكة وإنها لمهزولة».

وروىٰ بسنده (٥٥٤) باب في اتِّباع المحدّث علىٰ لفظه، وإن خالف اللغة الفصيحة، عن أبي عبيد قال: «**لأهل الحديث لغةً، ولأهل العربية لغةً، ولغةً أهل العربية أقيس، ولا نجدُ** =

فقال ابن عمر: لا إنَّما قال كذا وكذا. قال: وكان ابن عمر إذا سمع النَّبِيّ ﷺ لم يزد فيه ولم ينقص منه، ولم يجاوزه ولم يقصر عنه».

١٥٦- عن ابن عون، قال: «كان الشعبي والنخعي والحسن يحدّثون بالحديث مرة هكذا، ومرة هكذا».

فذكرت ذلك لمحمد بن سيرين فقال: «أمَّا أنهم لو حدّثوا به كما سمعوه كان خيرًا لهم».

١٥٧- عن أبي معمر، قال: «إني لأسمع الحديث لحنًا فألحن إتباعًا لما سمعت».

= بدًّا من اتباع لغةً أهل الحديث؛ لأجل السماع».

وروىٰ بسنده (٥٦٤) في نفس الباب عن ابن عون يقول: أدركت ستّة: ثلاثة منهم متشددون في الحروف، وثلاثة يرخّصون في المعاني، وكان أصحاب الحروف القاسم بن محمد، ورجاء بن حَيْوة، ومحمد بن سيرين، وكان أصحاب المعاني: الحسن، والشعبيّ والنَّخعي».

(٥٦٥)- عن حفص بن غياث عن الأشعث قال: كنت أحفظ عن الحسن وابن سيرين والشعبيّ، فأمَّا الحسن والشعبيّ فكانا يأتيان بالمعنىٰ، وأمَّا ابن سيرين فكان يحكي صاحبه؛ حتىٰ يُلحن كما يلحن».

٥٧٢- عن عبد الملك بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران قال: سألت أحمد بن حنبل عن اللحن في الحديث قال: لا بأس به».

٥٧٣- عن عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل قال: كان إذا مرَّ بأبي لحن فاحش غيّره، وإذا كان لحنًا سهلًا تركه وقال: كذا قال الشيخ»، مازال القلم في يدي أبي حتىٰ مات ويقول: «إذا لم ينصرف الشيء في معنًىٰ فلا بأس أن يصلح» أو كما قال».

قال الخطيب البغدادي: إذا كان اللحن يحيل المعنىٰ فلابد من تغييره، وكثير من الرواة يحرّفون الكلام عن وجهه ويزيلون الخطاب عن موضعه، وليس يلزم من أخذ عمن هذه سبيله أن يحكي لفظه إذا عرف وجه الصواب، وخاصة إذا كان الحديث معروفًا ولفظ العرب به ظاهرًا معلومًا، ألا ترىٰ أنَّ المحدّث لو قال: لا تؤم المسافِرَ المُقيمُ، فنصب المسافر ورفع =

= المقيم، كان قد أحال المعنىٰ، فلا يلزم لفظه» اهـ.

ثُمَّ قال الخطيب: باب ذكر الحكاية عمن قال: يجب أداء حديث رسول اللَّه ﷺ علىٰ لفظه، ويجوز رواية غيره علىٰ المعنىٰ، فروىٰ بسنده (٥٧٦) - قال مالك بن أنس: «كلَّ حديث للنَّبِيّ ﷺ يؤدِّىٰ علىٰ لفظه، وعلىٰ ما روىٰ، وما كان عن غيره فلا بأس إذا أصاب المعنىٰ».

ثُمَّ قال: باب ذكر الرواية عمن أجاز النقصان من الحديث ولم يجز الزيادة فيه، فروىٰ (٥٨٠)- عن مجاهد قال: «انقص من الحديث ولا تزد فيه».

(٥٨١- عن يحيىٰ بن معين قال: «إذا خفت أن تخطئ في الحديث فانقص منه ولا تزد فيه».

قال: وقد قال كثير ممَّن منع نقل الحديث علىٰ المعنىٰ: أنَّ رواية الحديث علىٰ النقصان والحذف لبعض متنه غير جائزة؛ لأنها تقطع الخبر وتغيّره، فيؤدِّي ذلك إلىٰ إبطال معناه وإحالته، . . . . والذي أختاره في ذلك أنه: إن كان فيما حذف من الخبر معرفة حكم وشرط وأمر لا يتم التعبّد والمراد بالخبر إلَّا بروايته علىٰ وجهه، فإنه يجب نقله علىٰ تمامه ويحرم حذفه؛ لأنَّ القصد بالخبر لا يتم إلَّا به، ولا فرق أن يكون ذلك تركًا لنقل العبادة كنقل بعض أفعال الصلاة، أو تركًا لنقل فرض آخر هو الشرط في صحة العبادة، كترك نقل وجوب الطهارة ونحوها وعلىٰ هذا الوجه لا يحمل قول من قال: لا يحل اختصار الحديث. . . . . فأمَّا إن كان المتروك من الخبر متضمّنًا لعبارة أخرىٰ وأمرًا لا تعلّق له بمتضمن البعض الذي رواه من الخبر ولا شرطًا فيه جار للمحدّث رواية الحديث علىٰ النقصان وحذف بعضه، وقام ذلك مقام خبرين متضمنين عبارتين منفصلتين، وسيرتين، وقضيتين لا تعلَّق لأحدهما بالأخْرىٰ، فكما لا يجوز لسامع الخبرين اللذين هذه حالهما رواية أحدهما دون الآخر، فكذلك يجوز لسماع الخبر القائم فيما تضمنه مقام الخبرين المنفصلين رواية بعضه دون بعض» اهـ.

قلت: وذلك كله علىٰ ضوء إتمام المعنىٰ وعدم الخلل في فهم الحديث، وهذا كلام متين وقوي علىٰ جواز الترخيص في الحديث إذا أصاب المعنىٰ، واللَّه أعلم.

- **وقال أبو المظفّر السمعاني في: «قواطع الأدلة في الأصول» (١/ ٣٥٠)**: =

= «اختلف أهل العلم في ذلك، فذهب بعض السلف إلىٰ أنه لا يجوز مجاوزة اللفظ، ولا يجوز أداء الحديث بالمعنىٰ بحال وهذا مذهب عبد اللَّه بن عمرو، وجماعة من التابعين وجماعة من بعدهم، واحتجّ من ذهب إلىٰ هذا القول بقول النَّبِيّ ﷺ: «**نضَّر اللَّه امرءًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها فأدَّاها كما سمعها، فربَّ حامل فقه غير فقيه، وربَّ حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه**»[(١)]، قالوا: ومعنىٰ الحديث مُتعلّق بلفظه، فإذا تغيّر اللفظ أثر في المعنىٰ، فكان النَّبِيّ ﷺ أفصح العرب وأحسنها بيانًا وقال ﷺ: «**أوتيت جوامع الكلم**»[(٢)]، فمن يمكنه أن يأتي بلفظ يوازي لفظه ويتضمّن ما يتضمّنه من المعنَىٰ؟!

وعن أبي العبَّاس أحمد بن يحيىٰ يغلب أنَّه كان يذهب هذا المذهب ويقول: إنَّ عامة الألفاظ التي لها نظائر في اللغة إذا تحققتها وجدت كل لفظة منها مختصَّة بشيء لا يشاركها صاحبتها، فمن رأىٰ العبارة ببعضها عن البعض لم يسلم من الزّيغ عن المراد والذهاب عنه.

• **أمَّا عامَّة أهل العلم فرأوا أنَّ الرّواية علىٰ المعنىٰ جائزة، إذا كان الراوي عالمًا ما يتعيّن به المعنىٰ**، وبذلك جرت عادة أكثر السلف والجمهور من الخلف، وكذلك اختلفت ألفاظ الحديث وإن كانت القصة واحدة، وشبّهوا ذلك بالشهادات حيث يصح أداؤها بالمعاني، ويعتبر اتفاق الشهود فيه، وإن اختلفت ألفاظهم، وممَّا يدلُّ علىٰ ذلك: رواية الصحابة المناهي عن النَّبِيّ ﷺ، ومعلوم قطعًا أنَّ هذه الأخبار لم يقصد الرواة ألفاظه ﷺ، وإنَّما حكوا معاني خطابه من غير قصد إلىٰ لفظ بعينه، فدلَّ ذلك علىٰ جواز النقل عن طريق المعنىٰ دون المحافظة علىٰ اللفظ، وأمَّا قوله ﷺ: «**فأدَّاها كما سمعها**» هذا لا يمنع من النقل علىٰ المعنىٰ، ألا ترىٰ أنَّ الإنسان لا يمنع أن يقول: أدَّيت رسالة فلان إليك كما سمعت، وإن كان أداء علىٰ المعنىٰ» اهـ.

* * *

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٢٦٥٦) (٢٦٥٧) وقال حديث حسن صحيح، وقد مرَّ مفصّلًا.
(٢) رواه مسلم (٥٢٣) والبخاري (٢٩٧٧).

١٨- باب في فضل العلم والعالم[١]

١٥٨- عن كعب، قال: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلَّا متعلَّم خيرًا ومعلّمه»[٢].

١٥٩- عن خالد ابن معدان، قال: «النَّاس عالم ومتعلم، وما بين ذلك هَمَجٌ لا خير فيه».

١٦٠- عن الحسن، قال: «كانوا يقولون: موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدّها شيء ما اختلف الليل والنهار».

١٦١- عن وهب بن منبه، قال: «مجلس يتنازع فيه العلم أحبّ إليّ من قدره صلاة، لعلَّ أحدهم يسمع الكلمة فينتفع بها سنة أو ما بقي من عمره».

١٦٢- أنا[٣] وكيع، قال: قال سفيان: «ما أعلم عملًا أفضل من طلب العلم وحفظه، لمن أراد اللَّه به خيرًا» قال: قال الحسن بن صالح: «إنَّ النَّاس يحتاجون إلىٰ هذا العلم في دينهم، كما يحتاجون إلىٰ الطعام والشراب في دنياهم».

١٦٣- عن سالم بن أبي الجعد، قال: قال أبو الدرداء: «تعلّموا قبل أن يقبض العلم، فإن قبض العلم قبض العلماء، وإن العالم والمتعلّم في الأجر سواء».

١٦٤- عن الضحاك: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ٧٩] قال: «حق علىٰ كل من قرأ القرآن أن يكون فقيهًا».

١٦٥- عن الحسن: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ قال: «الحكماء العلماء».

١٦٦- عن سعيد بن جبير، قال: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ قال: علماء فقهاء».

١٦٧- أخبرنا عبد اللَّه بن سعيد، قال: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: «يراد

---

(١) روىٰ الحاكم في «المستدرك» (٣١٤- ٣١٧) وصححه ووافقه الذهبيّ، ورواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» المختصر (٤١) قال رسول اللَّه ﷺ قال: «**فضل العلم خير من فضل العبادة -وفي رواية- أحب من فضل العبادة، وخير دينكم الورع**».

(٢) سيأتي هذا الأثر مرفوعًا إلىٰ النَّبِيّ ﷺ بعد بابين في الهامش.

(٣) أنا: يعني: أخبرنا مختصر.

للعلم الحفظ والعمل والاستماع والإنصات والنشر».

١٦٨- قال: وأخبرني أحمد بن محمد أبو عبد اللَّه، عن سفيان بن عيينة، قال: «أجهل النَّاس: من ترك ما يعلم، وأعلم النَّاس: من عمل بما يعلم، وأفضل النَّاس: أخشعهم للَّه».

١٦٩- عن الحسن، قال: «منهومان لا يشبعان: منهوم في العلم لا يشبع منه، ومنهوم في الدنيا لا يشبع منها، فمن تكن الآخرة همه وبثه وسدمه يكفي اللَّه ضيعته، ويجعل غناه في قلبه، ومن يكن الدنيا همه وبثه وسدمه[1] يفشي اللَّه عليه ضيعته ويجعل فقره بين عينيه، ثُمَّ لا يصبح إلَّا فقيرًا، ولا يمسي إلَّا فقيرًا».

١٧٠- عن عون، قال: قال عبد اللَّه: «منهومان لا يشبعان: صاحب العلم وصاحب الدنيا، ولا يستويان أمَّا صاحب العلم فيزداد رضي للرحمن، وأمَّا صاحب الدنيا فيتمادىٰ في الطغيان، ثُمَّ قرأ عبد اللَّه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧]. قال: وقال الآخر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]».

١٧١- عن ابن عباس: «﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] قال: من يخشىٰ اللَّه فهو عالم».

١٧٢- عن كثير بن قيس، قال: كنت جالسًا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فأتاه رجل فقال: يا أبا الدرداء إني أتيتك من المدينة مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني عنك أنك تحدّثه عن رسول اللَّه ﷺ، قال: فما جاء بك تجارة؟ قال: لا. قال: ولا بغاء لك غيره؟ قال: لا، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّىٰ الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ النُّجُومِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا**

(١) سدمه: سدم فلان سدمًا: أصابه همّ وغيظ مع حزن، وسدم الباب: ردّه «المعجم الوجيز» (ص: ٣٠٧).

وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظِّهِ -أَوْ بِحَظٍّ وَافِرٍ-»[1].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب العلم، باب الحث علىٰ طلب العلم (٣٦٤٣) والحاكم في «المستدرك» (٣٠٠) وصححه ووافقه الذهبيّ، وأحمد في المسند (٨٣٩٩)، (٢١٦١٢) واللفظ له، والترمذي في «سننه» (٢٦٤٦) وقال: حديث حسن، ومسلم في «صحيحه» (٢٦٩٩) مختصرًا، قال القرطبيّ في: «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٧٣): «طلب العلم فضيلة عظيمة ومرتبة شريفة لا يوازيها عمل» اهـ وبعدها أورد هذا الحديث.

قال المناوي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٦/ ٢٠٥):

«قوله ﷺ: «**من سلك طريقًا**» حسّية أو معنويّة، ونَكّره ليتناول أنواع الطريق الموصلة إلىٰ تحصيل أنواع العلوم الدينيّة «**يلتمس**» حال، أو صفة، أي يطلب، فاستعار له اللمس، وهي رواية للحديث «**يلتمس فيه**»؛ أي: في غايته أو سببه، وإرادة الحقيقة في غاية البعد للندرة «**علمًا**» نكّره ليشمل كل علم وآلته، ويندرج فيما قل وكثر، وتقييده بقصد وجه اللَّه تعالىٰ به لا حاجه إليه، لاشتراطه في كلّ عبادة، لكن يتعذر هنا؛ بأنْ تطرق في الرّياء للعلم أكثر فاحتيج للتنبيه علىٰ الإخلاص، وظاهر قوله: «**يلتمس**» أنَّه لا يشترط في حصول الجزاء الموعود به حصوله، فيحصل إذا بذل الجهد بنية صادقة، وإنْ لم يحصل شيئًا لنحو بلادة في العقل «**سهل اللَّه له به**»؛ أي: بسببه «**طريقًا**» في الآخرة أو في الدنيا بأن يوفّقه للعمل الصالح «**إلىٰ الجنَّة**»؛ أي: إلىٰ السلوك المفهوم من سلك، ذكره بعضهم، قال الطيبيّ: والمعنىٰ: سهل اللَّه له طريق الجنَّة، وقيل: سهل اللَّه له بسبب العلم طريقًا من طرق الجنَّة؛ وذلك لأنَّ العلم إنَّما يحصل بتعب ونصب، وأفضل الأعمال أخزمها، فمن تحمّل المشقة في طلب العلم سُهّلت له سُبل الجنَّة سيّما إن حصل المطلوب، وقال ابن جماعة: والأظهر أنَّ المراد أنه يجازيه يوم القيامة بأن يسلك به طريقًا لا صعوبة له فيه ولا هول إلىٰ أن يدخله الجنَّة سالمًا، فأبان أنَّ العلم ساعد السَّعادة وأسَّ السّيادة، والمرقاة إلىٰ النجاة في الآخرة، والمقوّم لأخلاق النفوس الباطنة والظاهرة، فهو نعم الدليل، والمرشد إلىٰ سواء السبيل، **وفيه حجّة باهرة علىٰ شرف العلم وأهله في الدنيا والآخرة، لكن الكلام في العلم النافع؛ لأنه الذي يترتّب عليه الجزاء المذكور كما تقرر**» اهـ.

قلت: وعند مسلم في «صحيحه» (٢٧٢٢) قال ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع**».

وقال أبو سليمان الخطابي في: «معالم السنن شرح سنن أبي داود» (٤/ ١٦٩- ١٧٠):

«قوله ﷺ: «**وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها رضًىٰ لطالب العالم**» يتأوَّل علىٰ وجوه: أحدها: أن يكون وضعها الأجنحة بمعنىٰ التواضع والخشوع تعظيمًا لحقّه وتوقيرًا لعلمه، كقوله =

= تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، وقيل معناه: بسط الجناح وفرشها لطالب العلم لتحمّله عليها فتبلغه حيث يؤمه ويقصده من البقاع في طلبه، ومعناه المعونة وتيسير السّعي له في طلب العلم، واللَّه أعلم، وقيل في قوله: «**وتستغفر الحيتان في جوف الماء**» إنَّ اللَّه قيض للحيتان وغيرها من أنواع الحيوان بالعلم علىٰ ألسنة العلماء أنواعًا من المنافع والمصالح والإرفاق، فهم الذين بيّنوا الحكم فيها فيما يحل ويحرم منها، وأرشدوا إلىٰ المصلحة في بابها، وأوصوا بالإحسان إليها، ونفي الضرر عنها، فألهمها الاستغفار للعلماء مجازاة علىٰ حسن صنيعهم بها وشفقتهم عليها» اهـ.

قلت: وروىٰ مسلم هذا الحديث بسياق آخر في «صحيحه» (**٢٦٩٩**) قال رسول اللَّه ﷺ: «**من نفّس عن مؤمن كُرْبة من كُرب الدنيا، نفس اللَّه عنه كربة من كُرب يوم القيامة، ومن يسَّر علىٰ مُعسر يسّر اللَّه عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مُسْلمًا ستره اللَّه في الدنيا والآخرة، واللَّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل اللَّه له به طريقًا إلىٰ الجنَّة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت اللَّه يتلون كتاب اللَّه ويتدارسونه بينهم، إلَّا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرَّحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم اللَّه فيما عنده، ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه**».

قال النووي في: «**شرح مسلم**» (**١٧/ ١٩٠**):

«هذا حديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، ومعنىٰ: «**نفَّس كربة**»؛ أي: أزالها ورفعها، وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة، وفضل السّتر علىٰ المسلمين، وفضل إنظار المعسر.

وفضل المشي في طلب العلم، ويلزم من ذلك الاشتغال بالعلم الشرعيّ بشرط أن يقصد به وجه اللَّه تعالىٰ، وإن كان هذا شرطًا في كلّ عبادة؛ لكن عادة العلماء يقيّدون هذه المسألة به؛ لكونه قد تساهل فيه بعض النَّاس ويغفل عنه بعض المبتدئين ونحوهم.

قوله ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت اللَّه يتلون كتاب اللَّه تعالىٰ ويتدارسونه بينهم إلَّا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرَّحمة**» قيل: المراد بالسكينة هنا الرحمة، وهو الذي اختاره القاضي عياض، وهو ضعيف، لعطف الرحمة عليه [لأنَّ العطف تقتضي التغيير في المعنيين]، وقيل: الطمأنينة والوقار، وهو أحسن.

وفي هذا الحديث دليل لفضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن في المسجد، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور، ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما إن شاء اللَّه تعالىٰ، قوله ﷺ: «**ومن بطَّأ به عمله لم يسْرع به نسبه**») معناه: من كان عمله ناقصًا لم يلحقه بمرتبة الأعمال فينبغي ان لا يتكل علىٰ شرف النسب وفضيلة الآباء ويقصّر في العمل» اهـ.

١٧٣- عن ابن عباس، قال: «ما سلك رجل طريقًا يبتغي فيه العلم إلَّا سهَّل اللَّه له به طريقًا إلىٰ الجنَّة، ومن يبطئ به عملُهُ لم يُسْرِعْ به نسبُهُ».

١٧٤- عن مطرف «﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] قال: «هل من طالب خير فيعان عليه».

١٧٥- أخبرنا مروان عن ضمرة قال: «طالب علم».

١٧٦- عن عامر بن إبراهيم، قال: **كان أبو الدرداء إذا رأىٰ طلبة العلم قال: «مرحبًا بطلبة العلم، وكان يقول: إنَّ رسول اللَّه ﷺ أوصىٰ بكم»**.

١٧٧- عن عون بن عبد اللَّه، عن مطرف بن عبد اللَّه بن الشخير، أنه قال لابنه: «**يا بني إن العلم خير من العمل بلا علم**».

١٧٨- أخبرنا شرحبيل بن شريك، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول: «ليس هدية أفضل من كلمة حكمة تهديها لأخيك».

١٧٩- عن الزهري، قال: «فضل العالم علىٰ المجتهد مائة درجة، ما بين الدرجتين خمس مائة سنة، حُضْر الفرس المضمر السريع».

١٨٠- عن ابن عباس: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] قال: «يرفع اللَّه الذين أوتوا العلم علىٰ الذين آمنوا بدرجات».

١٨١- عن ابن عباس، قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت اللَّه يتذاكرون كتاب اللَّه ويتدارسونه بينهم إلَّا أظلتهم الملائكة بأجنحتها حتىٰ يخوضوا في حديث غيره، ومن سلك طريقًا يبتغي به العلم سهَّل اللَّه طريقه من الجنَّة، ومن أبطأ به عملُهُ لم يُسْرِعْ به نسبُهُ» [٢٢].

---

[٢٢] قلت: روىٰ أبو عمر بن عبد البر في «جامعه» (٤٣)، عن النَّبِيّ ﷺ، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٩) عن عبد اللَّه بن مسعود موقوفًا قال: «إنكم في زمان كثير فقهاؤه، قليل خطباؤه، قليل سُؤاله كثير معطوه، العمل فيه قائد الهوىٰ، وسيأتي من بعدكم زمان قليل فقهاؤه، كثير خطباؤه، كثير سُؤاله، قليل معطوه، الهوىٰ فيه قائد للعمل، اعلموا أنَّ حُسْنَ الهدىٰ في آخر الزمان، خيرٌ من بعض العمل».

١٩- باب من طلب العلم بغير نية فردَّه العلم إلىٰ النية

١٨٢- حدثنا يحيىٰ بن يمان، قال: سمعت سفيان منذ أربعين سنة قال: «ما كان طلب الحديث أفضل منه اليوم. قالوا لسفيان: إنهم يطلبونه بغير نية. قال: طلبهم إياه نية».

١٨٣- عن مجاهد، قال: «طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية، ثُمَّ رزق اللَّه بعد فيه نية».

١٨٤- عن الحسن، قال: «لقد طلب أقوام العلم ما أرادوا به اللَّه ولا ما عنده، قال: فما زال بهم العلم حتىٰ أرادوا به اللَّه وما عنده».

٢٠- باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير اللَّه[1]

١٨٥- عن أيوب، عن أبي قلابة، قال: قال أبو مسلم الخولاني: «**العلماء ثلاثة: فرجل عاش في علمه وعاش معه النَّاس فيه، ورجل عاش في علمه ولم يعش معه فيه أحد، ورجل عاش النَّاس في علمه وكان وبالًا عليه**».

١٨٦- عن سفيان، قال: كان يُقال: «العلماء ثلاثة: عالم باللَّه يخشىٰ اللَّه ليس بعالم بأمر اللَّه، وعالم باللَّه عالم بأمر اللَّه يخشىٰ اللَّه فذاك العالم الكامل، وعالم بأمر اللَّه ليس بعالم باللَّه لا يخشىٰ اللَّه، فذلك العالم الفاجر».

١٨٧- عن الحسن، قال: «العلم علمان: فعلم في القلب فذلك العلم النافع، وعلم علىٰ اللسان فذلك حجة اللَّه علىٰ ابن آدم».

١٨٨- عن عبد اللَّه، قال: «تعلّموا تعلّموا، فإذا علمتم فاعملوا».

١٨٩- عن عبد اللَّه، قال: «من طلب العلم لأربع دخل النَّار -أو نحو هذه الكلمة-: ليباهي به العلماء، أو ليماري بها السفهاء، أو ليصرف به وجوه النَّاس إليه، أو ليأخذ به من الأمراء».

---

(١) روىٰ البخاري في «صحيحه» (١) ومسلم (١٩٠٧) قال ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنيّات وإنَّما لكل امرئ ما نوىٰ، فمن كانت هجرته إلىٰ اللَّه ورسوله فهجرته إلىٰ اللَّه ورسوله، ومن كانت هجرته إلىٰ دنيا يصيبها أو امرأة يتزوّجها، فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه**».

١٩٠- عن هشام -صاحب الدَّسْتَوَائِيِّ- قال: «قرأت في كتاب بلغني أنه من كلام عيسىٰ: تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلَّا بالعمل، ويلكم علماء السوء الأجر تأخذون والعمل تضيّعون، يوشك ربّ العمل أن يطلب عمله، وتوشكون أن تخرجوا من الدنيا العريضة إلىٰ ظلمة القبر وضيقه، اللَّه ينهاكم عن الخطايا كما أمركم بالصلاة والصيام، كيف يكون من أهل العلم من سخط رزقه واحتقر منزلته وقد علم أنَّ ذلك من علم اللَّه وقدرته.

كيف يكون من أهل العلم من اتّهم اللَّه فيما قضىٰ له، فليس يرضىٰ شيئًا أصابه؟! كيف يكون من أهل العلم من دنياه آثر عنده من آخرته، وهو في الدنيا أفضل رغبة، كيف يكون من أهل العلم من مصيره إلىٰ آخرته، وهو مقبل علىٰ دنياه وما يضره أشهىٰ إليه -أو قال أحب إليه- ممَّا ينفعه؟! كيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به ولا يطلبه ليعمل به.»؟!

١٩١- عن حبيب بن عبيد، قال: كان يقال: «تعلموا العلم وانتفعوا به، ولا تعلموه لتتجمّلوا به، فإنه يوشك إن طال بكم عمر، أنْ يتجمّل ذو العلم بعلمه كما يتجمّل ذو البزة ببزته».

١٩٢- عن الأحوص بن حكيم، عن أبيه قال: سأل رجلٌ النَّبيّ ﷺ عن الشر فقال: «**لا تسألوني عن الشر، واسألوني عن الخير**» يقولها ثلاثًا، ثُمَّ قال: «**ألا إنَّ شَرّ الشر شرار العلماء، وإنَّ خير الخير خيار العلماء**»[1].

١٩٣- عن عيسىٰ، قال: سمعت الشعبي، يقول: «إنَّما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان: العقل والنُسك، فإن كان ناسكًا ولم يكن عاقلًا، قال: هذا أمر لا يناله إلَّا العقلاء فلم يطلبه، وإن كان عاقلًا، ولم يكن ناسكًا قال: هذا

(١) هذا الحديث فيه الأحوص بن حكيم، وقد اختلفوا فيه بين الضعف والتوثيق، وممَّن وثقه: علي بن المديني مرة، وقال: صالح مرة أخرىٰ، وقال العجلي: لا بأس به، وقال الدارقطني: يعتبر به إذا حدث عن ثقة، واعتبر ابن عدي حديثه «تهذيب التهذيب» (٣٥٨) لابن حجر، فالحديث حسن.

أمر لا يناله إلَّا النُّسّاك، فلم يطلبه. فقال: الشعبي: ولقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم مَنْ ليست فيه واحدة منهما: لا عقل ولا نسك» [٢٣].

شرّ الشرّ وخير الخير

[٢٣] قال ابن الأثير في: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٤١٠- ٤١١):

«شرر: في حديث الدعاء قال ﷺ: «**الخير كله بين يديك، والشر ليس إليك**»(١)؛ أي: أنَّ الشرّ لا يُتقرّب به إليك، ولا يُبْتغىٰ به وجهك، وأنَّ الشر لا يصعد إليك، إنَّما يصعد إليك الطيب من القول والعمل، وهذا الكلام إرشاد إلىٰ استعمال الأدب في الثناء علىٰ اللَّه، وأن تُضاف إليه محاسن الأشياء دون مساويها، وليس المقصود نفي شيْء عن قدرته وإثباته لها، فإنَّ هذا في الدعاء مندوب إليه، يُقال: يا رب السماء والأرض ولا يُقال: يا رب الكلاب والخنازير، وإن كان هو ربُّها، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وفيه: قال ﷺ: «**لا يأتي علىٰ النَّاس زمان إلَّا والذي بعده بشرّ منه**»(٢)، سُئل الحسن البصري عن الحديث فقيل: ما بال زمان عمر بن عبد العزيز بعد زمان الحجّاج؟ فقال: «لابد للنَّاس من تنفيس»، يعني: أنَّ اللَّه يُنفّس عن عباده وقتًا ما، ويكشف البلاء عنهم حينًا» اهـ.

وقال ابن منظور في «لسان العرب» (٨/ ٥٣) مثل ذلك ثُمَّ قال:

«ومنه قول امرأة العرب: أعيذك باللَّه من نفس حَرَّىٰ، وعين شُرَّىٰ؛ أي: خبيثة من الشرّ، وقوم أشرار وأشرَّاء، وواحد الأشرار رجلٌ شرٌ، وقيل: شرّير، وهو الرجل ذو الشرّ، ورجل شرِّير مثال فسِّيق؛ أي: كثير الشرّ، وشرّ يَشُرُّ إذا زاد شرّه، والشرّ: السوء والفعل، والشر ضد الخير، وقوم أشرار: ضد الأخيار» اهـ. قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦- ٦٨] فالخير كل الخير طاعة اللَّه والرسول والوقوف عند حدود اللَّه بالبدء بالنفس ثُمَّ بالغير دعوة إلىٰ اللَّه علىٰ بصيرة قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى =

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (٧٧١) وابن حبان (١٧٧٣) وطرفه: «**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض....**».

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٧٠٦٨).

١٩٤- عن ابن عباس، قال: «إنَّما يُحْفَظُ حديث الرجل علىٰ قدر نيته».

١٩٥- عن القاسم، قال: قال لي عبد اللَّه: «إني لأحسب الرجل ينسىٰ العلم كان يعلمه للخطيئة كان يعملها».

١٩٦- عن شهر بن حوشب، قال: بلغني أن لقمان الحكيم كان يقول لابنه: «يا بني، لا تعلم العلم لتباهي به العلماء، أو لتماري به السفهاء، أو ترائي [به] في المجالس، ولا تترك العلم زهدًا فيه، ورغبة في الجهالة.

يا بني اختر المجالس علىٰ عينك، وإذا رأيت قومًا يذكرون اللَّه فاجلس معهم، فإنك إن تكن عالمًا ينفعك علمك وإن تكن جاهلًا، يعلموك، ولعل اللَّه أن يطلع عليهم برحمته فيصيبك بها معهم، وإذا رأيت قومًا، لا يذكرون اللَّه فلا تجلس معهم، فإنك إن تكن عالمًا لا ينفعك علمك، وإن تكن جاهلًا زادوك غيًّا -أو عيًّا-، ولعل اللَّه أن يطلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم».

١٩٧- عن كثير بن مرة، قال: «لا تحدّث الباطل للحكماء فيمقتوك، ولا تحدث الحكمة للسفهاء، فيكذبوك، ولا تمنع العلم أهله، فتأثم، ولا تضعه

= ﴿ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، وعلىٰ بصيرة: أي: علىٰ علم وفهم وفقه ووعي وإدراك خالصة للَّه وفي اللَّه وباللَّه وعلىٰ أمر اللَّه، فهؤلاء خير الأخيار.

قال الراغب الأصفهاني في: «المفردات في غريب القرآن» (ص: ١٦٠):

«الخير ما يرغب فيه الكلّ كالعقل مثلًا والعدل والفضل والشيء النافع، وضدّه الشر، والخير ضربان: خير مطلق وهو أن يكون مرغوبًا فيه بكلّ حال وعند كل أحد، كما وصف عليّ عليه السلام به الجنَّة فقال: «لا خير بخير بعده النَّار، ولا شر بشر بعده الجنَّة». اهـ.

قلت: وروىٰ الدارمي في المقدمة (١٨٨) عن عبد اللَّه بن مسعود قال: «لا يأتي عليكم عام إلَّا وهو شرّ من الذي كان قبله، إمَّا إنِّي لست أعني عامًا أخصب من عام، ولا أميرًا خيرًا من أمير، ولكن علماؤكم، وخياركم، وفقهاؤكم يذهبون، ثُمَّ لا يجدون منهم خلفًا، ويجيء قوم يقيسون الأمور برأ بهم» قلت: فيحلّون الحرام ويحلون الحلال وينقضون عرىٰ الإسلام فهؤلاء شرَّ النَّاس.

في غير أهله فتجهل، إن عليك في علمك حقًّا كما أنَّ عليك في مالك حقًّا».

١٩٨- عن علي، قال: «يا حملة العلم اعملوا به، فإنَّما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف عملهم علمهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حلقًا فيباهي بعضهم بعضًا، حتىٰ إنَّ الرجل ليغضب علىٰ جليسه أن يجلس إلىٰ غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلىٰ اللَّه».

١٩٩- عن مسروق، قال: «كفىٰ بالمرء عِلْمًا أن يخشىٰ اللَّه، وكفىٰ بالمرء جَهْلًا أن يعجب بعمله».

٢٠٠- عن معاوية بن قرة، قال: «لو أنَّ أدنىٰ هذه الأمة علمًا أخذت أمة من الأمم بعلمه لرشدت تلك الأمة»[1].

٢٠١- عن الحسن، قال: «إذا كان الرجل ليصيب الباب من العلم فيعمل به فيكون خيرًا له من الدنيا وما فيها لو كانت له فجعلها في الآخرة. قال: قال الحسن: كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرىٰ ذلك في بصره وتخشّعه ولسانه ويده وصلاته وزهده. قال: وقال محمد: انظروا عمن تأخذون هذا الحديث، فإنَّما هو دينكم».

٢٠٢- أخبرنا بشر بن الحكم، قال: سمعت سفيان يقول: «ما ازداد عبد علمًا فازداد في الدنيا رغبة، إلَّا ازداد من اللَّه بُعْدًا».

٢٠٣- عن حسان، قال: «ما ازداد عبد باللَّه علمًا، إلَّا ازداد النَّاس منه قُرْبًا من رحمة اللَّه، وقال في حديث آخر: ما ازداد عبد علمًا إلَّا ازداد قَصْدًا، ولا قَلَّد اللَّه عبدًا قلادة خيرًا من سكينة».

٢٠٤- عن السكن بن عمير، قال: سمعت وهب بن منبه، يقول: «يا بني عليك بالحكمة، فإنَّ الخير في الحكمة كله، وتشرف الصغير علىٰ الكبير، والعبد

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

علىٰ الحر، وتزيد السيد سؤددًا، وتجلس الفقير مجالس الملوك».

٢٠٥- عن السكن بن عمير، سمعت عتبة بن أبي حكيم، عن أبي الدرداء، قال: «وما نحن لولا كلمات العلماء» [٢٤].

«الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاَّ ذكر اللَّه وما والاه وعالمًا أو متعلمًا»

[٢٤] **قلت**: روىٰ الترمذي في «سننه» (٢٣٢٢) وقال: حديث حسن، وابن ماجه (٤١١٢)، وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» (٤٢٨٠، ٤٢٨١) وصححه، من حديث أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلَّا ذِكرَ اللَّه وما والاه، وعالمًا أو متعلّمًا**»، وفي رواية: «**إلَّا ذكرُ اللَّه وما والاه، وعالم أو متعلّمٌ**».

قال المُناويّ في: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٣/ ٧٠٦):

«يمكن أن يكون المراد بلعنها: ملاذ شهواتها، وجمع خطامها، وما زيّن من حبّ النساء والبنين، وقناطير الذهب والفضة، وحبّ البقاء بها، فيكون قوله: «**ملعونة**»؛ أي: متروكة مبْعدة متروك ما فيها، واللعن: الترك، وقد يراد أنها متروكة للأنبياء والأصفياء، ولأنَّ الدنيا غرَّت النفوس بزهرتها ولذاتها وإمالتها عن العبودية إلىٰ الهوىٰ حتىٰ سلكت غير طريق الهدىٰ «**ملعون ما فيها إلَّا ذكر اللَّه وما والاه**»؛ أي: ما يحبّه اللَّه في الدنيا، والموالاة المحبّة بين اثنين، وقد تكون الموالاة من واحد وهو المراد هنا، يعني ملعون ما في الدنيا إلَّا ذكر اللَّه وما أحبّه اللَّه ممَّا يجري في الدنيا، وما سواه ملعون، قال الأشرقي: المراد بما يوالي ذكر اللَّه طاعته واتباع أمره وتجنّب نهية، لأنَّ ذكر اللَّه يقتضي ذلك، «**وعالمًا أو متعلمًا**»؛ أي: هي وما فيها مبعد عن اللَّه تعالىٰ، إلَّا العلم النافع الدَّال علىٰ اللَّه، فهذا هو المقصود منها قوله: «**عالمًا أو متعلّمًا**» بالنَّصب عطفًا علىٰ ذكر؛ لأنَّه مستثنىٰ من موجب، ورُوي بالرّفع أيضًا، قال الطيبيّ: والنصب ظاهر، والرفع علىٰ التأويل؛ كأنَّه قيل: الدنيا مذمومة لا يُحْمد ممَّا فيه إلَّا ذكر اللَّه وعالم ومتعلّم، وكان حق الظاهر أن يكتفي بقوله: «**وما والاه**»؛ لاحتوائه علىٰ جميع الخيرات والفاضلات ومستحسنات الشرع، لكنَّه خصص بعد التعميم دلالة علىٰ فضل العالم والمتعلّم، وتفخيمًا لشأنهما صريحًا، وإيذانًا بأنَّ جميع النَّاس سواهما همج، وتنبيهًا علىٰ أنَّ المعنيّ بالعالم والمتعلم، العلماء باللَّه، الجامعون بين العلم والعمل، فيخرج الجهلاء، وعالم لم يعمل بعلمه، ومن يعمل عمل =

= الفصول، ولا من يتعلّق بالدّين.

وفيه أن ذكر اللَّه أفضل الأعمال ورأس كل عبادة، والحديث من كنوز الحِكَم وجوامع الكَلِم، لدلالته بالمنطوق علىٰ جميع الخلال الحميدة، وبالمفهوم علىٰ رذائلها القبيحة» اهـ.

قلت: وممَّا يؤكد ذلك ويحققه قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

قال الحافظ ابن كثير في: «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ١٧٥):

«يقول تعالىٰ مُمتنًّا علىٰ خلقه بما أنزل إليهم من القرآن العظيم علىٰ الرسول الكريم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: زاجر عن الفواحش ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: شفاء من الشّبه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾؛ أي: مُحصّل لها الهداية والرّحمة من اللَّه تعالىٰ، وإنَّما ذلك للمؤمنين به والمصدّقين الموقنين بما فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾؛ أي: بهذا الذي جاءهم من اللَّه من الهدىٰ ودين الحق فليفرحوا، فإنّه أوْلىٰ ما يفرحون ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾؛ أي: من حطام الدنيا، وما فيها من الزّهرة الفانية الذاهبة لا محالة؛ كما روىٰ ابن أبي حاتم [(٦/ ١٩٦٠)] في تفسير هذه الآية: «وذكر عن بقيّة بن الوليد عن صفوان بن عمرو: سمعت أيفع بن عبد الكلاعي يقول: لما قدم خراج العراق إلىٰ عمر رضي الله عنه، خرج عُمر ومولىٰ له، فجعل عمر يعدّ الأبل، فإذا هي أكثر من ذلك، فجعل عمر يقول: «الحمد للَّه تعالىٰ»، ويقول مولاه: هذا واللَّه من فضل اللَّه ورحمته، فقال عمر: «كذبت، ليس هذا، هو الذي يقول اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وهذا ممَّا يجمعون» اهـ.

قلت: فما قاله الفارق العالم الفقيه إلَّا من الفهم والوعي والإدراك والبصيرة والفقه والعلم، ولا يكون ذلك إلَّا للعالم والمتعلم، قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]. =

= • **لو عملنا ببعض ما علمنا لأورثنا اللَّه علمًا لا تقوم به أبداننا:**

ومن هنا يتدبّر العالم قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

قال أبو عبد اللَّه القرطبيّ في: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٥٠- ٢٥١):

«يعني العلماء الذين يخافون قدرته، فمن علم أنَّه ﷻ قدير أيقن بمعاقبته علىٰ المعصية، كما روىٰ عليّ بن طلحة عن ابن عبَّاس: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ قال: الذين علموا أنَّ اللَّه علىٰ كل شيء قدير، وقال الربيع بن أنس: من لم يخش اللَّه تعالىٰ فليس بعالم، وقال مجاهد: إنَّما العالم من خشي اللَّه ﷻ -وعن ابن مسعود- كفىٰ بخشية اللَّه تعالىٰ علمًا وبالاغترار جهلًا، وقيل لسعد بن إبراهيم: من أفقه أهل المدينة؟ قال: أتقاهم لربّه ﷻ، وعن مجاهد قال: إنَّما الفقيه من يخاف اللَّه ﷻ، وعن علي بن أبي طالب قال: إنَّ الفقيه من لم يقنط النَّاس من رحمة اللَّه، ولم يرخّص لهم في معاصي اللَّه تعالىٰ، ولم يؤمنهم من عذاب اللَّه، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلىٰ غيره؛ إنَّه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فقه فيه، ولا قراءة لا تدبَّر فيها» اهـ.

قلت: وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال القرطبيّ في: «جامعه» (١٣/ ٢٧٤):

«قال ابن عباس وإبراهيم والنّخعي: هي في الذين يعملون بما يعلمون؛ ونزع بعض العلماء إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] قال عمر بن عبد العزيز: إنَّما قصّر بنا عن علم ما جهلنا، تقصيرنا في العمل بما علمنا، ولو عملنا ببعض ما علمنا، لأورثنا علمًا لا تقوم به أبداننا، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾» اهـ.

قلت: فكان فلاح الدنيا والدين وصلاح العباد والبلاد علىٰ العالم والمتعلم.

وروىٰ ابن بطة العكبري في: «الإبانة الكبرىٰ» (١٩١) -عن عبد اللَّه بن مسعود قال:

«أيها النَّاس، إنَّ اللَّه قد أنزل أمره وبيّناته، فمن أتىٰ الأمر من قِبَل وجهه فقد بُيّن له، ومن خالف فواللَّه لا نُطيق خلافكم».

* * *

٢١- باب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة

٢٠٦- عن أيوب، قال: قال أبو قلابة: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يُلْبسُوا عليكم ما كنتم تعرفون».

٢٠٧- عن أيوب، قال: «رآني سعيد بن جبير جلست إلىٰ طلق بن حبيب، فقال لي: ألم أرك جلست إلىٰ طلق بن حبيب، لا تجالسنه».

٢٠٨- عن نافع، عن ابن عمر: أنه جاءه رجل فقال: «إنَّ فلانًا يقرأ عليك السلام، قال: بلغني أنه قد أحدث، فإن كان أحدث فلا تقرأ عليه السلام».

٢٠٩- حدثنا الأعمش، قال: «كان إبراهيم لا يرىٰ غيبة للمبتدع».

٢١٠- عن الشعبي، قال: «إنَّما سمِّي الهوىٰ، لأنه يهوىٰ بصاحبه».

٢١١- حدثنا محمد بن واسع، قال: كان مسلم بن يسار يقول: «إياكم والمراء، فإنها ساعة جهل العالم وبها يبتغي الشيطان زلّته».

٢١٢- عن أسماء بن عبيد، قال: «دخل رجلان من أصحاب الأهواء علىٰ ابن سيرين فقالا: يا أبا بكر نحدّثك بحديث؟ قال: لا. قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب اللَّه؟ قال: لا، لَتَقُومَان عني أو لأقومنّ. قال: فخرجا، فقال بعض القوم: يا أبا بكر، وما كان عليك أن يقرأ عليك آية من كتاب اللَّه تعالىٰ؟ قال: إني خشيت أن يقرأ علي آية، فيحرّفانها فيقرّ ذلك في قلبي».

٢١٣- عن سلام بن أبي مطيع، أنَّ رجلًا من أهل الأهواء قال لأيوب: «يا أبا بكر أسألك عن كلمة؟ قال: فولّىٰ وهو يشير بأصبعه، ولا نصف كلمة، وأشار لنا سعيد بخنصره اليمني».

٢١٤- عن هشام، عن الحسن وابن سيرين، أنهما قالا: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلهم، ولا تسمعوا منهم».

٢١٥- عن الشعبي، قال: «إنَّما سمَّوا أصحاب الأهواء، لأنهم يهوون في النار» [٢٥].

---

[٢٥] قلت: جعل الإمام ابن بطة العكبري في كتابه الموسوعة العقدية السنيَّة السلفية =

= في كتابه: «الإبانة الكبرىٰ» جزءًا كبيرًا في هذا الباب المذكور آنفًا تحت: ذم المراء والخصومات في الدين، والتحذير من أهل الجدال والكلام (١/ ٣٣٨) وما بعدها»:
«٥٢٥- عن عائشة قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ أبغض الرجال إلىٰ اللَّه الألدُّ الخَصم**» رواه البخاري في «صحيحه» (٢٤٥٧) ومسلم (٢٦٦٨).

ومعنىٰ: الألدّ: هو الشديد اللدد؛ أي: الجدال، والمعنىٰ: إنه من أي جانب أُخذ في الخصومة قوي، ولأنه كلما احْتُجَّ عليه بحجَّة أخذ في جانب آخر، وأمَّا الخصم فهو الحاذق بالخصومة، والمذموم هو الخصومة بالباطل في دفع الحق، أو إثبات باطل «شرح مسلم» (للنووي (١٦/ ١٦٦)، «فتح الباري» (٥/ ١١٦) لابن حجر.

٥٣٥- عن أبي أُمامة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدًىٰ كانوا عليه إلَّا أوتوا الجدل**»، ثُمَّ قرأ: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]» رواه أحمد في «المسند» (٢٢٢٥٨)، والترمذي في «سننه» (٣٢٥٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٧٤) وصححه ووافقه الذهبي.

٥٤٣- عن عمرو بن شعيب عن أبي جدّه: أنَّ رسول اللَّه ﷺ خرج علىٰ أصحابه وهم يتنازعون في القدر، هذا ينزع آية، وهذا ينزع بآية، فكأنَّما فقيءَ في وجهه حبّ الرُّمَّان، فقال: «**أبهذا أمرتم؟ أبهذا وُكّلتم؟ تضربون كتاب اللَّه بعضه ببعض؟ انظروا إلىٰ ما أمرتم به فاتّبعوه، وإلىٰ ما نهيتم عنه فاجتنبوه**».

قلت: هذا الحديث خلاصة المسألة: الاتباع والاقتداء، وعدم الخصومة والجدال، وهو دليل علىٰ دفع القدر والقضاء بفعل الأمر واجتناب النَّهي، وهذا من أقوىٰ الأدلة في الباب.

٥٤٥- عن أبي العالية قال: «آيتان في كتاب اللَّه ما أشدَّهما علىٰ الذين يجادلون في القرآن: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤]، ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [البقرة: ١٧٦]، والجدال: المفاوضة علىٰ سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله مِن جَدَلْت الجبل: أي أحكمت فتله، وجدلت البناء أحكمته، فكان المُتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل الأصل في الجدال: الصراع، وإسقاط الإنسان صاحبه علىٰ الجَدالة =

= وهي الأرض الصلبة، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ [غافر: ٣٥]، وقال: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]، وقال: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] «المفردات في غير القرآن» للأصفهاني (ص: ٨٩، ٩٠).

أمَّا قوله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] فهذا في الجدل بالحق والدليل والبيّنة والبرهان، والجدال الكائن في المسائل الشرعية فهذا جدل محمود مأمور به لإظهار الحق.

٥٥٥- عن محمد بن واسع قال: قال مسلم بن يسار: «إياكم والجدل، فإنها ساعة جهل العالم، وبها ينبغي الشيطان زلّته» قال محمد بن واسع: هذا الجدل.

٥٥٩- عن عبد اللَّه بن مسعود قال: «أكثر النَّاس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل».

٥٦٢- عن عمرو بن قيس قال: قلت للحكم: «ما اضطر النَّاس إلىٰ الأهواء؟ قال: الخصومات».

* * *

٢٢- باب التسوية في العلم

٢١٦- عن أبي ميسرة، قال: «ما رأيت أحدًا من النَّاس الشريف والوضيع عنده سواء غير طاوس، وهو يحلف عليه».

٢١٧- عن الزهري، قال: كنا نكره كتابة العلم حتىٰ أكرهنا عليه السلطان، فكرهنا أن نمنعه أحدًا».

٢١٨- حدثنا ابن عون، قال: كلّموا محمدًا في رجل -يعني يحدثه-، فقال: «لو كان رجلًا من الزنج لكان عندي وعبد اللَّه بن محمد في هذا سواء».

٢١٩- عن الصلت بن راشد، أنه سأل سلم بن قتيبة طاوسًا عن مسألة فلم يجبه، فقيل له: «هذا سلم بن قتيبة؟! قال: ذلك أهون له علي» [٢٦].

● **تعليق على الباب:**

[٢٦] روىٰ مسلم في «**صحيحه**» (٩١)، عن عبد اللَّه بن مسعود عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنّ اللَّه جميل يحب الجمال، الكِبر بَطَرُ الحقّ وغَمْطُ الناس**».

قال النووي في: «شرح مسلم» (٢/ ٢٦٩):

«قوله: «**غمط الناس**» معناه: احتقارهم، وأما «**بطر الحق**»: فهو دفعه وإنكاره ترفّعًا وتجبّرًا، وذلك في سياق الكبر المعروف وهو الارتفاع علىٰ الناس واحتقارهم ودفع الحق». اهـ.

قلت: والعالم الربّاني: ليّن هيّن سهل يذل نفسه للعلم والتعليم.

وقال القرطبيّ في: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١/ ١٩٠):

«قوله: «**إنّ اللَّه جميل يحب الجمال**» الجمال لغةً: الحُسْنُ، والجميل المُنزَّه عن النقائص، والنزاهة عن الرذائل والطغيان، وبطر الحق: إبطاله، والحيْرة؛ أي: يتحيّر عند الحق، فلا يراه حقًّا، وغمط الناس: احتقارهم واستصغارهم؛ لما يرى من رفعته عليهم». اهـ.

قلت: وعليه فحق واجب علىٰ العالم التواضع والذلّ للناس وفريضة تعليمهم مما علمه اللَّه.

٢٣- باب في توقير العلماء

٢٢٠- حدثني حبيب بن صالح، قال: «ما خفت أحدًا من النَّاس مخافتي خالد بن معدان».

٢٢١- عن مغيرة، قال: «كنا نهاب إبراهيم هيبة الأمير».

٢٢٢- عن أيوب، قال: «حدَّث سعيد بن جبير يومًا بحديث، فقمتُ إليه، فاستعدته، فقال لي: «ما كل ساعة أحلب فأشرب».

٢٢٣- عن عطاء «أن أبا عبد الرحمن كره الحديث في الطريق».

٢٢٤- عن حبيب بن أبي ثابت، قال: كنا عند سعيد بن جبير فحدّث بحديث فقال له رجل: «من حدّثك هذا -أو ممن سمعت هذا-؟ فغضب ومنعنا حديثه حتىٰ قام».

٢٢٥- عن أبي سلمة، قال: «لو رفقت بابن عباس لأصبتُ منه عِلْمًا كثيرًا».

٢٢٦- عن أم عبد اللَّه بنت خالد، قالت: «ما رأيت أحدًا أكرم للعلم من أبي» [٢٧].

● **شرح للباب:**

[٢٧] قال أبو عمر بن عبد البرّ في: «جامع بيان العلم وفضله» الباب التاسع والعشرون، هيبة المتعلم للعالم: (ص: ١٢٩- ١٣٢):

٤٣٢- كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «مكثت سنة -وأنا أشك في سنتين- وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المتظاهرتين علىٰ رسول اللَّه ﷺ، وما أجد ولو موضعًا أسأله فيه حتىٰ خرج حاجًّا وصحبته، حتىٰ إذا كان بمرّ الظهران وذهب لحاجته قال: «أدركني بإداوة من ماء»، فلمَّا قضىٰ حاجته ورجع، أتيته بالإداوة أصُبّها عليه، فرأيت موضعًا فقلت: يا أمير المؤمنين! من المرأتان المتظاهرتان علىٰ رسول اللَّه ﷺ؟ فما قضيت كلامي حتىٰ قال: «عائشة وحفصة»[(١)]، قال أبو عمر: لم يمنع ابن عباس من سؤال عمر عن ذلك إلَّا هيبته، وذلك موجود في حديث ابن شهاب لهذا الحديث.

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٤٩١٣- ٤٩١٥) ومسلم (١٤٧٩).

=

وفي رواية (٤٣٣) مثلها زاد عمر ﷺ: «كان لي أخ من الأنصار، وكُنَّا نتعاقب النزول إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، أنزل يومًا وينزل يومًا فما أتىٰ من حديث أو خبر أتاني به، وأنا مثل ذلك، ونزل ذات يوم وتخلّفت فجاءني وذكر الحديث بطوله»(١).

٤٣٤- عن سعيد بن المسيّب قال: «قلت لسعد بن مالك: إنِّي أريد أن أسألك عن شيء وإني أهابك، قال: «لا تهبْني يا ابن أخي، إذا علمت أنَّ عندي علمًا فسألني عنه» قال: قلت: قول رسول اللَّه ﷺ لعليّ في غزوة تبوك حين خلفه، فقال سعد: «قال رسول اللَّه ﷺ: «**يا عليّ! أمَّا ترضىٰ أن تكون بمنزلة هارون من موسىٰ؟**»(٢).

٤٣٥- قال أبو عمر: الذي آخَىٰ رسول اللَّه ﷺ بينه وبين عمر بن الخطاب من الأنصار هو عتْبان بن مالك الأنصاري».

٤٣٦- عن ابن طاوس عن أبيه قال: «إنَّ من السُّنَّة أن توقّر العالم» اهـ.

* * *

= **قلت**: قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] هذه الآية التي سأل عليها ابنُ عباس عمر ﷺ، وكان الشأن غيْرة كانت من عائشة وحفصة علىٰ رسول اللَّه ﷺ كما فسّر أهل التفسير عن الآية.

(١) انظر التخريج السابق.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٤٠٤)، والبخاري (٤٤١٦)، وعبد الرزّاق في مصنفه (٢٠٣٩٠).

٢٤- باب في الحديث عن الثقات

٢٢٧- عن سليمان بن موسىٰ، قال: قلت لطاوس: «إنَّ فلانًا حدّثني بكذا وكذا، قال: إن كان صاحبك مليًّا فخذ عنه».

٢٢٨- عن مسعر، قال: قال سعد بن إبراهيم: «لا يحدّث عن رسول اللَّه إلَّا الثقات».

٢٢٩- عن ابن سيرين، قال: «كانوا لا يسألون عن الإسناد، ثُمَّ سألوا بعد ليعرفوا: مَنْ كان صاحب سنة أخذوا عنه، ومن لم يكن صاحب سنة لم يأخذوا عنه. قال أبو محمد: ما أظنه سمعه من عاصم».

٢٣٠- قال محمد بن سيرين: «ما حدثتني فلا تحدثني عن رجلين فإنهما لا يباليان عمَّن أخذا حديثهما» قال أبو محمد عبد اللَّه: لا أظنه سمعه».

٢٣١- قال إبراهيم: «إذا حدثتني فحدثني عن أبي زرعة، فإنه حدثني بحديث ثُمَّ سألته بعد ذلك بسنة فما خرم منها حرفًا».

٢٣٢- عن محمد، قال: «إنَّ هذا العلم دين فلينظر الرجل عمن يأخذ دينه».

٢٣٣- عن إبراهيم، قال: «كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلىٰ صلاته وإلىٰ سنته وإلىٰ هيأته [ثُمَّ] يأخذون عنه».

٢٣٤- أخبرنا أبو عاصم -قال: لا أدري سمعته منه- أو لابن عون، عن محمد: «إنَّ هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم».

٢٣٥- عن سليمان بن موسىٰ، قال: قلت لطاوس: «إنَّ فلانًا حدّثني بكذا وكذا. قال: فإن كان صاحبك مليًّا فخذ عنه».

٢٣٦- عن طاوس، قال: «جاء بشير بن كعب إلىٰ ابن عباس، فجعل يحدّثه، فقال ابن عباس: «أعد عليّ الحديث الأول. قال له بشير: ما أدري عرفت حديثي كله وأنكرت هذا -أو عرفت هذا وأنكرت حديثي كله- فقال ابن عباس: إنا كنَّا نحدّث عن رسول اللَّه ﷺ إذا لم يكن يكذب عليه، فلمَّا ركب النَّاس الصعب

والذلول تركنا الحديث عنه».

٢٣٧- عن عبد اللَّه بن عمرو، قال: «**يوشك أن يظهر شياطين قد أوثقها سليمان يفقهون النَّاس في الدين**».

* * *

٢٥- باب ما يتّقي من تفسير حديث النَّبيّ ﷺ وقول غيره عند قوله ﷺ

٢٣٨- عن الأوزاعي، عن عمر بن عبد العزيز قال: «لا رأي لأحدٍ مع سُنة رسول اللَّه ﷺ».

٢٣٩- حدثنا معتمر، عن أبيه، قال: «ليتقىٰ من تفسير حديث رسول اللَّه ﷺ كما يتقىٰ من تفسير القرآن».

٢٤٠- قال ابن عباس: «أمَا تخافون أن تعذبوا أو يخسف بكم أن تقولوا: قال رسول اللَّه وقال فلان؟».

٢٤١- عن الأوزاعي، قال: «كتب عمر بن عبد العزيز: أنه لا رأي لأحد في كتاب، وإنَّما رأي الأئمة فيما لم ينزل فيه كتاب، ولم تمض به سنة من رسول اللَّه ﷺ، ولا رأي لأحد في سنة سنّها رسولُ اللَّه ﷺ».

٢٤٢- عن عبيد اللَّه بن عمر، أنَّ عمر بن عبد العزيز خطب فقال: «يا أيها النَّاس، إنَّ اللَّه لم يبعث بعد نبيكم نبيًّا، ولم ينزّل بعد هذا الكتاب الذي أنزله عليه كتابًا، فما أَحَلَّ اللَّه علىٰ لسان نبيه فهو حلال إلىٰ يوم القيامة، وما حرم علىٰ لسان نبيه فهو حرام إلىٰ يوم القيامة، ألا وإنِّي لست بقاض ولكني منفّذ، ولست بمبتدع ولكني متّبع، ولست بخير منكم غير أني أثقلكم حملًا، ألا وأنه ليس لأحدٍ من خلق اللَّه أن يطاع في معصية اللَّه، ألا هل أسمعت».

٢٤٣- عن هشام بن جحير، قال: «كان طاوس يصلِّي ركعتين بعد العصر، فقال له ابن عباس: أتركها.

قال: إنَّما نهي عنها أن تتخذ سلمًا. قال ابن عباس: فإنه قد نُهي عن صلاة بعد العصر، فلا أدري أتعذّب عليها أم تؤجر؟ لأنَّ اللَّه يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] قال سفيان: تتخذ سلمًا، يقول: يصلي بعد العصر إلىٰ الليل».

٢٤٤- عن جابر، أنَّ عمر بن الخطاب أتىٰ رسول اللَّه بنسخة من التوراة، فقال: يا رسول اللَّه، هذه نسخة من التوراة، فسكت فجعل يقرأ ووجه رسول اللَّه ﷺ يتغيّر. فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل، ما ترىٰ بوجه رسول اللَّه ﷺ: فنظر عمر

إلىٰ وجه رسول اللَّه ﷺ فقال: أعوذ باللَّه من غضب اللَّه ومن غضب رسوله، رضينا باللَّه ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لو بدا لكم موسىٰ فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حيًا وأدرك نبوتي لاتّبعني**»(١).

٢٤٥- حدثنا قبيصة، أنا سفيان، عن أبي رباح شيخ من آل عمر، قال: «رأىٰ سعيد بن المسيب رجلًا يصلي بعد العصر الركعتين يكثر فقال له: يا أبا محمد، أيعذبني اللَّه علىٰ الصلاة؟ قال: لا، ولكن يعذبك اللَّه بخلاف السُّنَّة»[٢٨].

- **فقه هذا الباب وبيان معناه:**

[٢٨] قلت: هذا الباب (٢٥) قائم علىٰ هذه الآيات: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ﴾ [النور: ٥٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]، وقول تعالىٰ: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال ابن كثير في: «تفسير القرآن العظيم» (٥/):

«قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾؛ أي: عن أمر رسول اللَّه ﷺ، سبيله هو ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق =

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٥١٥٦) بلفظ: «**أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب**»؟ وابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٩٤٩)، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (٥٠)، وعبد الرزاق في المصنف (١٠١٦٤)، والبغوي في «السنة» (١٢٦)، ومعنىٰ متهوكون: أي: متحيّرون، وقد حُسّن بمجموع طرقه، وانظر: «إرواء الغليل» ح (١٥٨٩).

= ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردود علىٰ قائله وفاعله كائنًا ما كان، كما ثبت في «الصحيحين» وغيرهما، عن رسول اللَّه ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»(١)؛ أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنًا وظاهرًا ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: في الدنيا، بقتل، أوْ حدّ، أو حبس، أو نحو ذلك.

قال الإمام أحمد: حدثنا ..... حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارًا، فلمَّا أضاءت ما حولها، جعل الفراش وهذه الدواب اللائي يقعن في النَّار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فذلك مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحُجَزِكم عن النَّار، هلُمَّ عن النَّار فتغلبوني وتَقْتحمون فيها**»(٢).

قلت: وقال القرطبي في: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٣٧):

«قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ لفظة ﴿وَمَا كَانَ﴾، وما ينبغي ونحوهما: معناها الحظر والمنع، لحظر الشيء، والحكم بأنَّه لا يكون كما في الآية، والعلم بامتناعه شرعًا، ثُمَّ توعد اللَّه تعالىٰ وأخبر أنَّ من يعص اللَّه ورسوله فقد ضل، وهذا أدلَّ دليل علىٰ ما ذهب إليه الجمهور من أنَّ صيغة (أفعل) للوجوب في أصل وضعها؛ لأنَّ اللَّه -تبارك وتعالىٰ- نفي خيرة المكلف عند سماع أمره وأمر رسوله ﷺ، ثُمَّ أطلق علىٰ من بقيت له خيرة عند صدور الأمر اسم المعصية، ثُمَّ علق عل المعصية بذلك الضلال، فلزم حمل الأمر علىٰ الوجوب» اهـ.

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم (٢٢٨٥) والبخاري (٦٤٨٣).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٣٤٨٥، ٥٧٩٠) ومسلم (٢٠٨٨).

٢٦- باب تعجيل عقوبة من بلغه عن النَّبِيّ ﷺ حديث فلم يعظمه ولم يوقّره

٢٤٦- عن أبي هريرة، عن رسول اللَّه ﷺ، قال: «**بينما رجل يتبختر في بردين خسف اللَّه به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلىٰ يوم القيامة**» فقال له فتىٰ قد سماه وهو في حلة: يا أبا هريرة، أهكذا كان يمشي ذلك الفتىٰ الذي خسف به؟ ثُمَّ ضرب بيده فعثر عثرة كاد يتكسّر منها، فقال أبو هريرة للمنخرين وللفم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥][(١)].

٢٤٧- عن خراش بن جبير، قال: «رأيت في المسجد فتىٰ يخذف، فقال له شيخ: لا تخذف، فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ نهىٰ عن الخذف» فغفل الفتىٰ فظنَّ أنَّ الشيخ لا يفطن له، فخذف، فقال له الشيخ: «أحدثك أني سمعت رسول اللَّه ﷺ ينهىٰ عن الخذف ثُمَّ تخذف؟!! واللَّه لا أشهد لك جنازة ولا أعودك في مرض، ولا أكلمك أبدًا». فقلت لصاحب لي يُقال له: مهاجر: انطلق إلىٰ خراش فاسأله فأتاه فسأله عنه فحدّثه»[(٢)].

٢٤٨- عن سعيد بن جبير، عن عبد اللَّه بن مغفل، قال: «نهىٰ رسول اللَّه ﷺ عن الخذف، وقال: «**إنها لا تصطاد صيدًا ولا تنكي عدوًّا، ولكنها تكسر السن وتفقأ العين**» فرفع رجل بينه وبين سعيد قرابة شيئًا من الأرض، فقال: هذا وما يكون هذه؟! فقال سعيد: ألا أراني أحدثك عن رسول اللَّه ﷺ ثُمَّ تهاون به، لا أكلمك أبدًا»[(٣)].

٢٤٩- عن قتادة، قال: حدَّث ابن سيرين رجلًا بحديث عن النَّبِيّ ﷺ فقال رجل: قال فلان كذا وكذا. فقال ابن سرين: «أحدثك عن النَّبِيّ ﷺ وتقول: قال فلان وفلان كذا وكذا؟!!! لا أكلمك أبدًا».

٢٥٠- عن ابن عمر، أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا استأذنت أحدكم امرأته إلىٰ**

---

(١) رواه البخاري (٥٤٧٩) ومسلم (١٩٥٤). (٢) رواه مسلم (١٩٥٤).

(٣) رواه أبو داود في «سننه» (٥٦٧) وابن خزيمة في «صحيحه» (١٩٨٤) وأحمد في المسند (٤٥٢٢) (٤٥٥٦)، ورواه البخاري في «صحيحه» (٨٩٩، ٩٠٠) بلفظ: «**لا تمنعوا إماء اللَّه مساجد اللَّه**».

المسجد فلا يمنعها» فقال فلان ابن عبد اللَّه: إذًا واللَّه أمنعها. فأقبل عليه ابن عمر، فشتمه شتمة لم أره شتمها أحدًا قبله، ثُمَّ قال: «أحدثك عن رسول اللَّه ﷺ وتقول: إذًا واللَّه أمنعها؟!!»(١).

٢٥١- عن ابن عباس، عن النَّبِيّ ﷺ قال: «**لا تطرقوا النساء ليلًا**»، قال: وأقبل رسول اللَّه ﷺ قافلًا، فانساق رجلان إلىٰ أهليهما، وكلاهما وجد مع امرأته رجلًا»(٢) [٢٩].

• شرح أحاديث هذا الباب وبيان هجران أهل البدع والفسوق ومنابذي السُّنَّة مع العلم:

[٢٩] قال النووي في: «شرح مسلم» (١٣/ ٨٥):

«قوله: «أحدثك أنَّ رسول اللَّه ﷺ نهىٰ عن الخذف ثُمَّ تخذف؟! لا أكلمك أبدًا»، في الحديث هجران أهل البدع والفسوق ومنابذي السُّنة مع العلم، وأنَّه يجوز هجرانه دائمًا، والنهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام، إنَّما هو فيمن هجر لحظ نفسه ومعايش الدنيا، وأمَّا أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائمًا، وهذا الحديث ممَّا يؤيده مع نظائر له، كحديث كعب بن مالك وغيره» اهـ.

قلت: يريد هجران النَّبِيّ ﷺ لكعب ومن معه لما تخلفا عن غزوة تبوك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، والحديث رواه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩).

أمَّا حديث ابن عمر: «**إذا استأذنت أحدكم امرأته في المسجد فلا يمنعها**» فقال ابنه: =

---

(١) رواه الحاكم (٧٧٩٨) وقال: حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، قال ابن حجر في «إتحاف المهرة» (٦/ ٥٩٧): «لم يشترطا أن يخرجا المرسل، فأبو سلمة لم يدرك عبد اللَّه رواحة»، فهو حديث مرسل صحيح «بواسطة موسوعة ابن حجر (٥/ ٥٤٢)، ورواه البيهقي في: «السنن الكبرىٰ» (٩/ ١٧٤).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (١٨٠١)، (٥٢٤٤)، ومسلم (١٩٢٨).

= «إذن واللَّه أمنعها» فشتمه أبوه ابن عمر.

قال أبو الطيّب في: «عون المعبود» (٢/ ١٠):

«وإنَّما أنكر عليه ابن عمر لتصريحه بمخالفة الحديث، وأُخِذَ من إنكار عبد اللَّه علىٰ ولده تأديب المعترض علىٰ السنن برأيه، وعلىٰ العالم بهواه، وتأديب الرجل ولده، وإن كان كبيرًا إذا تكلَّم ممَّا لا ينبغي له، وجواز التأديب بالهجران، فقد وقع في رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد عند أحمد: «فما كلّمه عبد اللَّه حتىٰ مات»، وهذا -إن كان محفوظًا- يحتمل أن يكون أحدهما مات عقب هذه القصة بيسير، قاله الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»» اهـ.

❊ ❊ ❊

٢٧- باب من كره أن يملّ النَّاس [٣٠]

٢٥٢- عن عبد اللَّه، قال: «لا تملّوا النَّاس».

٢٥٣- عن عبد اللَّه، قال: «إنَّ للقلوب لنشاطًا وإقبالًا، وإنَّ لها تولية وإدبارًا، فحدّثوا النَّاس ما أقبلوا عليكم».

٢٥٤- حدثنا أبو هلال، قال: سمعت الحسن يقول: كان يقال: «حدَّث القوم ما أقبلوا عليك بوجوههم، فإذا التفتوا فاعلم أنَّ لهم حاجات».

* * *

- **بيان الباب والتعليق عليه:**

[٣٠] **قلت**: لما كانت الأبواب السابقة في ضرورة العلم والتعليم، ورفعة منزله، وفضله، وطلب العلم بالنية وخلوص التعلم والتعليم للَّه وفي اللَّه وباللَّه وعلىٰ أمر اللَّه، والخوف من ذهاب العلم ونقض عرىٰ الإسلام وشعائره، ووجوب البلاغ عن اللَّه ورسوله، كان هذا الباب: (من كره أن يُملّ الناس)، بمثابة الوعي الدعوي، والفقه الفهمي، والبصيرة العلمية، وصحّة الإدراك لفطرة المتعلمين وسجيّتهم حال تلقيهم لدروس العلم، حتىٰ لا ينفروا من هذا الخير الذي به صلاح الدنيا والدين، وهذا شأن لابد من مراعاته، وحتى لا يُسفّه هذا المجهود البلاغي، فيستهتر الناس بهذه المكانة العالية، ومن ثَم لابد من ترغيب طلاب العلم في ذلك، وإجلال وتوقير العلم والعلماء.

٢٨- باب من لم ير كتابة الحديث[١]

٢٥٥- عن أبي سعيد الخدري، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تكتبوا عنّي شيئًا إلا القرآن، فمن كتب عنّي شيئًا غير القرآن فليمحه**»[٢].

٢٥٦- عن أبي سعيد الخدري: «أنهم استأذنوا النَّبِيّ ﷺ في أن يكتبوا عنه، فلم يأذن لهم»[٣].

٢٥٧- عن أبي سعيد الخدري: «أنهم استأذنوا النَّبِيّ ﷺ في أن يكتبوا عنه، فلم يأذن لهم»[٤].

٢٥٨- عن الأوزاعي، قال: «كان قتادة يكره الكتابة، فإذا سمع وقع الكتاب أنكره والتمسه بيده».

٢٥٩- أخبرنا أبو المغيرة، قال: «كان الأوزاعي يكرهه».

٢٦٠- أخبرنا محمد بن يوسف، عن سفيان، عن منصور: «إنَّ إبراهيم كان يكره الكتاب -يعني العلم».

٢٦١- عن ابن سيرين، قال: «لو كنت متخذًا كتابًا لاتخذت رسائل النَّبِيّ ﷺ».

٢٦٢- عن إبراهيم، قال: «سألت عبيدة قطعة جلد أكتب فيه؟ فقال: يا إبراهيم لا تجلدن عني كتابًا».

٢٦٣- عن مجاهد: «أنه كره أن يكتب العلم في الكراريس»، عن الأوزاعي، قال: «ما زال هذا العلم عزيزًا يتلقّاه الرجال، حتىٰ وقع في الصحف فَحَمَلَهُ، أو

---

(١) كل هذا الباب إنَّما هو علىٰ ضوء أنَّ الأصل في العلوم الحفظ في الصدور وعدم الاعتماد علىٰ الكتابة لأنها قد تُمحىٰ، وما في الصدور لا يُمحىٰ، فالمراد هنا: قوة الحفظ ومتانة التثبت والهمة والجهد والنصب حتىٰ لا تضيع العلوم، وسيأتي أنَّ كتابة الكتب لابد منها.

(٢) رواه مسلم (٣٠٠٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٦٦٥) في كتاب العلم، ومسلم (٣٠٠٤).

(٤) رواه الترمذي في «سننه» (٢٦٦٥) باب: ما جاء في كراهية كتابة للعلم، وأصله عند مسلم (٣٠٠٤) بلفظ آخر.

دخل فيه غير أهله».

٢٦٤- عن يونس، قال: «كان الحسن يَكْتُبُ ويُكْتَبُ، وكان ابن سيرين لا يَكْتُبُ ولا يُكْتَبُ».

٢٦٥- عن إبراهيم التيمي، قال: «بلغ ابن مسعود أنَّ عند ناس كتابًا يعجبون به، فلم يزل بهم حتىٰ أتوه به فمحاه، ثُمَّ قال: إنَّما هلك أهل الكتاب قبلكم أنهم أقبلوا علىٰ كتب علمائهم وتركوا كتاب ربّهم».

٢٦٦- عن أبي نضرة، قال: قلت لأبي سعيد الخدري: «ألا تكتبنا، فإنا لا نحفظ؟ فقال: لا إنا لن نكتبكم، ولن نجعله قرآنًا، ولكن احفظوا عنا كما حفظنا نحن عن رسول اللَّه ﷺ».

٢٦٧- عن الأوزاعي، قال: سمعت أبا كثير يقول: سمعت أبا هريرة يقول: «لا يَكْتُبُ ولا يُكْتَبُ».

٢٦٨- عن أبي بردة: «أنه كان يكتب حديث أبيه فرآه أبو موسىٰ فمحاه».

٢٦٩- حدثني قريش بن أنس، قال: قال لي ابن عون: «واللَّه ما كتبتُ حديثًا قط، قال ابن عون: قال ابن سيرين: «لا واللَّه ما كتبت حديثًا قطّ» قال ابن عون: قال لي ابن سيرين: «عن زيد بن ثابت: أرادني مروان بن الحكم وهو أمير علىٰ المدينة أن أكتبه شيئًا، قال: «فلم أفعل»، قال: «فجعل سترًا بين مجلسه وبين بقية داره»، قال: فكان أصحابه يدخلون عليه، ويتحدّثون في ذلك الموضع، فأقبل مروان علىٰ أصحابه فقال: «ما أرانا إلَّا قد خُنَّاه، ثُمَّ أقبل عليَّ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: ما أرانا إلَّا قد خناك. قال: قلت: وما ذاك؟ قال: إنا أمرنا رجلًا يقعد خلف هذا الستر، فيكتب ما تفتي هؤلاء وما تقول».

٢٧٠- عن عمرو بن قيس، قال: «وفدت مع أبي إلىٰ يزيد بن معاوية بحُوَّارِيْن حين توفي معاوية نعزّيه ونهنيه بالخلافة، فإذا رجل في مسجدها يقول: «ألا إن من أشراط الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار، ألا إنَّ من أشراط الساعة أن يظهر القَوْل ويحزن العمل، ألا إنَّ من أشراط الساعة أن تتلىٰ المثناة فلا يوجد من يغيرها. قيل له: وما المثناة؟ قال: ما استكتب من كتاب غير القرآن، فعليكم

بالقرآن فبه هديتم، وبه تجزون، وعنه تسألون، فلم أدرِ مَن الرجل. فحدثت هذا الحديث بعد ذلك بحمص، فقال لي رجل من القوم: أوما تعرفه؟ قلت: لا. قال: ذلك عبد اللَّه بن عمرو».

٢٧١- عن مرة الهمداني، قال: جاء أبو قرة الكندي بكتاب من الشام، فحمله فدفعه إلىٰ عبد اللَّه بن مسعود، فنظر فيه فدعا بطست ثُمَّ دعا بماء فمرسه فيه، وقال: «إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب وتركهم كتابهم». قال حصين: فقال مرة: أمَّا إنّه لو كان من القرآن أو السُّنَّة لم يمحه، ولكن كان من كتب أهل الكتاب».

٢٧٢- عن يحيىٰ بن جعدة، قال: أُتيّ النَّبِيّ ﷺ بكتف فيه كتاب، فقال: «**كفي بقوم ضلالًا أن يرغبوا عمَّا جاء به نبيهم إلىٰ ما جاء به نبي غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم**» فأنزل اللَّه ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٥١]»[1].

٢٧٣- عن الأشعث، عن أبيه -وكان من أصحاب عبد اللَّه- قال: «رأيت مع رجل صحيفة فيها: سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، فقلت له: أنسخنيها فكأنه بخل بها، ثُمَّ وعدني أن يعطينها، فأتيت عبد اللَّه، فإذا هي بين يديه فقال: «إنَّ ما في هذا الكتاب بدعة وفتنة وضلالة، وإنما أهلك من كان قبلكم هذا وأشباه هذا، إنهم كتبوها فاستلذتها ألسنتهم وأشربتها قلوبهم، فأعزم علىٰ كل امرئ يعلم بمكان كتاب إلَّا دلَّ عليه وأقسم باللَّه. قال شعبة: فأقسم باللَّه. قال: أحسبه أقسم لو أنها ذكرت له بدار الهند أريه يعنىٰ مكانًا بالكوفة بعيدًا إلَّا أتيته ولو مشيا».

٢٧٤- - عن أبي موسىٰ: «أنَّ بني إسرائيل كتبوا كتابًا فتبعوه وتركوا التوراة».

٢٧٥- عن عفان المحاربي، عن أبيه، قال: سمعت ابن مسعود يقول: «إنَّ ناسًا يسمعون كلامي، ثُمَّ ينطلقون فيكتبونه وإني لا أحلّ لأحد أن يكتب إلَّا كتاب اللَّه».

---

(١) رواه أبو داود في المراسيل (٣٢٠).

٢٧٦- عن ابن شبرمة، قال: سمعت الشعبي يقول: «ما كتبت سوداء في بيضاء ولا استعدت حديثًا من إنسان».

* * *

٢٩- باب من رخَّص في كتابة العلم

٢٧٧- عن وهب بن منبه، عن أخيه سمع أبا هريرة، يقول: «ليس أحد من أصحاب رسول اللَّه ﷺ أكثر حديثًا عن النَّبِيّ ﷺ مني، إلَّا ما كان من عبد اللَّه بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب».

٢٧٨- عن عبد اللَّه بن عمرو، قال: كنت أكتب كلَّ شيء أسمعه من رسول اللَّه ﷺ أريد حفظه فَنَهَتْني قريشٌ وقالوا: تكتب كلَّ شيء سمعته من رسول اللَّه ﷺ. ورسول اللَّه ﷺ بَشَر يتكلَّم في الغضب والرضاء، فأمسكتُ عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول اللَّه ﷺ، فأومأ بأصبعه إلىٰ فيه، وقال: «**اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلَّا حق**»(١).

٢٧٩- عن أبي قبيل، قال: سمعت عبد اللَّه بن عمرو قال: بينما نحن حول رسول اللَّه ﷺ نكتب إذ سئل رسول اللَّه ﷺ أي المدينتين تفتح أولًا قسطنطينية أو رومية؟ فقال النَّبِيّ ﷺ: «**لا، بل مدينة هرقل أولًا**»(٢).

٢٨٠- عن عبد اللَّه بن دينار، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: «أن اكتب إلي بما ثبت عندك من الحديث عن رسول اللَّه ﷺ، وبحديث عمرة، فإني قد خشيت درس العلم وذهابه».

---

(١) رواه أبو داود في كتاب العلم (٣٦٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وأحمد في المسند (٦٥١٠) وصححه أحمد شاكر، وكذلك رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٧، ٣٥٨).

- **تعليق على هذا الباب:**

قلت: أمَّا هذا الباب علىٰ أهمية كتابة العلم؛ لانقسام النَّاس بين قوة الحفظ وضعفه، والأمران لابد منهما حتىٰ لا يضيع العلم، كضرورة طبع القرآن في المصاحف، وقد أمر رسول اللَّه ﷺ بتدوين العلم، فأصبح في المسألة أدلة وأحاديث بالمنع وبالكتابة، وقاعدة الباب الكلية: «الإعمال أولىٰ من الإهمال» فمن كانت ذاكرته قوية فليحفظ، ومن كان علىٰ العكس دوَّن وكتب، وهذا جمع بين الأدلة، ولا تعارض وللَّه الحمد.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٦٦٤٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢١٩): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وصححه أحمد شاكر.

٢٨١- عن مسلم العلوي قال: «رأيت أبان يكتب عن أنس في سبورة».

٢٨٢- عن عبد اللَّه بن دينار، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أهل المدينة: «أن انظروا حديث رسول اللَّه ﷺ فاكتبوه، فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله».

٢٨٣- عن أيوب، عن أبي المليح، قال: «يعيبون علينا الكتاب وقد قال اللَّه تعالىٰ: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾ [طه: ٥٢]».

٢٨٤- حدثنا سوادة بن حيان، قال: سمعت معاوية بن قرة أبا إياس يقول: كان يقال: «من لم يكتب علمه لم يعد علمه علمًا».

٢٨٥- حدثني ثمامة بن عبد اللَّه بن أنس، «أنَّ أنسًا كان يقول لبنيه: «يا بني، قيِّدوا هذا العلم».

٢٨٦- عن الحسن بن جابر، «أنه سأل أبا أمامة الباهلي عن كتاب العلم؟ فقال: «لا بأس بذلك».

٢٨٧- عن بشير بن نهيك، قال: «كنت أكتب ما أسمع من أبي هريرة فلمَّا أردت أن أفارقه أتيته بكتابه فقرأته عليه، وقلت له: هذا ما سمعت منك؟ قال: نعم».

٢٨٨- عن سعيد بن جبير، قال: «كنت أسمع من ابن عمر وابن عباس الحديث بالليل، فأكتبه في واسطة الرحل».

٢٨٩- عن عبد اللَّه بن عمرو، قال: «ما يرغبني في الحياة إلَّا الصادقة والوهظ، فأمَّا الصادقة فصحيفة كتبتها من رسول اللَّه ﷺ، وأمَّا الوهظ فأرض تصدَّق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها».

٢٩٠- عن عمرو بن أبي سفيان، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: «قيّدوا العلم بالكتاب»[1].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٦٠) وصححه ووافقه الذهبيّ ومثله عن أنس بن مالك (٣٦١) وصححه ووافقه الذهبيّ.

٢٩١- عن شرحبيل بن سعد، قال دعا الحسن بنيه وبني أخيه فقال: «يا بني وبني أخي، إنكم صغار قوم بوشك أن تكونوا كبار آخرين، فتعلَّموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يرويه -أو قال: يحفظه- فليكتبه وليضعه في بيته».

* * *

٣٠- باب من سنَّ سنّة حسنة أو سيئة

٢٩٢- عن جرير، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً عُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِ شَيْءٌ**»(١).

٢٩٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنِ اتَّبَعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»(٢) [٣١].

هل هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة؟

[٣١] قد تقدم في هذا الكتاب الكلية الكبرىٰ: «**كل بدعة ضلالة**»، وهي قاعدة لا مثنوية فيها ولا استثناء، فكل بدعة ضلالة، وليس في هذا الدين بدعة حسنة؛ ولكن أخذ البعض من هذا الحديث عند مسلم قوله ﷺ: «**من سَنَّ في الإسلام سنة حسنة**»، «**ومن سن في الإسلام سنة سيئة**» فقالوا: هناك البدعة الحسنة والبدعة السيئة، فما وجه دلالتهم تلك؟!

وعليه فلابد من تحقيق هذا القول فأقول: أوَّل ما يذكر في المسألة هو سبب ورود الحديث، وهو يظهر من بدايته: عن جرير قال: كنا عند رسول اللَّه ﷺ في صدر النهار قال: فجاءه قوم حفاة عراة مُجتابي النِّمار أو العباء [وهي ثياب صوف فيها تنمير] متقلّدي السيوف، . . . . ، فأمر بلالًا فأذَّن وأقام ثُمَّ خطب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وقال الآية التي في الحشر: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، فقال: «**تصدَّق رجل من دينار من درهمه، من** =

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (١٠١٧).

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٦٧٤) في كتاب العلم باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلىٰ هدىٰ أو ضلالة، ورواه ابن ماجه في مقدمة سننه (٢٠٣)، وأورده المنذري في: «الترغيب والترهيب» (٩٦) باب الترغيب في البداءة بالخير ليستنّ به، والترهيب من البداءة بالشّر خوف أن يُستنَّ به.

= **ثوبه، من صاع بُرِّه من صاع تمره**» حتىٰ قال: «**ولو بشق تمرة**» قال: فجاء رجل من الأنصار بصُرّة كادت كفّه تعجز عنها، بل عجرت، ثُمَّ تتابع النَّاس حتىٰ رأيت كومين من طعام وثياب، حتىٰ رأيت وجه رسول اللَّه ﷺ يتهلل كأنَّه مذهبة، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سنة حسنة**»، «**ومن سنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة**».

قال ابن منظور في: «لسان العرب» (٧/ ٢٧٩- ٢٨٢):

«وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: ٥٥] قال الزَّجاج: سُنَّة الأوَّلين؛ أنهم عاينوا العذاب فطلب المشركون أن قالوا: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وسَنَنْتها سنًّا واستننتها: سِرْتُها، وسننت لكم سُنَّة فاتبعوها، وفي الحديث: «**من سنَّ سُنَّة حسنة . . . .**» يريد من عملها ليقتدىٰ به فيها، وكل من ابتدأ أمرًا عمل به قوم بعده قيل: هو الذي سَنَّهُ، قال نُصَيْبُ: كأنِّي سَنَنْتُ الحبّ أوَّلَ عاشِقٍ: من النَّاس إذْ أحْيَيْتُ من بينهم وَحْدِي.

وقد تكرر في الحديث ذكر السُّنَّة وما تصرف منها، والأصل فيه الطريقة والسِّيرة، وإذا أُطلقت في الشّرع فإنَّما يُراد بها: ما أمر به النَّبِيّ ﷺ ونهىٰ عنه وندب إليه قولًا وفعلًا ممَّا ينطق به الكتاب العزيز، ولهذا يُقال في أدلة الشرع: الكتاب والسُّنَّة، أي: القرآن والحديث، . . . ، وفي الحديث: «**لا يُنقض عهدهم عن سنّة ما حل**»؛ أي: لا ينقض بسعي ساع بالنميمة والإفساد، كما يُقال: لا أفسد ما بيني وبينك بمذاهب الأشرار وطُرقهم في الفساد، والسُّنَّة: الطريقة والسَّنَنُ أيضًا، وفي التهذيب: السُّنَّة الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السُّنَّة؛ معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة» اهـ.

وقال الخطيب البغدادي في: «الفقيه والمتفقه» (١/ ٨٦):

«الكلام في الأصل الثاني من أصول الفقه، وهو سنة رسول اللَّه ﷺ، والسُّنَّة ما رُسِمَ ليُحْذَىٰ، ولهذا قال النَّبِيّ ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سنة حسنة**» . . .» اهـ، الحديث.

قلت: قوله: ما رُسم ليحتذىٰ: أي ليُعمل مثله ويسير عليه نهجًا حسنًا أو نهجًا سيّئًا.

ثُمَّ قال الخطيب: «فينبغي أن يُقال في حدّ السُّنَّة: أنها ما رُسم ليحتذىٰ استحبابًا [فروىٰ بسنده] عن سعيد بن جبير وسُئل عن السُّنَّة فقال: السُّنَّة ما سَنَّ النَّبِيّ ﷺ في الدين ما لم ينزل به =

= كتاب، فأمَّا ما بيَّنَ الكتاب، فذلك أمر اللَّه وقضاؤه، فهذا كتاب اللَّه وسنة نبيّه.

قلت: [**يعني الخطيب**]: والسُّنَّة ما شرعه النَّبِيّ ﷺ لأمّته فيلزم اتّباعه فيه؛ لأنَّ اللَّه أوجب طاعته علىٰ الخلق، فقال تعالىٰ. . . . ، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]» اهـ.

قلت: هذه هي السُّنَّة، أمَّا البدعة فكما ذكرت من قبل في هذا الكتاب أنها: الفِعلة المخالفة للسُّنَّة؛ سُمّيت بدعة؛ لأنَّ قائلها ابتدعها من غير مقام إمام، فالبدعة: هي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون، ولم يكن ممَّا اقتضاه الدليل الشرعي «التعريفات» (ص٤٠)، وارجع لما ذكر من الباب: ٢- باب اتباع السنة.

وقال شيخ الإسلام من «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٣٤٦):

«البدعة ما خالفت الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات» اهـ.

فكل بدعة ضلالة لا حسن فيها بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، وقد مرَّ القول فيها مفصلًا في أوَّل الكتاب، وسبب ورود الحديث: ما ذكره رسول اللَّه من الآيات علىٰ الحث علىٰ التصدق للفقراء الذين أثَّرت فيهم الفاقة والحاجة، فأقام الصحابة السنة وانقادوا إلىٰ أمر اللَّه ورسوله فتصدقوا وبدأه الأنصاريّ الأول هنا وسنَّ لهم ما أمر به النَّبِيّ ﷺ، يعني: إقامة السنن الثابتة في الكتاب والسُّنَّة والإجماع، فلابد من تدبر الحديث وفهمه من بداية الحديث الذي ذكره الصحابيّ جرير وبين ما حدث لهؤلاء، ثُمَّ كلام الحديث من رسول اللَّه ﷺ، فأين البدعة الحسنة؟! وهذا الحديث أكده الدارمي بالحديث الذي بعده: «**من دعا إلىٰ هدًىٰ**»، «**ومن دعا إلىٰ ضلالة**» فالهدىٰ: الحق والسُّنَّة، والضلالة: الباطل والبدعة والهوىٰ، وقد رواهما مسلم في «صحيحه» هكذا وربط بيْن الحديثين ترتيبًا؛ للبيان فإنَّ الحديث يُفسر بعضه بعضًا.

قال النووي في: «شرح مسلم» (٧/ ٨٥- ٨٦):

«في الحديث: الحثّ علىٰ الابتداء بالخيرات وسن السنن الحسنات، والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات، وسبب هذا الكلام في هذا الحديث أنه قال في أوَّله: فجاء رجل بصرّة كادت كفّه تعجز عنها، فتتابع النَّاس، وكان الفضل العظيم للبادي بهذا الخير، والفاتح لباب هذا الإحسان، وفي هذا الحديث تخصيص قوله ﷺ: «**كل محدثة** =

= **بدعة وكل بدعة ضلالة**»، وأنَّ المراد بها المحدثات الباطلة والبدع المذمومة» اهـ.

قلت: فقبل قوله الأخير هذا: «وفي هذا الحديث تخصيص...» فالشرح مستو ومستقيم، ثُمَّ خصص الحديث العمدة في كليّة البدعة وأنها ضلاله كلها!!! فكيف هذا؟ والسُّنَّة حق والبدعة ضلالة وباطل محض؟! غفر اللَّه للنووي فقد سن سنَّة سيئة احتذىٰ بها بعض من لم يفهم ويفقه الفرقان بين الحق والباطل والسُّنَّة والبدعة، واللَّه المستعان وعليه التكلان، وانظر كلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٧٢٣- ٧٣٥)، (٢٨/ ١٥٠- ١٥٣).

* * *

٣١- باب من كره الشهرة والمعرفة[١]

٢٩٤- عَنِ الأَعْمَشِ قَالَ: «جَهَدْنَا بِإِبْرَاهِيمَ أَنْ نُجْلِسَهُ إِلَىٰ سَارِيَةٍ فَأَبَىٰ».

٢٩٥- عن خيثمة، قال: «كان الحارث بن قيس الجعفي -وكان من أصحاب عبد اللَّه- وكانوا معجبين به، فكان يجلس إليه الرجل والرجلان فيحدثهما فإذا كثروا قام وتركهم».

٢٩٦- عن علقمة، قال: قيل له حين مات عبد اللَّه: «لو قعدت فعلَّمتَ النَّاس السُّنَّة؟ فقال: أتريدون أن يوطأ عقبي».

٢٩٧- عن سليمان بن حنظلة، قال: «تأتينا أبيَّ بن كعب لنتحدث إليه، فلمَّا قام قمنا ونحن نمشي خلفه، فرهقنا عمر فتبعه فضربه عمر بالدرة قال: فاتقاه بذراعيه فقال: يا أمير المؤمنين ما نصنع؟ قال: «أو ما ترىٰ فتنة للمتبوع مذلة للتابع».

٢٩٨- عن إبراهيم، قال: «كانوا يكرهون أن توطأ أعقابهم».

٢٩٩- عن بسطام بن مسلم، قال: «كان محد بن سيرين إذا مشىٰ معه الرجل قام فقال: ألك حاجة؟ فإن كانت له حاجة قضاها، وإن عاد يمشي معه قام فقال: ألك حاجة».

٣٠٠- عن عاصم بن ضمرة، أنه رأىٰ أناسًا يتبعون سعيد بن جبير، قال: «فأراه قال: نهاهم، وقال: إن صنعكم هذا -أو مشيكم هذا- مذلة للتابع وفتنة للمتبوع».

٣٠١- عن عبد الرحمن بن بشر، قال: «كنا عند خباب بن الأرت فاجتمع

● **تعليق على الباب:**

(١) روىٰ مسلم في «صحيحه» (٢٩٦٥) عن عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبي وقَّاص في إبله فجاء ابنه عمر، فلمَّا رآه سعد قال: أعوذ باللَّه من شرّ هذا الراكب، فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت النَّاس يتنازعون الملك بينهم؟! فضرب سعد في صدره فقال: أسكت، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنَّ اللَّه يحبّ العبد التقي الغنيّ الخفيّ**».

عليه أصحابه وهو ساكت فقيل له: ألا تحدّث أصحابك؟. قال: «أخاف أن أقول لهم ما لا أفعل».

٣٠٢- عن صالح، قال: سمعت الشعبي قال: «وددتُ أني نجوتُ من علمي كفافًا لا لي ولا عليّ».

٣٠٣- عن الحسن، أنَّ ابن مسعود كان يمشي والنَّاس يطئون عقبه فقال: «لا تطؤوا عقبي، فواللَّه لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما تبعني رجل منكم».

٣٠٤- ثنا سفيان، عن أمي قال: مشوا خلف علي فقال: «عني خفق نعالكم، فإنها مفسدة لقلوب نَوْكَىٰ[1] الرجال».

٣٠٥- عن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما فعله به؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وعن جسمه فيما أبلاه؟**»[2].

٣٠٦- عن معاذ بن جبل، قال: «لا يدع اللَّه العباد يوم القيامة يوم يقوم النَّاس لرب العالمين حتىٰ يسألهم عن أربع: عمَا أفنوا فيه أعمارهم؟ وعمَّا أبلوا فيه أجسادهم؟ وعمَّا كسبوا وفيما أنفقوا أموالهم؟ وعمَّا عملوا فيما علموا؟».

٣٠٧- عن ليث، قال: قال لي طاوس: «ما تعلّمته فتعلّم لنفسك، فإنَّ النَّاسَ قد ذهبت منهم الأمانات».

* * *

(١) **النوك**: الحمق والغباء والعجز «المعجم الوسط» مادة نوك.

(٢) رواه الترمذي في «سننه» (٢٤١٧) وقال هذا حديث حسن صحيح، والسيوطي في صحيح الجامع الصغير (٧٣٠٠)، ورواه ابن أبي شيبة (٣٥٨٣٩) عن معاذ موقوفًا.

٣٢- باب البلاغ عن رسول اللَّه ﷺ وتعليم السنن

٣٠٨- عن أبي كبشة، قال: سمعت عبد اللَّه بن عمرو وقال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**بلّغوا عني ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كَذَب عليَّ متعمدًا فليتبوّأ مقعده من النَّار**»(١).

٣٠٩- حدثني سليم بن عامر، قال: كان أبو أمامة إذا قعدنا إليه يجيئنا من الحديث بأمر عظيم ويقول للنَّاس: «اسمعوا واعقلوا، وبلّغوا عنا ما تسمعون» قال سليم: بمنزلة الذي يشهد علىٰ ما علم».

٣١٠٠- ثنا الأوزاعي، حدثني أبو كثير، حدثني أبي، قال: «أتيت أبا ذر وهو جالس عند الجمرة الوسطىٰ، وقد اجتمع النَّاس عليه يستفتونه، فأتاه رجل فوقف عليه ثُمَّ قال: ألم تنه عن الفتيا؟. فرفع رأسه إليه فقال: «أرقيب أنت عليَّ، لو وضعتم الصمصامة علىٰ هذه -وأشار إلىٰ قفاه- ثُمَّ ظننتُ أنَّي أنفذ كلمةً سمعتها من رسول اللَّه ﷺ قَبْلَ أن تجيزوا عليَّ لأنفذتُها».

٣١١- عن أبي العالية، قال: سألت ابنَ عباس عن شيء. فقال: «يا أبا العالية أتريد أن تكون مفتيًا؟ فقلت: لا، ولكن لا آمن أن تذهبوا ونبقىٰ. فقال: صدق أبو عالية».

٣١٢- عن إبراهيم قال: «كان عبيدة يأتي عبد اللَّه كل خميس فيسأله عن أشياء غاب عنها، فكان عامة ما يحفظ عن عبد اللَّه ممَّا يسأله عبيدة عنه».

٣١٣- عن ابن شهاب، قال: «العلم خزائن وتفتحها المسألةُ».

٣١٤- عن جرير، قال: قال إبراهيم: «من رَقَّ وجهه رقَّ علمه» قال وكيع، عن أبيه، عن الشعبي، قال: «من رَقَّ وجهه رق علمه». وعن ضمرة، عن حفص بن عمر، قال: قال عمر بن الخطاب «من رق وجهه رق علمه».

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (١٠٨، ١٠٩) ومسلم في مقدمة سننه (٢- ٤)، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

٣١٥- عن مجاهد، قال: «لا يتعلَّم من استحيي واستكبر».

٣١٦- عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنه كان يجمع بنيه فيقول: «يا بني تعلّموا فإن تكونوا صغار قوم فعسىٰ أن تكونوا كبار آخرين، وما أقبح علىٰ شيخ يسأل ليس عنده علم».

٣١٧- عن عكرمة، قال: «كان ابن عباس يضع في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن».

٣١٨- سمعت سفيان يقول: «من ترأس سريعًا أضرَّ بكثير من العلم، ومن لم يترأس طلب وطلب حتىٰ يبلغ».

٣١٩- عن سلمان، قال: «علم لا يُقال به ككنز لا ينفق منه».

٣٢٠٠- عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مثل علم لا ينتفع به كمثل كنز لا ينفق منه في سبيل اللَّه**»(١).

٣٢١- عن موسىٰ بن يسار، عن عمه، قال: بلغني أن سلمان كتب إلىٰ أبي الدرداء: «إنَّ العلم كالينابيع يغشاهنَّ النَّاس، فيختلجه هذا وهذا، فينفع اللَّه به غير واحد، وإنَّ حكمة لا يُتَكَلَّمُ بها كجسد لا روح فيه، وإنَّ علمًا لا يخرج، ككنز لا ينفق منه، وإنَّما مثل العالم كمثل رجل حمل سراجًا في طريق مظلم يستضيء به من مَرَّ به، وكل يدعو له بالخير».

٣٢٢- عن أبي هريرة عن النَّبِيّ ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه علمه إلَّا من ثلاث: علم ينتفع به، أو صدقة تجرىٰ له، أو ولد صالح يدعو له**»(٢).

٣٢٣- عن أبي موسىٰ، أنه قال حين قدم البصرة: «بعثني إليكم عمر بن الخطاب أعلّمكم كتاب ربّكم وسنتكم وأنظف طرقكم».

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٠٤٨١)، والطبراني في الأوسط (٦٨٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزَّوائد» (١/ ١٨٤): «رواه أحمد والبزَّار ورجاله ثقات»، وأبو عمر في: «جامع بيان العلم وفضله» (٧٧٤)، والسيوطي في الجامع الصغير (٨١٣٧) وحسنه.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» (١٦٣١).

٣٣- باب الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه

٣٢٤- عن أيوب، عن أبي قلابة، قال: «لقد أقمت في المدينة ثلاثًا ما لي حاجة إلَّا وقد فرغت منها، إلَّا أنَّ رجلًا كانوا يتوقّعونه كان يروي حديثًا فأقمت حتىٰ قدم فسألته».

٣٢٥- عن أبي العالية، قال: «كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فلم نَرْضَ حتىٰ ركبنا إلىٰ المدينة فسمعناها من أفواههم».

٣٢٦- قال ابن عباس: «طلبت العلم فلم أجده أكثر منه في الأنصار، فكنت آتي الرجل منهم فأسأل عنه فيقال لي: نائم، فأتوسّد ردائي ثُمَّ أضطجع حتىٰ يخرج إلىٰ الظهر، فيقول: متىٰ كنت هاهنا يا ابن عم رسول اللَّه ﷺ؟، فأقول: منذ طويل، فيقول: بئس صنعت، هلَّا أعلمتني؟!، فأقول: أردت أن تخرج إليَّ وقد قَضَيْتَ حاجتك».

٣٢٧- عن ابن عباس، قال: «وجد أكثر حديث رسول اللَّه ﷺ عند هذا الحي من الأنصار، واللَّه إن كنت لآتي الرجل منهم فيقال: هو نائم، فلو شئتُ أن يوقظ لي، فأدعه حتىٰ يخرج، لأستطيب بذلك حديثه».

٣٢٨- عن الزهري قال: «كنت آتي باب عروة فأجلس بالباب، ولو شئت أن أدخل لدخلت، ولكن إجلالًا له».

٣٢٩- عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: «لـمَّا توفي رسول اللَّه ﷺ قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلمُ فلنسأل أصحاب النَّبِيّ ﷺ فإنهم اليوم كثير. فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس أترىٰ النَّاس يحتاجون إليك، وفي النَّاس من أصحاب النَّبِيّ ﷺ مَنْ ترىٰ؟ فترك ذلك، وأقبلت علىٰ المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل، فأتوسَّد ردائي علىٰ بابه، فتسفي الريحُ علىٰ وجهي التراب فيخرج فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول اللَّه ما جاء بك؟ ألا أرسلتَ إليّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث قال: فبقي الرجل حتىٰ رآني وقد اجتمع النَّاس عليَّ فقال: كان هذا الفتىٰ أعقل مني».

٣٣٠- عن عبد اللَّه بن بريدة، «أنَّ رجلًا من أصحاب النَّبِيّ ﷺ رحل إلىٰ

فضالة بن عبيد وهو بمصر، فقدم عليه وهو يمدّ لناقة له، فقال: مرحبًا، قال: أمَّا إني لم آتك زائرًا، ولكن سمعت أنا وأنت حديثًا من رسول اللَّه ﷺ رجوت أن يكون عندك منه علم. قال: ما هو؟ قال: كذا وكذا».

٣٤- باب صيانة العلم

٣٣١- عن الحسن، أنه دخل السوق فساوم رجلًا بثوب، فقال: «هو لك بكذا وكذا، واللَّه لو كان غيرك ما أعطيته فقال: فعلتموها؟! فما رئي بعدها مشتريًا من السوق ولا بائعًا حتىٰ لحق بالله».

٣٣٢- عن إبراهيم: «أنه كان لا يشتري ممَّن يعرفه».

٣٣٣- عن عبيد بن الحسن، قال: «قسَّم مصعب بن الزبير مالًا في قرّاء أهل الكوفة حين دخل شهر رمضان، فبعث إلىٰ عبد الرحمن بن معقل بألفَيْ درهم فقال له: استعن بها في شهرك هذا، فردَّها عبد الرحمن بن معقل وقال: لم نقرأ القرآن لهذا».

٣٣٤- حدثني عبيد اللَّه بن عمر، أنَّ عمر بن الخطاب قال لعبد اللَّه بن سلام: «**مَنْ أرباب العلم؟ قال: الذين يعملون بما يعلمون. قال: فما ينفي العلم من صدور الرجال؟ قال: الطمع**».

٣٣٥- عن عطاء، قال: «ما آوىٰ شيء إلىٰ شيء أزين من حلم إلىٰ علم».

٣٣٦- عن عامر الشعبي، قال: «زين العلم حلم أهله».

٣٣٧- عن طاوس، قال: «ما حمل العلم في مثل جراب حلم».

٣٣٨- عن وهب بن منبه، قال: «إنَّ الحكمة تسكن القلب الوداع الساكن».

٣٣٩- سمعت سفيان، يقول: قال عبيد اللَّه: «أشنتم العلم وأذهبتم نوره؟! ولو أدركني وإياكم عمر لأوجعنا».

٣٤٠- قال علي: «تعلّموا العلم، فإذا علمتم فاكظموا عليه، ولا تشوبوه بضحك ولا بلعب فتمجّه القلوب».

٣٤١- عن سفيان، أنَّ عمر قال لكعب: من أرباب العلم؟ قال: «الذين

يعملون بما يعلمون. قال: فما أخرج العلم من قلوب العلماء؟ قال: الطمع».

٣٤٢- عن أيوب، عن أبي إياس، قال: «كنت نازلًا علىٰ عمرو بن النعمان فأتاه رسول مصعب بن الزبير حضره رمضان بألفَيْ درهم، فقال: إن الأمير يقرئك السلام، وقال: إنا لم ندع قارئًا شريفًا إلَّا وقد وصل إليه منا معروف، فاستعن بهذين علىٰ نفقة شهرك هذا. فقال: أقرأ الأمير السلام وقل له: إنا واللَّه ما قرأنا القرآن نريد به الدنيا ودرهمها» **[٣٢]**.

* * *

- **العلماء ورثة الأنبياء في العلم والحكمة والفهم:**

[٣٢] قلت: قال اللَّه تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

قال القرطبيّ في «جامعه» (٤/ ٣٢):

«في هذه الآية دليل علىٰ فضل العلم وشرف العلماء؛ فإنّه لو كان أحدٌ أشرف من العلماء لقرنهم اللَّه باسمه واسم الملاكة؛ كما قرن اسم العلماء هنا في الآية، وقال في شرف العلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فلو كان شيْء أشرف من العلم لأمر اللَّه تعالىٰ نبيّه ﷺ أن يسأله المزيد منه، كما أمر أن يستزيد من العلم، وقال ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**». **اهـ**

قلت: والحديث رواه أبو داود في «سننه» **(٣٦٤١)** في العلم، باب **(١)** الحث علىٰ طلب العلم، والترمذي في العلم **(٢٦٨٢)** باب **(١٩)** ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة، وحسّنه، ورواه الحاكم في «المستدرك» **(٢٩٩، ٣٠٠)**. وصححه ووافقه الذهبيّ، وحسّنه الحافظ في «فتح الباري» **(١/ ٢٠٦)** وهو عند البخاري معلقًا، فقال الحافظ ابن حجر: «وشاهد من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ﴾ [فاطر: ٣٢]، ومناسبته للترجمة: (باب العلم قبل القول والعمل): من جهة أن الوارث قائم مقام المورّث؛ فله حكمه فيما قام مقامه فيه، وفي الحديث: «**وإن الأنبياء لم يورّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنّما ورّثوا العلم النافع فمن أخذه أخذ بحظ وافر**». **اهـ**

قلت: فبهذا يُصان العلمُ والعلماءُ، وقد قال اللَّه علىٰ علماء الدنيا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧].

٣٥- باب السُّنة قاضية على كتاب الله

٣٤٣- عن المقدام بن معدي كرب الكندي، أنَّ رسول اللَّه ﷺ حرَّم أشياء يوم خيبر: الحمار وغيره، ثُمَّ قال: «**ليوشك بالرجل متّكئًا علىٰ أريكته يحدّث بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب اللَّه، ما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه، ألا وإن ما حرّم رسولّ اللَّه فهو مثل ما حرّم اللَّه**»(١).

٣٤٤- عن يحيىٰ بن أبي كثير، قال: «السُّنَّة قاضية علىٰ القرآن، وليس القرآن بقاض علىٰ السُّنَّة».

٣٤٥- عن الأوزاعي، عن حسان، قال: «كان جبريل ينزل علىٰ النَّبِيّ ﷺ بالسُّنَّة كما ينزل عليه بالقرآن».

٣٤٦- عن مكحول، قال: «السُّنَّة سنتان: سنة الأخذ بها فريضة وتركها كفر، وسنة الأخذ بها فضيلة وتركها إلىٰ غير حرج».

٣٤٧- عن سعيد بن جبير «أنه حدَّث يومًا بحديث عن النَّبِيّ ﷺ فقال رجل: في كتاب اللَّه ما يخالف هذا؟ قال: ألا أراني أحدِّثك عن رسول اللَّه ﷺ وتعرض فيه بكتاب اللَّه، كان رسول اللَّه ﷺ أعلم بكتاب اللَّه منك».

* * *

---

(١) رواه الترمذي في كتاب العلم (٢٦٦٤) وقال حديث حسن غريب، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٨) وصححه ووافقه الذهبي، وأحمد في المسند (١٧١٠٨)، وأبو داود في «سننه» (٤٥٩٣).

● **شرح الباب:**

قلت: قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، قال القرطبي في: «جامعه» (١٠/ ٧٩): «قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ يعني القرآن، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ في هذا الكتاب من الأحكام والوعد والوعيد بقولك وفعلك، فالرسول ﷺ مُبيّن عن اللَّه ﷻ ممَّا أجمله في كتابه من أحكام الصلاة والزكاة...، وغير ذلك ممَّا لم يُفصّله، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يتعظون» اهـ، وكذلك قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

٣٦- باب تأويل حديث رسول اللَّه ﷺ(١)

٣٤٨- عن ابن مسعود، أنه قال: «إذا حدَّثتم بالحديث عن رسول اللَّه ﷺ فظنّوا به الذي هو أهيأ، والذي هو أهدىٰ، والذي هو أتقىٰ».

٣٤٩- عن علي، قال: «إذا حدَّثتم شيئًا عن رسول اللَّه ﷺ فظنّوا به الذي هو أهدىٰ، والذي هو أتقىٰ، والذي هو أهيأ».

٣٥٠- عن أبي هريرة، قال: كان إذا حدَّث عن رسول اللَّه ﷺ يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النَّار**»(٢) فكان ابن عباس إذا حدَّث قال: إذا سمعتموني أحدِّث عن رسول اللَّه ﷺ فلم تجدوه في كتاب اللَّه، أو حسنًا عند النَّاس فاعلموا أني قد كذبتُ عليه».

٣٥١- عن سليمان الأحول، عن عكرمة، قال: «إنَّ أزهد النَّاس في عالم أهلُه».

❋ ❋ ❋

- **بيان الباب:**

(١) **قال ابن فارس في: «مقاييس اللغة» (١/ ١٦٢)**:

«تأويل الكلام وهو عاقبته، ما يؤول إليه، من آل يؤول، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣] يقول: ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم». اهـ.

- **وروىٰ ابن جرير الطبريّ في «تفسيره» (١٤٦٨٧)** عن ابن زيد قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣] قال: يأتي تحقيقه، وقرأ قول اللَّه تعالىٰ: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] قال: هذا تحقيقها، وقرأ قول اللَّه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] قال: ما يعلم حقيقته ومتىٰ يأتي إلّا اللَّه تعالىٰ».

قلت: فتأويل حديث رسول الله ﷺ: هو تفسيره، وفهمه، وإدراك معناه، إدراكًا صحيحًا؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، ولا يأتي التأويل الصحيح؛ إلّا ممّن هو مؤهل لذلك؛ بعلمه وفهمه وفقهه، ومِنْ هنا تُفهم آثارُ هذا الباب.

(٢) رواه البخاري (١٠٧) ومسلم (٣).

٣٧- باب مذاكرة العلم

٣٥٢- عن أبي سعيد الخدري، قال: «تذاكروا الحديث، فإنَّ الحديث، يهيج الحديث».

٣٥٣- عن عمرو، قال: قال لي طاوس: «اذهب بنا نجالس النَّاس».

٣٥٤- عن ابن عباس، قال: «تذاكروا هذا الحديث لا ينفلت منكم، فإنه ليس مثل القرآن مجموع محفوظ، وإنكم إنْ لم تذاكروا هذا الحديث ينفلت منكم، ولا يقولنَّ أحدُكم: حدثت أمس، فلا أحدَّث اليومَ، بل حدَّث أمس، ونتحدّث اليوم، ولتحدّث غدًا».

٣٥٥- قال ابن عباس: «ردّوا الحديث واستذكروه، فإنه إنْ لم تذكروه ذهب، ولا يقولنّ رجل لحديث قد حدثه: قد حدثته مرة، فإنه مَنْ كان سمعه يزداد به علمًا، ويَسْمَعُ مَنْ لم يَسْمَعْ».

٣٥٦- عن الأعمش، قال: «كان إسماعيل بن رجاء يجمع صيبان الكتَّاب يحدّثهم يتحّفظ بذاك».

٣٥٧- عن ابن عمر، قال: «إذا أراد أحدكم أن يروي حديثًا فليردده ثلاثًا».

٣٥٨- عن عبد اللَّه قال: «تذاكروا هذا الحديث فإنَّ حياته مذاكرته».

٣٥٩- عن عون، قال: قال عبد اللَّه لأصحابه حين قدموا عليه: «هل تجالسون؟ قالوا: ليس نترك ذاك. قال: فهل تزاورون؟ قالوا: نعم يا أبا عبد الرحمن، إنَّ الرجل منا ليفقد أخاه فمشي في طلبه إلىٰ أقصىٰ الكوفة حتىٰ يلقاه. قال: فإنكم لن تزالوا بخير ما فعلتم ذلك».

٣٦٠- عن الأوزاعي، عن الزهري، قال: «آفة العلم النسيان، وترك المذاكرة».

٣٦١- قال عبد اللَّه: «آفة الحديث النسيان».

٣٦٢- عن ابن بريدة، قال: قال علي: «تذاكروا هذا الحديث وتزاوروا، فإنكم إنْ لم تفعلوا يُدْرَس».

٣٨- باب اختلاف الفقهاء

٣٦٣- عن حميد، قال: قلت: لعمر بن عبد العزيز: «لو جمعت النَّاس علىٰ شيء؟ فقال: ما يسرني أنهم لم يختلفوا. قال: ثُمَّ كتب إلىٰ الآفاق أو إلىٰ الأمصار: ليقضي كلّ قوم بما اجتمع عليه فقهاؤهم».

٣٦٤- عن عون بن عبد اللَّه، قال: «ما أحب أنَّ أصحاب النَّبِيّ ﷺ لم يختلفوا، فإنهم لو اجتمعوا علىٰ شيء فتركه رجل ترك السُّنَّة، ولو اختلفوا فأخذ رجل بقول أحد أخذ بالسُّنَّة».

٣٦٥- عن طاوس، قال: «ربما رأىٰ ابن عباس الرأي ثُمَّ تركه».

٣٦٦- عن مروان بن الحكم، قال: قال لي عثمان بن عفان: «إنَّ عمر قال لي: إني قد رأيت في الجد رأيًا، فإن رأيتم أن تتّبعوه فاتّبعوه. قال عثمان: إن نتبع رأيك فإنه رشد، وإن نتبع رأي الشيخ قبلك فنعم ذوي الرأي كان. قال: وكان أبو بكر يجعله أبًا» [٣٣].

- **في فقه الخلاف:**

[٣٣] روىٰ البخاري في «صحيحه» (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦) قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثُمَّ أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثُمَّ أخطأ فله أجر**».

قال النوويّ في «شرح مسلم» (١٢/ ٣٧٣):

«باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

أجمع المسلمون علىٰ أنَّ هذا الحديث في حاكم عالم أهل للحكم، فإن أصاب فله أجران، أجر اجتهاده، وأجر إصابته، وإن أخطأ فله أجر باجتهاده، وفي الحديث محذوف تقديره: إذا أراد الحاكم فاجتهد، فأمَّا من ليس بأهل للحكم فلا يحل له الحكم، فإنْ حكم فلا أجر له؛ بل هو آثم ولا ينفذ حكمه، سواء وافق الحق أم لا؛ لأنَّ أصابته اتفاقية ليست صادرة عن أصل شرعي، فهو عاص في جميع أحكامه، وهي مردودة كلها، ولا يعذر في شيء من ذلك» اهـ.

قلت: القاعدة الكلية المجمع عليها: «**لا ينكر المختلف فيه ولكن ينكر المجمع عليه**»، =

= وقد صنفت في القاعدة كتابي pdf علىٰ موقعي: «**قاعدة لا ينكر المختلف فيه حدودها وضوابطها**»، وتتم هذه القاعدة بأختها: «**ليس كل خلاف معتبرًا إلَّا ما كان له حظ من النظر**»، وهذا النظر هو: الدليل والبيّنة والحجة والمحجة والبرهان، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

ودليل ذلك نقل الإجماع الذي ذكره ابن القيم في: «إعلام الموقعين» (١/ ١٤) قال:

«قال أبو عمر بن عبد البر وغيره من العلماء: أجمع النَّاس علىٰ أنَّ المقلد ليس معدودًا من أهل العلم، وأنَّ العلم معرفة الحق بدليله» اهـ.

قال ابن بطة العكبريّ في: «الإبانة الكبرىٰ» (٩- ١٢):

«ثُمَّ اختلفوا بعد اجماعهم علىٰ أصل الدين، واتفاقهم علىٰ شريعة المسلمين، اختلافًا لم يَصِرْ بهم إلىٰ فرقة ولا شتات ولا معاداة ولا تقاطع وتباغض، فاختلفوا في فروع الأحكام والنوافل التابعة للفرائض، فكان لهم وللمسلمين فيه مندوحة ونَفَسٌ وفُسْحة ورحمة، ولم يعب بعضهم علىٰ بعض ذلك، ولا أكفره ولا سبّه ولا لعنه، ولقد اختلف أصحاب رسول اللَّه ﷺ اختلافًا ظاهرًا علمه بعضهم من بعض، وهم القدوة والأئمة والحجّة، فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: إنَّ الجدّ يرث ما يرثه الأب ويحجب من يحجبه الأب، فخالفه علىٰ ذلك زيد بن ثابت، وخالفهما عليّ بن أبي طالب، وخالفهم ابن مسعود، وخالف ابن عباس جميع أصحاب رسول اللَّه ﷺ في مسائل من الفرائض [ومنها العول]، وكذلك اختلفوا في أبواب من العدة والطلاق [والخلع]، وفي الرهون، والديون، والوديعة، والعارية، وفي المسائل التي المصيب فيها محمود مأجور، والمجتهد فيها برأيه المعتمد للحق، وكذلك اختلف الفقهاء من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في فروع الأحكام، وأجمعوا علىٰ أصولها، فكلٌ احتج بآية من الكتاب تأوَّل باطنها، واحتج من خالفه بظاهرها أو بسنة رسول اللَّه ﷺ، كان صواب المصيب منها رحمة ورضوانًا، وخطؤه عفوًا وغفرانًا، لأنَّ الذي اختاره كل واحد منهم ليس بشريعة شرعها ولا سنة سنها، وإنَّما هو فرع اتفق هو من خالفه فيه علىٰ الأصل، كإجماعهم علىٰ وجوب غسل أعضاء الوضوء في الطهارة، كما سمَّاها اللَّه في القرآن، واختلافهم في المضمضة والاستنشاق. . . .» اهـ.

وأفرد الحافظ الفقيه أبو عمر بن عبد البر في كتابه: «جامع بيان العلم وفضله» الباب =

= **الرابع والخمسون «جامع بيان ما يلزم الناظر في اختلاف العلماء» (ص: ٣٤٣- ٣٤٥) المختصر، فقال منه بسنده:**

«١١٧٥- وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: «لقد نفع اللَّه تعالىٰ باختلاف أصحاب محمد ﷺ في أعمالهم، لا يعمل العامل بعمل رجل منهم؛ إلَّا رأىٰ أنَّه في سعة، ورأىٰ أنَّ خيرًا منه قد عمله».

١١٧٨- وعن القاسم قال: «لقد أعجبني قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ما أحب أنَّ أصحاب رسول اللَّه ﷺ لم يختلفوا؛ لأنَّه لو كان قولًا واحدًا، كان النَّاس في ضيق، وإنهم أئمة يُقتدىٰ بهم، ولو أخذ رجل بقول أحدهم كان في سعة».

قال أبو عمر: فهذا مذهب القاسم بن محمد ومن تابعه، وقال به قوم؛ ثانيهما- وأمَّا مالك والشافعي ومن سلك سبيلهما وهو قول الليث بن سعد والأوزاعي وأبي ثور وجماعة أهل النظر: أنَّ الاختلاف إذا تدافع فهو خطأ وصواب، والواجب عند اختلاف العلماء طلب الدليل من الكتاب والسُّنَّة والإجماع، والقياس علىٰ الأصول علىٰ الصّواب منها، وذلك لا يُعدم، فإن استوت الأدلة وجب الميل إلىٰ الأشبه بما ذكرنا من الكتاب والسُّنَّة، إذا لم يتبيّن ذلك وجب التوقف» اهـ.

قلت: وهذا القول الثاني علىٰ الراجح بالدليل، فإنَّ الراجح من قواعد أصل الفقه القاعدة «**هل كل مجتهد نصيب، أم المصيب واحد**» فالراجح أنَّ المصيب واحد، لأنَّ الحق واحد علمه من علمه وجهله من جهله؛ ودليلها الحديث السابق عن رسول اللَّه ﷺ: «**إذا حكم الحاكم اجتهد ثُمَّ أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثُمَّ أخطأ فله أجر**» واللَّه تعالىٰ أعلم.

* * *

٣٩- باب في العرض

٣٦٧- حدثنا عاصم الأحول قال: عرضت علىٰ الشعبيّ أحاديث الفقه فأجازها لي».

٣٦٨- ثنا سفيان، قال: قلت لعبد الرحمن بن القاسم: أسمعت أباك يحدّث عن عائشة «أنَّ رسول اللَّه ﷺ كان يقبّلها وهو صائم؟ قال: نعم»[(١)].

٣٦٩- حدثنا شعبة، قال: «كتب إليّ منصور بحديث، فلقيته فقلت: أَحُدِّثَ به عنك؟ قال: أو ليس إذا كتبت إليك فقد حدّثتك؟ قال: وسألت أيوب السختياني فقال مثل ذلك».

٣٧٠- عن معمر، عن الزهري، قال: «عرضت عليه كتابًا فقلت: أرْويه عنك؟ قال: ومن حدّثك به غيري؟!»

٣٧١- حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، قال: «عَرْضُ الكتاب والحديث سواء».

٣٧٢- حدثنا داود بن عطاء، قال: «كان زيد بن أسلم يرىٰ عَرْض الكتاب والحديث سواء، وكان ابن أبي ذئب يرىٰ ذلك» [٣٤].

- **معارضة الكتاب:**

[٣٤] قال أبو عمر بن عبد البر في: «جامع بيان العلم وفضله (ص: ٧٩) الباب التاسع عشر في معارضة الكتاب:

٢٣٥- عن يحيىٰ بن كثير قال: «الذي يكتب ولا يُعارض مثل الذي يدخل الخلاء ولا يستنجي».

٢٣٦- وعن معمر يقول: «لو عرض الكتاب مائة مرة ما كاد يسلم من أن يكون فيه سقط، أو قال: خطأ».

قلت: المعنىٰ المراد: لا ينبغي لكاتب يكتب مسألة أو جزءًا أو كتابًا أو مقالة ويخرجه =

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (١٩٢٨) ومسلم (١١٠٦).

= علىٰ النَّاس حتىٰ يراجعه، ويحققه، ويتقصيه، ويضبط حروفه وسياق الكلام والجمل والتدبّر في كل ما يريد نشره أو تعليم النَّاس به، مع تتبع المصنفات التي نقلت منها بحثك ومقارنتها إن استطعت بأكثر من طبعة، حتىٰ تصل إلىٰ المطلوب، كما يحدث لمن تحقق مخطوطة للنشر أو في رسالة جامعية، فلابد من وجود أكثر من نسخة، وهذه الأمور من الأهمية بمكان، حفظًا للدين، وبيانًا صحيحًا لمسائل الشريعة.

❊ ❊ ❊

٤٠- باب الرجل يفتي بشيء ثُمَّ يبلغه عن النَّبِيّ ﷺ فيرجع إلىٰ قول النَّبِيّ ﷺ

٣٧٣- عن الأعمش، قال: كان إبراهيم يقول: يقوم عن يساره، فحدّثته عن سميع الزيات، عن ابن عباس: «**أنَّ النَّبِيّ ﷺ أقامه عن يمينه، فأخذ به**»(١).

٣٧٤- عن أبيه المغيرة بن شعبة قال: نشد عمر النَّاس «أسمع من النَّبِيّ ﷺ أحد منكم في الجنين؟ فقام المغيرة بن شعبة فقال: قضىٰ فيه عبدًا أو أمة فنشد الناس -أيضًا- فقام المقضي له فقال: قضىٰ النَّبِيّ ﷺ لي به عبدًا أو أمة. فنشد النَّاس -أيضًا- فقام المقضي عليه، فقال: قضىٰ النَّبِيّ ﷺ علي غرة عبدًا أو أمة. فقلت: أتقضي عليَّ فيه فيما لا أكل ولا شرب ولا استهلّ ولا نطق، إن تُطلَّلُ فهو أحق ما يُطِلُّ، فهوىٰ النَّبِيّ ﷺ إليه بشيء معه، فقال: أشعر. فقال عمر: لولا ما بلغني من قضاء النَّبِيّ ﷺ لجعلته دية بين ديتين»(٢).

٣٧٥- أخبرنا سعيد بن عامر، قال: كان سلّام يذكر عن أيوب، قال: «إذا أردت أن تعرف خطأ معلمك فجالس غيره».

٤١- باب الرجل يفتي بالشيء ثُمَّ غيَّره

٣٧٦- عن الحكم بن مسعود، قال: أتينا عمر في المشركة فلم يشرك، ثُمَّ أتيناه العام المقبل فشرك. فقلنا له، فقال: «تلك علىٰ ما قضيناه وهذه علىٰ ما قضينا»(٣).

* * *

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (١١٧).

(٢) رواه أبو داود في «سننه» (٤٥٥٩) وابن ماجه (٢٦٤١)، وأخرجه مسلم في «صحيحه» (١٦٨٣).
قال ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ١٤): «**قال الشافعي قدس اللَّه روحه: «أجمع المسلمين علىٰ أنَّ من استبانت له سنة رسول اللَّه ﷺ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد من النَّاس**» اهـ.

(٣) رواه البيهقي في: «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ١٢٠).

٤٢- باب في إعظام العلم [٣٥]

٣٧٧- قال ابن منبه: «كان أهل العلم فيما مضىٰ يضنون بعلمهم عن أهل الدنيا، فيرغب أهلُ الدنيا في علمهم فيبذلون لهم دينهم، وإنَّ أهل العلم اليوم بذلوا علمهم لأهل الدنيا، فزهد أهلُ الدنيا في علمهم، فضنوا عليهم بدنياهم».

- **جعل اللَّه اجتهاد الفقهاء في الحوادث والنوازل في مدرج الوحي في زمان الرسل:**

[٣٥] قال الإمام أبو المظفر السمعاني في «قواطع الأدلة في الأصول» (١/ ١٧):

«أمَّا بعد: فإنِّي رأيت الفقه أصل العلوم وأشرفها، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] أمر اللَّه تعالىٰ بالتّفقه في الدّين، وجعله فرضًا علىٰ فرق النَّاس قاطبة؛ ليقوم طائفة من كل فرقة به، وينتصبوا في قومهم منصب الأنبياء في أممهم مذرين ومحذّرين، دعاة إلىٰ اللَّه تعالىٰ قائمين بدينه، يأتين سبيله، موضحين للخلق نهجه، فصار الفقهاء خلفاء الرّسل إنذارًا وتحذيرًا، وارثي علومهم قيامًا به وحملًا، سالكي طريقتهم بثًّا ونشرًا، وهذه مرتبة لا توجد لفرقة من الفرق، وناهيك بها من مرتبة؛ ولأنَّ علم الفقه علمٌ علىٰ منهج الازدياد؛ لأنَّه العلم بأحكام الحوادث، ولا حصر ولا حدّ للحوادث، ولا حصر ولا حد للعلم بأحكامها ومواجبها، وعلم الأصول في الديانات [يعني: علم المعتقد والتوحيد]، وإن كان علمًا شريفًا في نفسه وهو أصل الأصول، وقاعدة العلوم؛ ولكنّه علم محصور مبناه؛ لأنَّه معارف محصورة، أمر اللَّه -تبارك وتعالىٰ- بها، لا مزيد فيها ولا نقصان [لأنها مسائل لا اجتهاد فيها ولا اختلاف؛ لأنها مجمع عليها]، وأمَّا علم الفقه فعلم مستمر علىٰ ممرَّ الدّهور، وعلىٰ تقلب الأحوال والأطوار بالخلق، لا انقضاء وانقطاع له، **وقد جعل اللَّه تعالىٰ اجتهاد الفقهاء في الحوادث في مدرج الوحي في زمان الرسل صلوات اللَّه عليهم، فقد كان الوحي هو المطلوب في زمان الرّسل** عليهم السلام، **كشأن أحكام الحوادث وحملٌ الخلق عليها، فحين انقطع الوحي وانقضىٰ زمانه، وضع اللَّه -تبارك وتعالىٰ- الاجتهاد من الفقهاء في موضع الوحي، ليصدر منه بيان أحكام اللَّه تعالىٰ، ويحمل الخلق عليها قبولًا وعملًا، ولا مزيد علىٰ هذه المنقبة، ولا متجاوز عن هذه المرتبة:**

شاء وزاد اللَّهُ جنّته سُؤددا وذلك مجد بملأُ الحجر واليدا =

= نعم، وما يُشَبَّهُ الفقيهُ إلَّا يغوَّاص في بحر درٍّ؛ كلما غاص في بحر فطنته استخرج دررًا، وغيره يستخرج بالخراز، وطالب الزيادة في منهج الزيادة معان منصور وطالب الزيادة علىٰ ما لا يزيد عليه مُبْعد مخذول، واللَّه تعالىٰ يفتح عين بصيرة من أحب من عباده بِطَوْله وفضله، ويعمي عين من يشاء بقهره وعدله» اهـ.

* * *

[رسالة سلمة بن دينار أبي حازم القاضي الإمام القدوة [٣٦]]

٣٧٨- حدثنا الضحاك بن موسىٰ، قال: «مَرَّ سليمان بن عبد الملك بالمدينة، وهو يريد مكة فأقام بها أيامًا، فقال: هل بالمدينة أحد أدرك أحدًا من أصحاب النَّبِيّ ﷺ؟ فقالوا له: أبو حازم، فأرسل إليه فلمَّا دخل عليه قال له: يا أبا حازم، ما هذا الجفاء؟ قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين وأي جفاء رأيت مني؟ قال: أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني؟

---

[٣٦] أبو حازم هو سلمة بن دينار التابعيّ الأعرج الأفزر التمَّار المدني القاضي مولىٰ الأسود بن سفيان ثقة عابد من الطبقة الخامسة مات في خلافة المنصور، قال أبو نعيم فيه: «ومنهم ذوالهم العازم، والخوف اللازم سلمة بن دينار أبو حازم، كان للغوامض فاتقًا، وللعوارض رامقًا، وبمعبوده سبحانه عمن سواه واثقًا»، وقال عليه الذهبيّ: «الإمام القدوة الواعظ شيخ المدينة النبويّة القاصّ الزاهد، وثَّقه ابن معين، وأحمد وأبو حاتم، وقال ابن خزيمة ثقة لم يكن في زمانه مثله.

روىٰ ابن عيينة عن أبي حازم قال:

«اشتدّت مؤنة الدين والدّنيا، قيل: كيف؟ قال: أمَّا الدين فلا تجد عليه أعوانًا، وأمَّا الدنيا فلا تمد يدك إلىٰ شيء منها إلَّا وجدت فاجرًا سبقك إليها».

وروىٰ يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال:

«ما أحببت أن يكون معك في الآخرة، فاتركه اليوم، وانظر كل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه ثُمَّ لا يضرّك متىٰ متَّ»، وروىٰ محمد بن إسماعيل الصنعاني عن ابن عُيينَة، قال أبو حازم لجلسائه وحلف لهم: «لقد رضيت منكم أنْ يُبقي أحدكم علىٰ دينه، كما يُبقي علىٰ نعله».

[«حلية الأولياء» لأبي نعيم ترجمة (٢٤٠) (٣/ ٢٢٧)، «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٤٩-٣٥٤) ترجمة (٨٥٥)، «تقريب التهذيب» لابن حجر ترجمة (٢٥٠٢) توفي سنة (١٣٣، أو ١٣٥، أو ١٤٠هـ) علىٰ اختلاف في سنة الوفاة.

وهذا الأثر الكبير رواه أبو نعيم في: «حلية الأولياء» (٣٩٢٩).

قال: يا أمير المؤمنين أعيذك باللَّه أن تقول ما لم يكن، ما عرفتني قبل هذا اليوم، ولا أنا رأيتك، قال: فالتفت سليمان إلىٰ محمد بن شهاب الزهري، فقال: أصاب الشيخ وأخطأت، قال سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم أخربتم الآخرة وعمّرتم الدنيا، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلىٰ الخراب.

قال: أصبت يا أبا حازم، فكيف القدوم غدًا علىٰ اللَّه، قال: أمَّا المحسن فكالغائب يقدم علىٰ أهله، وأمَّا المسيء فكالآبق يقدم علىٰ مولاه، فبكىٰ سليمان وقال: ليت شعري ما لنا عند اللَّه.

قال: أعرض عملك علىٰ كتاب اللَّه. قال: وأي مكان أجده. قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤]، قال سليمان: فأين رحمة اللَّه يا أبا حازم؟. قال أبو حازم: رحمة اللَّه قريب من المحسنين. قال له سليمان: يا أبا حازم فأي عباد اللَّه أكرم؟ قال: أولو المروءة والنهي، قال له سليمان: فأي الأعمال أفضل؟ قال: أبو حازم: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم. قال سليمان: فأي الدعاء أسمع؟ قال أبو حازم: دعاء المُحْسَنِ إليه للمحسن، قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: للسائل البائس وجهد المقل ليس فيها مَنّ ولا أذىٰ. قال: فأي القول أعدل؟ قال: قول الحق عند من تخافه أو ترجوه، قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: رجل عمل بطاعة اللَّه ودلَّ النَّاس عليها، قال: فأي المؤمنين أحمق؟ قال: رجل انحطّ في هوىٰ أخيه، وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره.

قال له سليمان: أصبت، فما تقول فيما نحن فيه؟ قال: يا أمير المؤمنين أو تعفني؟ قال له سليمان: لا، ولكن نصيحة تُلْقيها إليّ، قال: يا أمير المؤمنين إنَّ آباءك قهروا النَّاس بالسيف، وأخذوا هذا الملك عنوة علىٰ غير مشورة من المسلمين ولا رضا لهم، حتىٰ قتلوا منهم مقتلة عظيمة فقد ارتحلوا عنها فلو شعرت ما قالوه وما قيل لهم.

فقال له رجل من جلسائه: بئس ما قلت يا أبا حازم، قال أبو حازم: كذبت إنَّ اللَّه أخذ ميثاق العلماء﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. قال له سليمان:

فكيف لنا أن نصلح؟ قال: تدعون التصلف[1]، وتمسكون بالمروءة، وتقسّمون بالسوية. قال له سليمان: كيف لنا بالمأخذ به، قال أبو حازم: تأخذه من حلّه وتضعه في أهله.

قال له سليمان: هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك؟ قال: أعوذ باللَّه، قال له سليمان: ولِمَ ذاك؟ قال: أخشىٰ أن أركن إليكم شيئًا قليلًا فيذيقني اللَّه ضعف الحياة وضعف الممات، قال له سليمان: ارفع إلينا حوائجك، قال: تنجيني من النَّار وتدخلني الجنَّة؟

قال سليمان: ليس ذاك إليَّ، قال أبو حازم: فما لي إليك حاجة غيرها، قال: فادع لي، قال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلىٰ ما تحب وترضىٰ.

قال له سليمان: قط؟ قال أبو حازم: قد أوجزت وأكثرت إن كنت من أهله وإن لم تكن من أهله فما ينفعني أن أرمي عن قوس ليس لها وتر، قال له سليمان: أوصني، قال: سأوصيك وأوجز: عظّم ربك ونزّهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك.

فلمَّا خرج من عنده بعث إليه بمائة دينار وكتب إليه: أن أنفقها ولك عندي مثلها كثير، قال: فردّها عليه وكتب إليه: يا أمير المؤمنين أعيذك باللَّه أن يكون سؤالك إياي هزلًا أو ردي عليك بذلًا، وما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسي، وكتب إليه أن موسىٰ بن عمران: لمَّا ورد ماء مدين وجد عليها رعاء يسقون ووجد من دونهم جاريتين تذودان، فسألهما فقالتا: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣-٢٤]، وذلك أنه كان جائعًا خائفًا لا يأمن فسأل ربه ولم يسأل الناس، فلم يفطن الرعاء وفطنت الجاريتان، فلمَّا رجعتا إلىٰ أبيهما أخبرتاه بالقصة وبقوله، فقال أبوهما -وهو شعيب- هذا رجل جائع، فقال لأحداهما: فادعيه، فلمَّا أتته عظمته

(١) الصلف: التكبّر والتفاخر «المعجم الوجيز» (ص٣٦٨).

وغطت وجهها وقالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]، فشق علىٰ موسىٰ حين ذكرت أجر ما سقيت لنا، ولم يجد بدًا من أن يتبعها إنه كان بين الجبال جائعًا مستوحشًا، فلمَّا تبعها هبت الريح فجعلت تصفق ثيابها علىٰ ظهرها فتصف له عجيزتها، وكانت ذات عجز، وجعل موسىٰ يعرض مرة ويغض أخرىٰ، فلمَّا عيل صبره ناداها: يا أمة اللَّه كوني خلفي واريني السمت بقولك ذا، فلمَّا دخل علىٰ شعيب، إذ هو بالعشاء مهيئًا فقال له شعيب: اجلس يا شاب فتعش.

فقال له موسىٰ: أعوذ باللَّه، فقال له شعيب: لم، أما أنت جائع.

قال: بلىٰ ولكني أخاف أن يكون هذا عِوَضًا لما سقيت لهما، وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئًا من ديننا بملء الأرض ذهبًا، فقال له شعيب: لا يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام، فجلس موسىٰ فأكل.

إن كانت هذه المائة دينار عوضًا لما حدّثْتُ فالميتة والدم ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحل من هذه، وإن كان لحق في بيت المال فلي فيها نظراء، فإن ساويت بيننا وإلَّا فليس لي فيها حاجة»(١).

* * *

- **تعليق على الرسالة:**

(١) رواه أبو نعيم في: «حلية الأولياء» (٣٩٢٩).

قلت: هذا الأثر الطويل الجليل الخطير، هو حوار جليّ بين مسؤول وغنيّ، غناه بدينه، وصلاح قلبه، ونضج عقله، وإدراك وَعْيِه، وبصيرة علمه، بما أُوتي من الفيصل والفرقان، بين متاع الآخرة ومُتع الدنيا وشهوات الشيطان، وبين الحق والباطل، والرشاد والغيّ، والهدىٰ والضلال، والسنة والبدعة، والهفوات واللذات والعصيان والإيمان، بين الصدع بالحق: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] مع فقه النصيحة والإنكار، فإن النّصيحة علىٰ الملأ فضيحة كما ثبت عن السلف الصالحين.

روىٰ مسلم في «صحيحه» (٢٩٦٥) قال ﷺ: «**إن اللَّه يحب العبد التقيّ الغنيّ الخفيّ**»، ومن يُرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين.

[رسالة إلىٰ طالب العلم]

٣٧٩- أخبرنا زيد العمي، عن بعض الفقهاء أنه قال: «يا صاحب العلم اعمل بعلمك، واعط فَضْل مالك، واحبس الفضل من قولك إلَّا بشيء من الحديث ينفعك عند ربك، يا صاحب العلم إنَّ الذي علمت ثُمَّ لم تعمل به قاطع حجتك ومعذرتك عند ربك إذا لقيته.

يا صاحب العلم إنَّ الذي أمرت به من طاعة اللَّه ليشغلك عمَّا نهيت عنه من معصية اللَّه، يا صاحب العلم لا تكوننّ قويًا في عمل غيرك ضعيفًا في عمل نفسك. يا صاحب العلم لا يشغلنّك الذي لغيرك عن الذي لك، يا صاحب العلم عظّم العلماء وزاحمهم واستمع منهم، ودع منازعتهم، يا صاحب العلم عظّم العلماء لعلمهم وصغّر الجهال لجهلهم، ولا تباعدهم، وقرّبهم وعلّمهم، يا صاحب العلم لا تحدّث بحديث في مجلس حتىٰ تفهمه، ولا تجب أمرأً في قوله حتىٰ تعلم ما قال لك، يا صاحب العلم لا تغترَّ باللَّه ولا تغترّ بالناس، فإن الغِرَّة باللَّه ترك أمره، والغِرَّة بالناس اتباع هواهم، واحذر من اللَّه ما حذَّرك من نفسه، واحذر من الناس فتنتهم.

يا صاحب العلم إنه لا يكمل ضوء النهار إلَّا بالشمس، كذلك لا تكمل الحكمة إلَّا بطاعة اللَّه، يا صاحب العلم إنه لا يصلح الزرع إلَّا بالماء والتراب، كذلك لا يصلح الإيمان إلَّا بالعلم والعمل، يا صاحب العلم كلّ مسافر متزودّ وَسَيَجِدُ إذا احتاج إلىٰ زاد ما تزوّد، وكذلك سيجد كل عامل إذا ما احتاج إلىٰ عمله في الآخرة ما عمل في الدنيا.

يا صاحب العلم إذا أراد اللَّه أن يخصّك علىٰ عبادته، فاعلم أنه إنَّما أراد أن يبين لك كرامتك عليه، فلا تحولنَّ إلىٰ غيره فترجع من كرامته إلىٰ هوانه، يا صاحب العلم إنك إنْ تنقل الحجارة أو الحديد أهون عليك من أن تحدّث من لا يقبل حديثك، ومثل الذي يحدث من لا يعقل حديثه كمثل الذي ينادي الميت، ويضع المائدة لأهل القبور».

* * *

٤٣- رسالة عباد بن عباد الخواص الشامي [١]

٣٨٠- عن عباد بن عباد الخواص الشامي أبو عتبة: قال: «أمَّا بعد: اعقلوا والعقل نعمة، فربّ ذي عَقْلٍ قد شغل قلبه بالتعمّق فيما هو عليه ضرر عن الانتفاع بما يحتاج إليه، حتىٰ صار عن ذلك ساهيًا، ومن فضل عقل المرء ترك النظر فيما لا نظر فيه؛ حتىٰ يكون فضل عقله وبالًا عليه في ترك مناقشة من هو دونه في الأعمال الصالحة، أو رجل شغل قلبه ببدعة قلّد فيها دينه رجالًا دون أصحاب رسول اللَّه ﷺ، أو اكتفىٰ برأيه فيما لا يرىٰ الهدىٰ إلَّا فيها، ولا يرىٰ الضلالة إلَّا بتركها؛ يزعم أنه أخذها من القرآن، وهو يدعو إلىٰ فراق القرآن، أفما كان للقرآن حَمَلة قبله وقبل أصحابه يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه؟ وكانوا منه علىٰ منار أوضح الطريق، وكان القرآن إمام رسول اللَّه ﷺ، وكان رسول اللَّه ﷺ إمامًا لأصحابه، وكان أصحابه أئمة لمن بعدهم، رجال معروفون منسوبون في البلدان متفقون في الردّ علىٰ أصحاب الأهواء، مع ما كان بينهم من الاختلاف وتسكّع أصحاب الأهواء برأيهم في سبل مختلفة جائرة عن القصد، مفارقة للصراط المستقيم، فتوهت بهم أدلاؤهم في مهامه مضلّة فأمعنوا فيها متعسّفين في تيههم، كلمَّا أحدث لهم الشيطان بدعة في ضلالتهم انتقلوا منها إلىٰ غيرها، لأنهم لم يطلبوا أثر السابقين ولم يقتدوا بالمهاجرين، وقد ذكر عن عمر أنه قال لزياد: هل تدري ما يهدم الإسلام؟ زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلّون.

اتقوا اللَّه وما حدث في قرائكم وأهل مساجدكم من الغيبة والنميمة والمشي بين النَّاس بوجهين ولسانين، وقد ذُكر: أنَّ من كان ذا وجهين في الدنيا كان ذا وجهين في النار [٣٧]، يلقاك صاحب الغيبة فيغتاب عندك من يرىٰ أنك تحب

---

[٣٧] روىٰ ابن بطة العكبري (١٥٩)- عن سلام بن مسكين قال: =

---

(١) قال ابن حجر في: «تهذيب التهذيب» (٣/ ٦٧) رقم (٣٥٣٧): «عباد بن عبَّاد الرملي الأرسوفي أبو عتبة الخَوَّاص، قال عثمان الدارمي عن ابن معين: ثقة، وقال العجلِّي: ثقة رجل صالح، وقال أبو حاتم: من العُبَّاد، وقال يعقوب بن سفيان: من الزهَّاد وكان ثقة» اهـ.

غيبته، ويخالفك إلىٰ صاحبك فيأتيه عنك بمثله، فإذا هو قد أصاب عند كل واحد منكما حاجته وخفي علىٰ كل واحد منكما ما يأتي عند صاحبه.

حضوره عند من حضره حضور الإخوان وغيبته عند من غاب عنه غيبة الأعداء، من حضر منهم كانت له الأثرة، ومن غاب منهم لم تكن له حرمة، يغبن من حضره بالتزكية، ويغتاب من غاب عنه بالغيبة، فيا لعباد اللَّه أمَا في القوم من رشيد ولا مصلح يقمع هذا عن مكيدته ويردّه عن عرض أخيه المسلم، بل عرف هواهم فيما مشىٰ به إليهم فاستمكن منهم وأمكنوه من حاجته، فأكل بدينه مع أديانهم.

فاللَّه اللَّه ذبوا عن حرم أغيابكم وكفّوا ألسنتكم عنهم، إلَّا من خير، وناصحوا اللَّه في أمتكم إذ كنتم حملة الكتاب والسُّنَّة، فإنَّ الكتاب لا ينطق حتىٰ يُنْطَقَ به، وإنَّ السُّنَّة لا تعمل حتىٰ يُعْمَلَ بها، فمتىٰ يتعلم الجاهل إذا سكت العالم فلم ينكر ما ظهر ولم يأمر بما ترك؟ وقد ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، اتقوا اللَّه فإنكم في زمان رقَّ فيه الورع، وقَلَّ فيه الخشوع، وحمل العلم مفسدوه، فأحبوا أن يعرفوا بحمله، وكرهوا أن يعرفوا بإضاعته، فنطقوا فيه بالهوىٰ لمَّا أدخلوا فيه من الخطأ، وحرَّفوا الكلم عمَّا تركوا من الحق إلىٰ ما عملوا به من باطل، فذنوبهم ذنوب لا يستغفر منها، وتقصيرهم

= كان قتادة إذا تلا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠] قال: «**إنكم قد قلتم ربنا اللَّه، فاستقيموا علىٰ أمر اللَّه وطاعته وسنة نيّتكم وامضوا حيث تؤمرون، فالاستقامة أن تلبث علىٰ الإسلام والطريقة الصالحة ثُمَّ لا تمرق منها ولا تخالفها، ولا تشذ عن السُّنَّة، ولا تخرج عنها، فإنَّ أهل المروق من الإسلام منقطع بهم يوم القيامة، ثُمَّ إيَّاكم وتصرَّف الأخلاق، واجعلوا الوجه واحدًا والدعوة واحدة، فإنَّه بلغنا أنَّه من كان ذا وجهين وذا لسانين؛ كان له يوم القيامة لسانان من نار**».

فأتبع العكبري هذا بأثر آخر (١٦٠، ١٦١) عن عثمان بن حاضر الأزديِّ قال: دخلت علىٰ ابن عباس فقلت: أوصني، فقال: «عليك بالاستقامة، اتبع ولا تبتدع»، وفي رواية: «اتبع الأمر الأول ولا تبتدع».

تقصير لا يعترف به، كيف يهتدي المستدل المسترشد إذا كان الدليل حائرًا؟! أحبوا الدنيا وكرهوا منزلة أهلها فشاركوهم في العيش وزايلوهم بالقول، ودافعوا بالقول عن أنفسهم أنْ ينسبوا إلىٰ عملهم فلم يتبرؤوا ممَّا انتفوا منه، ولم يدخلوا فيما نسبوا إليه أنفسهم، لأنَّ العامل بالحق متكلِّم، وإن سكت، وقد ذكر أنَّ اللَّه تعالىٰ يقول: إني لست كل كلام الحكيم أتقبل ولكن أنظر إلىٰ همه وهواه، فإن كان همه وهواه لي جعلت صمته حمدًا ووقارًا، وإنْ لم يتكلّم. وقال اللَّه تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾ لم يعملوا بها ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجمعة: ٥] كتبًا وقال: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: ٦٣] قال: العمل بما فيه، ولا تكتفوا من السُّنَّة بانتحالها بالقول دون العمل بها، فإن انتحال السُّنَّة دون العمل بها كذب بالقول مع إضاعة العلم، ولا تعيبوا بالبدع تزيُّنًا بعيبها، فإن فساد أهل البدع ليس بزائد في صلاحكم، ولا تعيبوها بغيًا علىٰ أهلها، فإنَّ البغي من فساد أنفسكم، وليس ينبغي للمطبب أن يداوي المرضىٰ بما يبرئهم ويمرضه، فإنه إذا مرض اشتغل بمرضه عن مداواتهم، ولكن ينبغي أن يلتمس لنفسه الصحة ليقوىٰ به علىٰ علاج المرضىٰ، فليكن أمركم فيما تنكرون علىٰ إخوانكم نظرًا منكم لأنفسكم، ونصيحة منكم لربكم وشفقة منكم علىٰ إخوانكم، وأن تكونوا مع ذلك بعيوب أنفسكم أعنىٰ منكم بعيوب غيركم، وأن يستطعم بعضكم بعضًا النصيحة وأن يحظىٰ عندكم مَنْ بَذَلها لكم وقبلها منكم، وقد قال عمر بن الخطاب -رضي اللَّه تعالىٰ عنه-: رحم اللَّه مَنْ أهدىٰ إليَّ عيوبي.

تحبون أن تقولوا فيُحْتَمَل لكم، وإن قيل مثل الذي قلتم غضبتم، تجدون علىٰ النَّاس فيما تنكرون من أمورهم وتأتون مثل ذلك، أفلا تحبون أن يؤخذ عليكم؟ اتّهموا رأيكم ورأي أهل زمانكم، وتثبَتوا قبل أن تكلموا، وتعلّموا قبل أن تعملوا، فإنه يأتي زمان يشتبه فيه الحق والباطل، ويكون المعروف فيه منكرًا والمنكر فيه معروفًا، فمنكم مقترب إلىٰ اللَّه بما يباعده، ومتحبّب إليه بما يبغضه، عليه قال اللَّه تعالىٰ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ﴾ [فاطر: ٨] الآية. فعليكم بالوقوف عند الشبهات حتىٰ يبرز لكم واضح الحق بالبينة، فإن الداخل فيما لا يعلم بغير علم آثم، ومن نظر للَّه نظر اللَّه له.

عليكم بالقرآن فأتّموا به وأمّوا به، وعليكم بطلب أثر الماضين فيه، ولو أن الأحبار والرهبان لم يتقوا زوال مراتبهم، وفساد منزلتهم بإقامة الكتاب وتبيانه ما حرّفوه ولا كتموه، ولكنهم، لما خالفوا الكتاب بأعمالهم التمسوا أن يخدعوا قومهم عمَّا صنعوا مخافة أن تفسد منازلهم وأن يتبيّن للنَّاس فسادهم فحرفوا الكتاب بالتفسير، وما لم يستطيعوا تحريفه كتموه فسكتوا عن صنيع أنفسهم إبقاءً علىٰ منازلهم، وسكتوا عمَّا صنع قومهم مصانعة لهم، وقد ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، بل مالئوا عليه ورققوا لهم فيه» [٣٨].

* * *

- **تعليق على الرسالة:**

[٣٨] قال أبو عبد اللَّه القرطبيّ في: «جامعه» (٤/ ٢٣٣) عند ذكر الآية الأخيرة هنا.

«فالآية توبيخ لليهود، ثم مع ذلك هو خبر عام لهم ولغيرهم؛ قال الحسن البصري: «هي في كلّ من أُوتي علم شيْء من الكتاب، فمن علم شيئًا فليعلّمه، وإيّاكم وكتمان العلم؛ فإنّه هلكة»، وقال محمد بن كعب القرظيّ: «لا يحل لعالم أنْ يسكت علىٰ علمه، ولا لجاهل أن يسكت علىٰ جهله، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وقال أبو هريرة: «لولا ما أخذ اللَّه علىٰ أهل الكتاب ما حدّثتكم بشيء»، ثم تلا هذه الآية، وقال علي بن أبي طالب: «ما أخذ اللَّه علىٰ الجاهلين أن يتعلّموا؛ حتى أخذ علىٰ العلماء أن يُعلّموا». اهـ

قلت: هذا بفضل اللَّه ومنه والذي لا يتم الصالحات إلَّا به سبحانه آخر ما كان من مقدمة سنن الدارمي، وآخر أثر فيها، ورسالة عباد الخوَّاص إلىٰ الأمة، وهي ختامها المسك، إنذارًا وتعليمًا وتحذيرًا، وبلاغًا لمن يهمه الأمر، وبقي من الكتاب خاتمته وفيها.

خاتمة المُنْتَقى وخلاصة المُرْتَضَى

صلاح الدنيا والدين في عالم ربّانيّ عامل معلم يخشى اللَّه ويَتّقه متين

روىٰ الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في: «حلية الأولياء» (١٣٨٠٣) عن أبي يعقوب إسحاق بن راهوية رَحِمَهُ اللَّهُ: أنَّ رجلًا سأله: من السَّواد الأعظم؟ فقال:

«محمد بن أسلم ومن تبعه، لو سألت الجهَّال: من السَّواد الأعظم؟ قالوا: جماعة من النَّاس، ولا يعلمون أنَّ الجماعة: عالم مستمسك بأثر النَّبِيّ ﷺ وطريقهِ، فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة، ومن خالفه فيه ترك الجماعة، لم أسمع عالمًا منذ خمسين سنة أعلمَ من محمد بن أسلم، . . . . ، نظر أحمد بن حنبل في كتاب «الرَّد علىٰ الجهمية» الذي وَضَعَهُ محمد بن أسلم، فتعجّب منه ثُمَّ قال: يا أبا يعقوب: رأيت عيناك مثل محمد؟!

- **قال محمد بن أسلم**: «أصل الإسلام في هذه الفرائض، وهذه الفرائض في حرفين[(١)]: ما قال اللَّه ورسوله افعل فهو فريضة ينبغي أن يُفعل، وما قاله اللَّه ورسوله: لا تفعل، فينبغي أن ينتهىٰ عنه، فتركه فريضة، وهذا في القرآن، وفي فريضة النَّبِيّ ﷺ: حديث عبد اللَّه بن مسعود قال: «خط رسول اللَّه ﷺ خطًّا فقال: «**هذا سبيل اللَّه**»، ثُمَّ خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثُمَّ قال: «**هذه سُبُلٌ علىٰ كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه**» ثُمَّ قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣][(٢)] وحدَّث عبد اللَّه بن عمرو عن النَّبِيّ ﷺ قال: «**إنَّ نبي إسرائيل افترقوا علىٰ اثنتين وسبعين ملّه، وأمّتي تفترق علىٰ ثلاث وسبعين، كلها في النَّار إلَّا واحدة**» قالوا يا رسول اللَّه: من هم؟ قال: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[(٣)]. =

---

(١) معنىٰ حرفين: أصلين وركنين عظيمين.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤١٤٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٤١) وقال: صحيح الإسناد ولم يُخرّجاه، ووافقه الذهبيّ، وصححه ابن حبَّان في «صحيحه» (٦، ٧) وصححه أحمد شاكر في المسند، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١٦، ١٧) وحسنه الألباني في تحقيقه.

(٣) رواه الترمذي في «سننه» (٢٦٤١)، وقال حديث حسن غريب، والحاكم في «المستدرك» (٤٤٤)، وقال ابن تيمية في: «مجموع الفتاوىٰ»: «الحديث صحيح مشهور»، والطبراني في «الأوسط» (٢٨٨٦).

= فرجع الحديث إلىٰ واحد، والسبيل الذي قال في حديث ابن مسعود، والذي قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**» فدين اللَّه في سبيل واحد، فكل عمل أعمله أعرضه علىٰ هذين الحديثين، فما وافقهما عملته، وما خالفهما تركته، ولو أنَّ أهل العلم فعلوا لكانوا علىٰ أثر النَّبِيّ ﷺ».

وروىٰ اللالكائي في: «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (١٦٠) عن عمرو بن ميمون قال:

«قدم علينا معاذ بن جبل علىٰ عهد رسول اللَّه ﷺ، فوقع حبّه في قلبي فلزمته حتىٰ واريته في التّراب بالشّام، ثُمَّ لزمت أفقه النَّاس بعده عبد اللَّه بن مسعود، فذكر يومًا عنده تأخير الصلاة عن وقتها، فقال: «**صلّوها في بيوتكم، واجعلوا صلاتكم معهم سبحة**» قال عمرو بن ميمون: فقيل لعبد اللَّه بن مسعود: وكيف لنا بالجماعة؟! فقال لي: **إنَّ جمهور الجماعة هي التي تفارق الجماعة؛ إنَّما الجماعة: ما وافق طاعة اللَّه وإن كنت وحدك**».

إجماع في المسألة

قال ابن القيم في: «زاد المعاد في هدي خير العباد» (١/ ٧- ٨):

«فالجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين، فجهاد النفس أربع مراتب أيضًا:

إحداها: أن يجاهدها علىٰ تعلُّم الهدىٰ ودين الحقّ الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلَّا به، ومتىٰ فاتها علمُه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها علىٰ العمل به بعد علمه، وإلَّا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرّها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها علىٰ الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلَّا كان من الذين يكتمون ما أنزل اللَّه من الهدىٰ والبيّنات، ولا ينفعه علمه ولا ينجّيه من عذاب اللَّه.

الرابعة: أن يجاهدها علىٰ الصبر علىٰ مشاقّ الدعوة إلىٰ اللَّه وأذىٰ الخلق، ويتحمّل ذلك كله للَّه، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الرَّبانيين.

- **فإنَّ السلف مجمعون علىٰ أنَّ العَالِمَ لا يستحقّ إن يُسمَّىٰ ربَّانيًّا حتىٰ يعرف الحق، ويعمل به، ويعلمه، فمن علم وعمل وعلَّم فذاك يُدعىٰ عظيمًا في ملكوت السماوات**» اهـ. =

= • **روىٰ الإمام أبو عبد اللَّه محمد بن نصر المروزيّ (ت ٢٩٤هـ) في كتابه: «السُّنَّة» (٩٥) عن خارجة بن عبيد اللَّه بن عمر العمري قال:**

«كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز عندنا، فكُنَّا نؤذيه، فلمَّا استخلف أبوه عمر بن عبد العزيز وهو ابن تسع عشرة سنة، وأبوه عمر يروّض النَّاس علىٰ الكتاب والسُّنَّة، وقد قطع بذلك؛ فهو يداريهم كيف يصنع، فقال له ابنه عبد الملك حين قدم عليه: يا أمير المؤمنين، ألا تمضي كتاب اللَّه وسنة نبيّه؟ ثُمَّ واللَّه ما أبالي أن تغلي بي وبك القدور؟ فقال له أبو عمر بن عبد العزيز: «يا بنيّ؛ إنِّي أروِّض النَّاس رياضة الصّعب، أخرج الباب من السُّنَّة فأضع الباب من الطمع، فإن نفروا للسُّنَّة سكنوا للطمع، ولو عمّرت خمسين سنة لظننت أنّي لا أبلغ فيهم كل الذي أرُيد، فإنْ أعش أبلغ حاجتي، وإن متّ فاللَّه أعلم بنيّتي».

- **لماذا يفرّ العلماء الربَّانيون من النَّاس إلى رءُوس الجبال؟**

وروىٰ المروزي في «السُّنَّة» (٦٣، ١٠٩) كلاهما نفس الأثر عن أبي عطاء اليحبوري قال: قال عبادة بن الصامت ﷺ: «يا أبا عطاء، كيف تصنعون إذا فرَّ قرَّاؤكم منكم حتىٰ يصيروا إلىٰ رءُوس الجبال مع الوحش؟! قال: قلت: ولم يفعلون ذلك؟! قال: خشية أن تقتلوهم، قال: قلت: سبحان اللَّه! أنقتلهم وكتاب اللَّه بين أظهرنا نقرؤه؟ قال عبادة: ثكلت أبا عطاء أمُّه! ألم ترث اليهود التوراة ثُمَّ ضلوا عنها وتركونها؟ ألم ترث النَّصارىٰ الإنجيل ثُمَّ ضلّوا عنه وتركوه؟ إنَّما هي السنن يتبع بعضها بعضًا، وإنّه واللَّه، ما من شيْء كان إلَّا سيكون فيكم».

- **إنَّ هذا القرآن طرفه بيد اللَّه وطرفه بأيديكم فتمسكوا به**

• روىٰ الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٨٨) رقم (٤٩١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٦٢٨) كتاب فضائل القرآن باب في التمسك بالقرآن، وقال الهيثميّ في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٩): «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح»، وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٦٠، ٦١) وقال: رواه الطبراني في الكبير وإسناده جيد، عن أبي شريح الخزاعيّ قال: خرج علينا رسول اللَّه ﷺ فقال: «**أبشروا، أبشروا، أليس تشهدون أن لا إله إلَّا اللَّه وأني رسول اللَّه، وأنْ القرآن جاء من عند اللَّه؟**» قلنا: بلىٰ، قال: «**فإنَّ هذا القرآن سبب، طرفه بيد اللَّه، وطرفه بأيديكم، فتمسّكوا به؛ فإنّكم لن تضلوا،** =

= ولن تهلكوا بعده أبدًا».

قلت: قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]، وإمساك الشيء: التعلّق به وحفظه وفهمه وتدبره والعمل به، وهذا يعني التكرير والتكثير للتمسك بكتاب اللَّه وبدينه، والدين يحتاج إلىٰ الملازمة والتكرير لفعل ذلك، وهذا التمسك بهذه الصفات يوصلك إلىٰ الصراط المستقيم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، فلا يقتصر التمسك علىٰ حفظه وتلاوته بدون عمل، قال كعب بن زهير:

فما تمسَّكُ بالعهد الذي زعمت ... إلا كما تمسُك الماءَ الغرابيلُ

فجاء به علىٰ طبعه يُذمّ بكثرة نقض العهد.

وعليه فالتمسك بالقرآن علمًا وعملًا، فيعملون بما فيه من الأحكام والأخبار التي عليها أشرف العلوم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟ [الأنبياء: ١٠]، ويعملون بما فيها من الأوامر التي هي قرّة العيون وسرور القلوب، وأفراح الأرواح، وصلاح الدنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]؛ وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦] فهذا القرآن يستضاء بنوره في ظلمات الجهالة وعماية الضلالة، فهو كتاب مبين بكل ما يحتاج الخلق إليه من أمور دينهم ودنياهم من العلم باللَّه، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ومن العلم بأحكامه الشرعية وأحكامه الجزائيّة، وهذا القرآن الحكيم يهتدي به من اجتهد وحرص علىٰ بلوغ مرضاة اللَّه، وصار قصده حسنًا سبل السلام، التي يسلم صاحبها من العذاب، وتوصله إلىٰ دار السلام، وهو العلم بالحق والعمل به إجمالًا وتفصيلًا فيخرجهم من ظلمات الكفر والبدعة والمعصية والفسوق والجهل والغفلة، إلىٰ نور الإيمان والسُّنَّة والطاعة والعلم والذّكر، وكل هذه الهداية بإذن اللَّه اللطيف الخبير، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فاللَّه هو الذي يبصر بنوره ذو العَمَاية، ويرشد بهداه ذو الغواية، وهو الظاهر الذي به كل ظهور، والظاهر في نفسه، المُظهر لغيره يسمَّىٰ نورًا، والنور من صفات اللَّه ﷻ، وقوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ =

= كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٠]؛ أي: مثل نور هداه في قلب المؤمن كمشكاة فيها مصباح، والنور الضياء، والنور: ضد الظلمة، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ إلىٰ أن قال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وهذا النور هو القرآن.

[ابن منظور في: «لسان العرب» (١٤/ ٧٤)، (١٤/ ٣٧٩)، «المفردات في غريب القرآن» (ص: ٤٦٩، ٥٠٩)، «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٦٨)، (٥/ ٢٢٤)، «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان» (ص: ٢٠٥، ٢٨٥)].

«وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء»

روىٰ مسلم في «صحيحه» (٢٨٦٥) عن عياش بن حمار المُجَاشِعيّ ﷺ، أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إنَّ ربّي أمرني أن أعلّمكمُ ما جهلتم ممَّا علّمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدًا حلالٌ، وإنِّي خلقت عبادي حنفاء كلّهم، وإنّهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمَرَتْهُمْ أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطانًا، وإنَّ اللَّه نظر إلىٰ أهل الأرض فمقتهم عَرَبَهُم وعجمهُمْ، إلَّا بقايا مِنْ أهل الكتاب. وقال: إنَّما بعثتك لأبتْليك وابتلي بك، وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء، تقرؤه نائمًا ويقظان**».

قال النووي في: «شرح مسلم» (١٨/ ٣٢٣- ٣٢٤):

«معنىٰ قوله تعالىٰ: «**كل مال أعطيته عبدي فهو له حلال**»، والمراد إنكار ما حرّموا علىٰ أنفسهم ممَّا أحله اللَّه لم يصر حرامًا بتحريمهم، وكل مال ملكه العبد فهو له حلال حتىٰ يتعلق به حق، قوله تعالىٰ: «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم»؛ أي: مسلمين.

وقيل: طاهرين من المعاصي، وقيل: مستقيمين منيبين لقبول الهداية، وقيل: المراد حين أخذ عليهم العهد في الذّر(١) وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. =

(١) والذّر: النمل، والمعنىٰ أنَّ اللَّه خلق بني آدم علىٰ هيئة صِغَرِ النمل كلهم وأخذ عليهم ميثاق الوحدانية وشهدوا بالحق، وهذا هو الميثاق الأول ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾؟ [النساء: ٨٧]، وهو قول عامّة المفسرين سلفًا وخلفًا.

= قوله تعالىٰ: «**وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**» أي استخفّوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عمَّا كانوا عليهم، وجالوا معهم في الباطل، وفي رواية: «**فاختالتهم**» بالخاء، قال القاضي عياض: ومعنىٰ فاختالتهم أي: يحبسونهم عن دينهم ويصدّونهم عنه، قوله ﷺ: «**وإنَّ اللَّه تعالىٰ نظر إلىٰ أهل الأرض فمقتهم**» المقت: أشد البغض، والمراد بهذا المقت والنظر ما قبل بعثة رسول اللَّه ﷺ، والمراد بقايا أهل الكتاب الباقون علىٰ التّمسك بدينهم الحق من غير تبديل.

قوله ﷻ: «**إنَّما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك**» معناه: لأمتحنك بما يظهر منك، من قيامك بما أمرتك به، من تبليغ الرّسالة، وغير ذلك من الجهاد في اللَّه حقّ جهاده، والصبر في اللَّه تعالىٰ، وغير ذلك، وابتلي بك من أرسلتك إليهم، فمنهم من يظهر إيمانه ويخلص في طاعته، ومنهم من يتخلّق ويتأبّد بالعداوة والكفر، ومن ينافق، والمراد: أن يمتحنه ليصير ذلك واقعًا بارزًا؛ فإنَّ اللَّه تعالىٰ إنَّما يعاقب العباد علىٰ ما وقع منهم، لا علىٰ ما يعلمه قبل وقوعه، وإلَّا فهو سبحانه عالم بجميع الأشياء قبل وقوعها، وهذا نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]؛ أي: تعلمهم فاعلين ذلك مُتّصفين به.

قوله تعالىٰ: «**وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرأه نائمًا ويقظان**» فمعنىٰ: «**لا يغسله الماء**»: أي محفوظ في الصدور، لا يتطرق إليه الذهاب والمحو، بل يبقىٰ علىٰ مرَّ الأزمان، وأمَّا قوله تعالىٰ: «**تقرأه نائمًا ويقظانًا**» قال العلماء: يكون محفوظًا لك في حالتي النَّوم واليقظة، وقيل: تقرأه في يسر وسهولة» اهـ.

قلت: قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال القرطبيّ في: «**جامعه**» (٦/ ٥- ٦):

«قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ يعني القرآن، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ من أن يُزاد فيه أو ينقص منه، قال قتادة وثابت البُنَانيّ: حفظه اللَّه من أن يزيد فيه الشياطين باطلًا أو ينقص منه حقًّا، فتولَّىٰ سبحانه حفظه فلم يزل محفوظًا، وقال في غيره ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ﴾ [المائدة: ٤٤]، فوكل حفظه إليهم فبدّلوا وغيروا. . . . . ،

قال سفيان بن عيينة: في قول اللَّه تعالىٰ في التوراة والإنجيل ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۖ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ =

= وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤] فجعل حفظه إليهم فضاع، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ فحفظه اللَّه ﷻ علينا فلم يضع» اهـ.

- **كُنْ عبدًا للعلم تُرْزق الوصايا الخفيّة والفهم:**

وروىٰ ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٥٦٤) -عن محمد بن المنكدر قال:

«إنَّ اللَّه ليصلح بصلاح العبد ولده، وولد ولده، وأهل دُويرته، وأهل الدويرات حوله، فما يزالون في حفظ من اللَّه ما دام فيهم».

وروىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٢٤٠) عن يحيىٰ بن كثير قال:

«العلماء مثل الملح، هو صلاح كل شيء، فإذا فسد الملح لم يصلحه شيء، وينبغي أن يوطأ بالأقدام ثُمَّ يُلقىٰ».

وروىٰ أبو نعيم (٤٤٢٦)- عن أيوب السختيانيّ عن عبد اللَّه بن زيد الجرميّ قال:

«ما أمات العلم إلَّا القُصّاص، يُجالس الرجُلُ الرَّجلَ سنة، فلا يتعلق منه بشيء، ويجلس إلىٰ العالم فلا يقوم حتىٰ يتعلق منه بشيء».

وروىٰ أبو نعيم (٣٢٣٢)- عن يحيىٰ بن كثير قال:

«لا يأتي العلم براحة الجسد».

وروىٰ أبو نعيم (٣٣١٥) عن يزيد بن حميد الضّبعيّ قال:

«واللَّه إنَّه ينبغي للرجل المسلم أن يزيده ما يرىٰ من النَّاس من التهاون بأمر اللَّه؛ أن يزيده ذلك جدًّا واجتهادًا».

وروىٰ أبو نعيم (٣٢٨٦)- عن مطر الورّاق في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾؟ [القمر: ١٧] **قال:**

«هل من طالب علم يُعان عليه؟».

وروىٰ أبو نعيم في: «حلية الأولياء» (٣٢٨١) - عن مالك بن دينار قال:

«رحم اللَّه مطرًا الورَّاق، كان عبد العلم».

وروىٰ أبو نعيم (٣١٣٧)- عن فرقد السخيّ قال: =

= «من أصابته مصيبة فشكاها إلىٰ النَّاس؛ فكأنَّما يشكوا ربَّه ﷻ».

وروىٰ أبو نعيم (٢٩٦٤) عن أيوب السجستياني قال:

«إذا لم يكن ما تريد، فأرِد ما يكون».

وروىٰ ابن بطة في: «الإبانة الكبرىٰ» (١٦٥) عن عمر بن الخطاب قال:

«أيها النَّاس، إنه لا عذر لأحد بعد السُّنَّة في ضلالة ركبها حسبها هدًىٰ، ولا في هدًىٰ تركه حسبه ضلالة، فقد بُينت الأمور وثبتت الحجة، وانقطع العذر».

وروىٰ كذلك ابن بطة الكبرىٰ في: «الإبانة الكبرىٰ» (٦٤٧)- عن عمر بن الخطاب ﷺ قال:

«إنَّ أخوف ما أخاف عليكم ثلاثة: جدال المُنافق بالقرآن، لا يخطئ واوًا ولا ألفًا، يُجادل النَّاس أنه أجدل منهم ليضلّهم عن الهدىٰ، وزلّة عالم، وأئمة مضلّين، ثلاث بهنَّ يُهدم الزّمن».

العلماء زينة الأرض

قال القرطبيّ في: «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٢٥٦):

«روىٰ ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، قال: «**العلماء زينة الأرض**».».

ثم عودٌ علىٰ بدء، وبهذه الوصايا الخفيّة، قد انتهىٰ البحث وفُهِمَتْ القضيّة، ومن يرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين، وصلىٰ اللَّه وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد للَّه رب العالمين.

وكتبه

الباحث الشرعيّ الدكتور عيد بن أبي السعود والكيَّال،

وكان الانتهاء منه قُبيل مغرب السبت ٨/جماد أول/١٤٤٥هـ/

الموافق ٢/ديسمبر ٢٠٢٣م، عزبة الهجانة، مدينة نصر القاهرة،

مصر حفظها اللَّه ورعاها.

فهرس الكتاب

- توطئة المنتقىٰ، العلماء سُرُجُ الأزمنة ينسخون مكايد الشيطان ٣
- ثُمَّ جعلناك علىٰ شريعة من الأمر فاتبعها ٤
- قول أئمة الدين في هذا الحبر المتين، وترجمة الدارميّ ٦
- صفة مقدمة الدارمي وما فيها من الأبواب ٩
- عملي في هذا المنتقىٰ ١١
- معنىٰ العلم والجهل ١٣
- العلم معرفة الحق بدليله والجهل ضده وبيان ذلك ١٤
- آية وحديث في المسألة ١٤
- أول مقدمة الدارميّ ١٦

١- باب ما كان عليه النَّاس قبل مبعث النَّبِيّ ﷺ من الجهل والضلالة ١٦

- حديث من أحسن في الإسلام ومن أساء ١٦
- شرح الحديث (هامش) ١٦
- حديث «إنّك امرؤ فيك جاهلية»، وشرحه (هامش) ١٧
- معنىٰ الضلالة (هامش) ١٨

٢- باب اتباع السُّنَّة، وفيها حديث وجملة من الآثار ٢٠

- حديث: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**» ٢٠
- شرح الحديث ومعنىٰ الاتباع والسُّنَّة (هامش) ٢٠
- معنىٰ الدليل والمدلول (هامش الهامش) ٢١
- الوصية بالتقوىٰ وإجماع فيها (هامش) ٢١
- مفهوم كليّ جامع في معنىٰ التقوىٰ (هامش) ٢٢
- بيان السمع والطاعة وذكر الآيات والأحاديث فيها (هامش) ٢٢
- بيان المحدثة والبدعة (هامش) ٢٤
- حديث جامع في المسألة وشرحه (هامش) ٢٥
- معنىٰ الخلفاء الرَّاشدين (هامش) ٢٧

- قاعدة في معنىٰ الرَّاشد (هامش) ٢٨
- وأصحابي أمنة لأمتي (هامش) ٢٨
- ومن كان مستنًّا فليستنّ بمن قد مات ٢٩
- أثر عمدة في فضل الصحابة ٢٩
- الاعتصام بالسُّنَّة نجاة، ونعش العلم ثبات الدين والدنيا، هذه قاعدة الدين ٣١
- بيان قاعدة الدين (هامش) ٣١
- بيان الباب وشرحه (هامش) ٣١
- أول ذهاب الدين ٣٣

٣- باب التوّرع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، وجملة من الآثار ... ٣٥
- بيان الباب وشرحه ٣٥

٤- باب كراهية الفتيا، وفيها جملة من الآثار ٣٧
- تعليق علىٰ الباب ٣٨
- صفة الفتوىٰ (هامش) ٣٩

٥- باب من هاب الفتيا وكره التنطّع والتبدّع وفيها جملة من الآثار ٤١
- حديث: «إذا رأيتم الذين يتّبعون ما تشابه منه فاحذروهم» ٤٢

٦- باب الفتيا وما فيه من الشدة، وفيها حديثان وجملة من الآثار ٤٣
- حديث: «أجرؤكم علىٰ الفتيا أجرؤكم علىٰ النار» ٤٣
- شرح الحديث (هامش) ٤٣
- حديث: «من أفتىٰ فتيا بغير ثبت فإنما إثمه علىٰ من أفتاه» ٤٤

٧- باب في الذي يفتي الناس في كل ما يستفتىٰ، وفيه جملة من الآثار ٤٦
- تعليق علىٰ الأبواب الثلاثة: ٥، ٦، ٧ (هامش) ٤٦

٨- بان تغيّر الزمان وما يحدث فيه، وجملة من الآثار ٤٧
- لا تقوم الساعة إلَّا علىٰ شرار النَّاس (هامش) ٤٨
- عود علىٰ بدء والاعتصام بالسُّنَّة نجاة (هامش) ٤٩
- النُزَّاع من القبائل والطائفة المنصورة (هامش) ٤٩

٩- باب في كراهية أخذ الرأي، وفيه جملة من الآثار ٥١
- حديث: «هذه سُبل علىٰ كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه» ٥١
- أثر ابن مسعود العمدة في الباب ٥١

• حديث: «إنَّ أفضل الهدي هَدْي محمد ﷺ» ٥٢
• حديث: «إنَّما أخاف علىٰ أمّتي الأئمة المضلّين» ٥٣
• وليأتينَّ عليكم زمان يكون فيه الهوىٰ قائدًا للعمل (هامش) ٥٤
• رسالة الحسن البصريّ إلىٰ الغافل الأبِيّ (هامش) ٥٤
١٠- باب الاقتداء بالعلماء، وفيه جملة من الآثار وأربعة أحاديث ٥٦
• تعليق علىٰ الباب ٥٧
• معنىٰ حديث الصحيحين: «من يرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين» ٥٨
• جملة إجماعات ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (هامش) ٦٠
١١- باب اتقاء الحديث عن النَّبِيّ ﷺ وفيه حديث «من كذب عليّ متعمّدًا فليتبوَّأ مقعده من النار»، وجملة من الآثار ٦٢
• المراد بهذا الباب (هامش) ٦٢
١٢- باب في ذهاب العلم وحديث «إنَّ اللَّه لا يقبض العلم انتزاعًا» ٦٣
• شرح الحديث (هامش) ٦٣
• حديث «خذوا العلم قبل أن يذهب» ٦٣
• صلاح الدنيا والدين بصلاح التفقه في الدين شرط في الراعي والرعية ٦٤
• زيادة بيان وشرح في رفع العلم وما هو؟ (هامش) ٦٤
• الحديث مضلة إلا للفقهاء (هامش) ٦٦
١٣- باب العمل والعلم وحسن النّية فيه، وفيه جملة من الآثار ٦٧
• قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ وبيان تفسيره المهم (هامش) ٦٧
• باب من العلم والفقه عليه صلاح العالم والمتعلم، والمتمسك فيه بالسُّنَّة من أتباع الأنبياء (هامش) ٦٨
١٤- باب من هاب الفتيا مخافة السقط وفيه جملة من الآثار ٧٠
• لماذا ختم الدارمي هذا الباب بهذا الأثر؟ (هامش) ٧١
١٥- باب من قال: العلم الخشية وتقوىٰ اللَّه وفيه حدثان وجملة آثار ٧٢
• تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (هامش) ٧٤
• العلماء ثلاثة (هامش) ٧٥
١٦- باب في اجتناب الأهواء، وفيه جملة آثار ٧٦
• جملة من الآثار الجليلة لابن بطة العكبري في «الإبانة الكبرىٰ» في الباب،

زيادة وشرحًا وتوضيحًا (هامش) ٧٦
١٧- باب من رخّص في الحديث إذا أصاب المعنىٰ، وجملة من الآثار ٧٩
- حديث: «مثل المنافق مثل الشاة بين الربضين أو بين الغنمين» ٧٩
- نقل للخطيب البغدادي من كتابه: «الكفاية في معرفة الرواية» متعلق بهذا الباب للبيان والتعريف (هامش) ٧٩
- نقل آخر في الباب لأبي المظفر بن السمعاني من كتابه: «قواطع الأدلة في الأصول» (هامش) ٨١
١٨- باب في فضل العلم والعالم وجملة من الآثار ٨٣
- حديث: «من سلك طريقًا يلتمس به علمًا سهل اللَّه به طريقًا من طرق الجنَّة» . ٨٤
- شرح الحديث (هامش) ٨٥
- حديث آخر في فضيلة العلم عند مسلم وشرحه (هامش) ٨٥
١٩- باب من طلب العلم بغير نيّة فردّه العلم إلىٰ النيّة وفيه آثار ٨٨
٢٠- باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير اللَّه، وجملة من الآثار ٨٨
- حديث: «ألا إنَّ شر الشر شرار العلماء، وإنَّ خير الخير خيار العلماء» ٨٩
- شرح الحديث (هامش) ٩٠
- شرَّ الشر وخير الخير (هامش) ٩٠
- الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إذا ذكر اللَّه وما والاه وعالمًا أو متعلمًا (هامش) . ٩٣
- لو عملنا ببعض ما علمنا لأورثنا اللَّه علمًا لا تقوم به أبداننا (هامش) ٩٥
٢١- باب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة وفيه جملة آثار ٩٦
- جملة من روايات ابن بطة العكبري في «الإبانة الكبرىٰ» في الباب (هامش) . ٩٦
٢٢- باب التسوية في العلم، وفيه آثار ٩٩
- تعليق علىٰ الباب (هامش) ٩٩
٢٣- باب في توقير العلماء، وجملة من الآثار ١٠٠
- شرح الباب (هامش) ١٠٠
- باب هيبة العالم والمتعلم لابن عبد البر في: «جامع بيان العلم وفضله» (هامش) ١٠٠
٢٤- باب في الحديث عن الثقات، وجملة من الآثار ١٠٢
٢٥- باب ما يتقىٰ من تفسير حديث النَّبِيّ ﷺ، وقول غيره عند قوله ﷺ، وجملة

من الآثار، وحديث ١٠٤
• فقه هذا الباب وبيان معناه (هامش) ١٠٥
٢٦- باب تعجيل عقوبة من بلغه عن النَّبِيّ ﷺ حديث فلم يُعظّمه ولم يوقّره، وخمسة أحاديث، وآثار ١٠٧
• شرح أحاديث هذا الباب وبيان هجران أهل البدع والفسوق (هامش) ١٠٨
٢٧- باب من كره أن يملّ النَّاس، وفيه آثار ١١٠
• تعليق علىٰ الباب (هامش) ١١٠
٢٨- باب من لم ير كتابة الحديث، وفيه حديث، وجملة آثار ١١١
• بيان أنَّ هذا الباب الأصل في العلوم الحفظ في الصدور (هامش) ١١١
٢٩- باب من رخّص في كتابه العلم، وفيه حديثان وآثار ١١٥
• تعليق علىٰ الباب ١١٥
• بيان أنّ هذا المراد منه أهمية كتابة العلم، وأنه لا تعارض بين البابين والأحاديث التي تبدوا متعارضة (هامش) ١١٥
٣٠- باب من سنَّ سنة حسنة أو سيئة، وفيه حديثان ١١٨
• هل هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة؟ (هامش) ١١٨
٣١- باب من كره الشهرة والمعرفة، وجملة من الآثار وحديث ١٢٢
• حديث عند مسلم (هامش)، وتعليق علىٰ الباب ١٢٢
٣٢- باب البلاغ عن رسول اللَّه ﷺ وتعليم السنن، وفيه ثلاثة أحاديث وجملة من الآثار ١٢٤
٣٣- باب الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه، وجملة آثار ١٢٦
٣٤- باب صيانة العلم، وجملة من الآثار ١٢٧
• العلماء ورثة الأنبياء في العلم والحكمة والفهم (هامش) ١٢٨
٣٥- باب السُّنَّة قاضية علىٰ كتاب اللَّه، وحديث وآثار ١٢٩
• شرح الباب (هامش) ١٢٩
٣٦- باب تأويل حديث رسول اللَّه ﷺ، حديث وآثار ١٣٠
• بيان الباب (هامش) ١٣٠
٣٧- باب مذاكرة العلم، وجملة من الآثار ١٣١
٣٨- باب اختلاف الفقهاء، وآثار ١٣٢

• في فقه الخلاف (هامش) ١٣٢
٣٩- باب في العرض، وفيه آثار ١٣٥
• معارضة الكتاب في: «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (هامش) ١٣٥
٤٠- باب الرجل يفتي النَّاس بشيء، ثُمَّ يبلغه عن النَّبِيّ ﷺ فيرجع إلىٰ قول النَّبِيّ ﷺ، وفيه حديثان وأثر ١٣٧
٤١- باب الرجل يفتي بالشيء ثُمَّ غيّره، وفيه أثر ١٣٧
٤٢- باب في إعظام العلم، وفيه آثار ١٣٨
• جعل الله اجتهاد الفقهاء في الحوادث والنوازل في مدرج الوحي في زمان الرسل ١٣٨
• نقل مهم في منزلة الفقهاء وأنهم حاملو ميراث النَّبِيّ ﷺ، يقومون مقامه (هامش) ١٣٨
• رسالة سلمة بن دينار أبي حازم القاضي الإمام القدوة ١٤٠
• تعريف وترجمة أبي حازم (هامش) ١٤٠
• تعليق علىٰ الرسالة (هامش) ١٤٣
• رسالة إلىٰ طالب العلم ١٤٤
٤٣- رسالة عباد بن عباد الخواص الشامي، إلىٰ جميع الأمة وختامه مسك ١٤٥
• تعليق علىٰ الرسالة (هامش) ١٤٨
• خاتمة المُنتقىٰ، وخلاصة المرتضىٰ، صلاح الدنيا والدين في عالم ربّانيّ عامل معلم، يخشىٰ اللَّه ويتقه متين (هامش) ١٤٩
• إجماع في المسألة (هامش) ١٥٠
• لماذا يفرّ العلماء الربّانيون من النَّاس إلىٰ رؤوس الجبال؟ (هامش) ١٥١
• إنَّ هذا القرآن طرفه بيد اللَّه وطرفه بأيديكم (هامش) ١٥١
• «وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء» (هامش) ١٥٣
• كن عبد العلم تُرزق الوصايا الخفيّة والفهم (هامش) ١٥٥
• العلماء زينة الأرض ١٥٦
• فهرس الكتاب ١٥٧

* * *